المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ أما بعد :

فإنَّ التوحيد هو قاعدة الإسلام التي عليه يبنى ، وشرطه الذي به يقبل ، وبه تقبل الحسنات وبه تغفر السيئات ، وبه يدخل العبد الجنة ، وبه ينجو من النار ، ومن أجله وقعت الخصومة بين الرسل ومشركي العباد ، ومن أجله جردت سيوف الجهاد ، ومن أجله خلقت الجنة والنار .

وبنقيضه وهو الشرك تحبط الأعمال ؛ قال الله تعالى : [ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين & بل الله فاعبد وكن من الشاكرين] [الزمر : ٦٥ – ٦٦] وكل ذنب من الذنوب مغفور إلاَّ الشرك ؛ قال تعالى : [إنَّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدا] [النساء : ١١٦] وبالشرك يحرم العبد من الجنة ، ويتحتم عليه الخلود في النار .

لذلك فإنَّ العناية بالتوحيد أهم المهمات ، وأوجب الواجبات ، وتركه والإعراض عنه ، وعن تعلمه أعظم البليات ، ومن أجل ذلك ؛ فإنَّ الواجب على كل عبد أن يتعلمه ، و يتعلم ما يناقضه ، وينافيه أو ينقصه ، ويقدح فيه .

ولما كان من أحسن ما ألف فيه كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ؛ الذي جدد الله به عقيدة التوحيد في نجدٍ في القرن الثاني عشر الهجري ؛ وهو يحتوي على ستة وستين بابا ، وقد شرح من قبل بعض أبنائه ، وأحفاده ، وتلامذته ، وغيرهم .

وقد طلب مني بعض طلاب العلم الحريصين أن أشرحه له ، ولم يقنع بقراءة الشروح القديمة بل أصر عليَّ أن أملي عليه شرحاً من عندي ، فاستعننت بالله تعالى ، وأمليت عليه ما حضرني فكتب ، وكان يعطي بعض المشائخ الراغبين في الخير ، والحريصين على نشر العلم ؛ ليكتبه له على الكمبيوتر ، وحين انقطع الأول لغيبةٍ طويلة ، واصل معي الثاني على الطريقة الأولى والحمد لله على التمام .

والمهم أنَّه قد جاء شرحاً مفيداً مختصراً في بابه ، وافياً بالمقصود إن شاء الله ، وسميته " الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق الممجد الذي ألفه شيخ الإسلام محمد " .

والحمد لله على ذلك ، ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص لما نأتي ، ونذر ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبها
أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النَّجمي
في ٢١ / ٧ / ١٤٢٥ هـ

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى : [وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون] [الذاريات : ٥٦] وقوله : [ولقد بعثنا في كل أمَّةٍ رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] [النحل : ٣٦] وقوله : [وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا] [الإسراء : ٢٣] وقوله : [واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا] [النساء : ٣٦] وقوله : [قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا] [الأنعام ١٥١ – ١٥٣] قال ابن مسعود τ : " من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ρ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] إلى قوله : [وأنَّ هذا[1] صراطي مستقيما] [الأنعام : ١٥٣] وعن معاذ بن جبل τ قال : ((كنت رديف النبي ρ على حمار ، فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال حق الله على العباد : أن يعبدوه ، ولايشركوا به شيئا . وحق العباد على الله : ألاّ يعذب من لايشرك به شيئا . فقلت يا رسول الله : أفلا أبشر الناس قال : لاتبشرهم فيتكلوا)) أخرجاه في الصحيحين .

الشرح : الحمد لله رب العالمين[2] ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : –

اللهمَّ يا معلم إبراهيم علمني ، ويا مفهم سليمان فهمني ؛ اللهمَّ علمنا ما ينفعنا ، وارزقنا العمل بما علمنا :

كتاب التوحيد

التوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيداً ، والمقصود به توحيد الله عز وجل أي تخصيصه بالعبادة وحده دون سواه ، وذلك يكون نتيجة اعتقاد العبد بوحدانية الله عز وجل في ذاته ، وصفاته وأسمائه ، ونعوت جلاله ؛ المتضمن لاتصافه بالألوهية المطلقة لهذا الكون ، والتصرف المطلق فيه

---

١) حديث ابن مسعود τ أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنعام بلفظ : " من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ..." الحديث وقال عنه الترمذي حديثٌ حسنٌ غريب ، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع وقال عنه ضعيف الإسناد .

٢) وأمَّا حديث معاذ بن جبل τ فقد أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار ، وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

وأنَّه هو المستحق لأن يوحده العباد بأفعالهم ؛ قال تعالى : [وقضى ربك ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه] علماً بأنَّ العبادة هي الحكمة التي خلق الله الجن والإنس من أجلها ، فقال جلَّ من قائل : [وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون] فالعوالم العاقلة ثلاثة :

١) عالمٌ كله خيرٌ لاشرَّ فيه ، وهم الملائكة .

٢) وعالمٌ كله شرٌّ لاخير فيه ، وهم الشياطين .

٣) وعالمٌ جبله الله على الخير والشر ، والخير فيه أغلب ، وعالمٌ آخر جبله الله على الخير والشر والشرُّ فيه أغلب ، فعالم الجن والإنس هم الذين جبلهم الله على الخير والشر خلقهم لعبادته والشياطين نوعٌ من الجن ، ولكنَّهم تمردوا ، وصاروا كلهم شر ، ولهذا قال تعالى : [وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون] فالشياطين هم من جنس الجن ، فالله خلق عالمي الإنس والجن خلقهم للعبادة كما أخبر في هذه الآية ، فمنهم من تحققت فيه العبادة وهم المؤمنون ، ومنهم من لم تتحقق فيه بل كانوا معاندين ومكابرين وهم الكفار بجميع أنواعهم ، وحسبنا أن نعلم أنَّ الله خلقنا للعبادة وأنَّ الواجب علينا أن نحقق ما خلقنا الله من أجله ، والعبادة هي طاعة مع خضوعٍ وذلةٍ لله الواحد القهار ؛ يشعر العابد بأنَّه محتاجٌ إلى الإله الذي عبده ، فيعبده مستشعراً حاجته إليه ولما كانت الأمم يغلب عليها الجهل ، والخمول ، والنسيان ، والاشتغال بالدنيا الحاضرة والغفلة عن الدار الآخرة بعث الله الرسل في كل أمَّةٍ ليبينوا لهم ما خلقوا له ، وما أوجدوا من أجله ؛ قال جلَّ من قائل : [ولقد بعثنا في كل أمّةٍ رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] فأخبر سبحانه وتعالى أنَّه بعث الرسل إلى العباد يأمروهم بعبادة الله وحده ، واجتناب الطاغوت والطاغوت : هو مشتقٌّ من الطغيان ، وقد قال ابن القيم رحمه الله : " الطاغوت : هو كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع " فمن عُبِد مع الله ؛ فقد عبد بغير حق ، ومن اتبع بأن قَدَّم الناس متابعته على متابعة أوامر الله فقد اتبع بغير حق ، ومن أطيع بأن تركت طاعة الله لطاعته فقد أطيع بغير حق وهذا هو المقصود من قول ابن القيم : " الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع " .

وقوله جلَّ وعلا : [وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه] المراد بقضى : حكم أي حكم حكماً شرعياً بألاَّ يعبد الناس إلاَّ إياه . أمَّا القضاء الكوني فتقع فيه المخالفة لهذا القضاء أي للقضاء

الشرعي فالله سبحانه وتعالى قضى وجود الكفر والشرك كوناً ومنعه شرعاً ، فهذا القضاء الذي أخبر الله عنه في هذه الآية المراد به الأمر ، وهو يوافق قوله سبحانه وتعالى : [إن الحكم إلاَّ لله أمر ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه] [يوسف : ٤٠] أي بأنه أمر أمرا شرعياً بعبادته وحده دون سواه ، وهو التوحيد الذي بعثت به الرسل .

ثمَّ قال : [وبالوالدين إحسانا] أي إحساناً إليهما لأنَّهما أحسنا إليك أيها العبد ، والكلام على بر الوالدين وطاعتهما يأتي بعد الأمر بتوحيد الله سبحانه وتعالى لأنَّه هو المنعم المتفضل وأعظم الناس عليك نعمةً بعد الله هما والداك اللذان ربياك ، وأنعما عليك بالراحة ، والسكن في حضنهما ، وتعبا من أجلك ، وسهرا لراحتك ، وفي الآية الأخرى وهي آية النساء : [واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا] فهنا اقترن الأمر بالعبادة بالنهي عن الشرك حتى ولو شيئاً يسيرا فقوله : [ولاتشركوا به شيئا] نهيٌ عن الشرك كله قليله وكثيره ؛ صغيره وكبيره ؛ لأنَّه نكره في سياق النهي فهي تعم .

وقوله تعالى : [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] إلى قوله : [وأنَّ هذا صراطي مستقيما] فهذه الآيات وغيرها قد تواردت على الأمر بالتوحيد ، والنهي عن الشرك ، وهذا هو ما بعثت به جميع الرسل من أولهم نوح إلى آخرهم محمدٌ ρ فالمناهي العشر التي وردت في آخر سورة الأنعام أولها الشرك بالله ، والشرك عظيمٌ ؛ لأنَّه محرم على صاحبه دخول الجنة ، ومحتَّمٌ عليه دخول النار والخلود فيها .

أمَّا قول ابن مسعود τ : " من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ρ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] إلى قوله : [وأنَّ هذا صراطي مستقيما] [الأنعام : ١٥٣] .

فأخبر أنَّ تلك الوصية التي أمره الله سبحانه وتعالى بأن يتلوها على أمَّته المبتدأة بالنهي عن الشرك ، والمنتهية بالاستقامة على الصراط المستقيم يجب أن نعيرها اهتماماً عظيماً ، ونعرفها حقَّ المعرفة ؛ لأنَّ الله عز وجل صدَّرها بقوله قل يا محمد : [تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم] فذكر المناهي العشر ، وأولها ، وأعظمها الشرك بالله .



أمَّا حديث معاذ بن جبل τ قال : ((كنت رديف النبـي ρ علـى حمـار ، فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد علـى الله ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال حق الله على العباد : أن يعبدوه ، ولايشركوا به شيئا . وحق العباد على الله : ألاَّ يعذب من لايشـرك بـه شيئا . فقلت يا رسول الله : أفلا أبشر الناس . قال : لاتبشرهم فيتكلوا)) أخرجاه في الصحيحين .

الخلاصـة أنَّ حـقَّ الله علـى العبـاد أن يعبـدوه لايشـركوا بـه شـيئا ؛ يفـردوه بالعبـادة ، ويبتعـدوا عـن الشرك به ، ثمَّ إذا هم حقَّقوا هذا الأمر ، وتركوا الشرك صغيره وكبيره ، فإنَّ حقَّهم عليه سبحانه ألاَّ يعـذبهم ، فمـن مـات وهـو لايشـرك بـالله شـيئا فقـد وعـده الله بأنَّـه لايعذبـه أي لايعذبـه بنـار الكفـار والمشركين التي يخلد أصحابها فيها .

أمَّا إن مات على التوحيد ، ولكن عنده كبائر اقتضت حكمة الله أن يعذب بها ، فإنَّه يعذب بنار غير نار المشركين ؛ بل يعذب بنار الموحدين ، ثمَّ يخرج منها ، ويدخل الجنة ، والأمر في ذلك إلى الله عز وجل فهو المالك للعباد ، والمتصرف فيهم ، علماً بأنَّ هذا الحق الذي وعد الله به عباده إن هم عبدوه هو حقٌّ التزمه على نفسه ، ووعد به عباده ، ولم يلزمه به أحدٌ سواه ، ولذلك نقول إنَّ هذا الحق حق أوجبه الله على نفسه هو ؛ ولم يوجبه عليه غيره ، ووعد به عباده إن هم عبدوه ووحدوه دون سواه ، وبالله التوفيق .

(١) باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى : [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] [الأنعـــام :٨٢].

وعن عبادة بن الصامت τ قال : قال رسول الله ρ : ((من شهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لاشريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، والجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) أخرجاه[١] .

ولهما في حديث عتبان : ((فإنَّ الله حرم على النار من قال لا إله إلاَّ[٢] الله يبتغي بذلك وجه الله)) .

وعن أبي سعيد الخدري τ عن رسول الله ρ قال : ((قال موسى يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به . قال يا موسى : قل لا إله إلاَّ الله . قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال يا موسى : لو أنَّ السماوات السبع وعامرهنَّ غيري ، والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلاَّ الله في كفة مالت[٣] بهنَّ لا إله إلاَّ الله)) رواه ابن حبان ، والحاكم ، وصححه .

وللترمذي ، وحسّنه عن أنس τ سمعت رسول الله ρ يقول : قال الله تعالى : ((يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا[٤]، ثمَّ لقيتني لاتشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) .

الشرح : للتوحيد فضلٌ عظيم من فضله أنَّه لايقبل عملٌ واحدٌ إلاَّ به ، ولايكون العبد مؤمناً إلاَّ

---

١) متفق عليه ، فالحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : [يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم] ولفظ الحديث للبخاري وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب الإيمان باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت ، وفي كتاب الجمعة باب صلاة النوافل جماعة وفي كتاب الأطعمة باب الخزيرة ، وفي كتاب الرقاق باب العمل الذي يبتغى به وجه الله فيه سعْدٌ ، وفي كتاب استتابة المرتدين باب ما جاء في المتأولين ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، وفي كتاب المساجد باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر .

٣) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه في ج١٤ / ١٠٢ برقم الحديث ٦٢١٨ وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج١ / ٧١٠ برقم الحديث ١٩٣٦ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده في ج٢ / ٥٢٨ برقم الحديث ١٣٩٣ وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري في ج١١ / ٢٠٨ .

٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله من حديث أبي ذر τ وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب الدعوات باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده من حديث أنس بن مالك τ وأخرج الحديث ابن ماجة في كتاب الأدب باب فضل العمل وأخرجه الإمام الدارمي في كتاب الرقاق باب إذا تقرب العبد إلى الله وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في كتاب الأنصار بترقيم إحياء التراث رقم ٢٠٨٠٨ و٢٠٨١٤ و٢٠٨٦٠ و٢٠٨٦٩ و٢٠٩٦١ و٢٠٩٩٤ و٢١٠٥٥ كلها من طريق أبي ذر τ .

به ، ومن فضله أنَّ الله عز وجل يكفر الذنوب لمن تجنَّب الشرك بالله ؛ لقوله تعالى : [إنَّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] ومن فضائله أنَّه هو الذي يحصل به الأمن للعبد يوم القيامة ، ومن فضائله أنَّ الله يهدي أصحابه إلى الحق ، ومعرفة طريق الهدى لقوله تعالى : [أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] .

ثمَّ أورد الآية : [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] هذه الآية فيها الإخبار بأنَّ أهل التوحيد الذين حققوه ، ولم يخلطوه بشركٍ هم الذين يجمع الله لهم بين الأمن من مخاوف الدنيا والآخرة ، والاهتداء للحق ، وكل ما كان العبد محققاً لذلك كلما كان أوفر للأمن والاهتداء بسبب تحقيقه للتوحيد ، وتجنبه للشرك كله كبيره وصغيره ، فقد صحَّ عن النبي ρ أنَّه فسَّر الظلم هنا بما جاء في آية لقمان : [يا بني لاتشرك بالله إنَّ الشرك لظلمٌ عظيم] [لقمان : ١٣] إذاً فالظلم المقصود به هنا هو الشرك ، وليس المعاصي ، فالكل للكل والحصة للحصة فإذا نقص توحيد العبد بتعاطيه شيئاً من الشرك فإنَّه ينقص أمنه واهتداؤه .

وعن عبادة بن الصامت τ قال : قال رسول الله ρ : « من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه والجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أخرجاه .

عبادة بن الصامت الأنصاري τ هو أحد النقباء ليلة العقبة ، وأحد أصحاب رسول الله ρ المشهورين ، وأحد أصحاب بدرٍ مات بالرَّملة سنة ٣٤ هـ وله ٧٢ سنة .

قال : قال رسول الله ρ : « من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله »

يشترط في شهادة أن لا إله إلاَّ الله شروطاً لابدَّ من توفرها فيمن ينطق بها : –

١– بأن يكون عارفاً بمعناها ، وهو النفي والإثبات .

٢– ومن شروطها العلم المنافي للجهل ، وهو مقتضى ما ذكرته من العلم بها ؛ لأنَّ الله تعالى يقول : [إلاَّ من شهد بالحق وهم يعلمون] [الزخرف : ٨٦] .

٣– ومن شروطها اليقين المنافي للشك بأن لايشك في ذلك أي في وحدانية الله بالألوهية .

٤– ومن شروطها القبول المنافي للرد بأن يكون قابلاً لمعناها ، وما تقتضيه .

٥– ومن شروطها الانقياد المنافي للترك بأن يكون منقاداً لما تقتضيه .

٦- ومن شروطها الإخلاص المنافي للشرك .

٧- ومن شروطها الحب المنافي للبغض .

٨- والصدق المنافي للكذب . إذاً يشترط في قائلها أن تتوفر فيه هذه الشروط بأن يكون على علمٍ بما تقتضيه ، وهي تقتضي وحدانية الله بالألوهية ، وأنَّه لايشاركه فيها أحد قال تعالى : [لو كان فيهما آلهة إلاَّ الله لفسدتا] [الأنبياء : ٢٢] وقوله : [قل لو كان معه آلهةٌ كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا] [الإسراء : ٤٢] فمن نطق بهذه الشهادة عارفاً بمعناها عاملاً بمقتضاها نافياً لما نفت مثبتاً لما أثبتت ؛ مؤكداً وحدانية الله ، وعدم الشريك له بقوله : ((وحده لاشريك له)) .

ونطق بشهادة أنَّ محمداً رسول الله ؛ موقناً بأنَّ محمداً عبد الله ورسوله لايقبل الله من أحدٍ ديناً ولاعبادةً لم تكن من طريقه صلوات الله وسلامه عليه ، فمن نطق بهاتين الشهادتين على نحو ما ذكر ، فذلك هو الناجي من عذاب الله الحاصل على ثوابه وجنته .

ومن مكملات هذا الاعتقاد : ((وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه)) وتلك الكلمة هي قوله تعالى لعيسى : [كن] كما يقول سبحانه وتعالى : [إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمَّ قال له كن فيكون] [آل عمران : ٥٩] وبهذه الشهادة تنفى عقيدة النصارى فيه التي هي عقيدة البنوة ، والتثليث حيث اعتقدوا في عيسى أنَّه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، فغلو فيه ، ووضعوه في غير موضعه ، وتنفى بذلك أيضاً عقيدة اليهود الذين زعموا أنَّه ولد زنا ، وعلى الجميع من اليهود والنصارى عليهم من الله ما يستحقون من الغضب والمقت ، والمسلم يبرأ إلى الله من هذه العقائد ، ويعترف بعقيدة التوحيد لله وبأنَّه ليس له ولدٌ ولاصاحبة ، وأنَّ الجنة حقٌّ ؛ وهي جزاء الموحدين المتقين ، والنار حقٌّ ؛ وهي جزاء للمشركين الكافرين ؛ من اعتقد هذه العقيدة عاش بخير ، ومات بخير وأدخله الله الجنة على ما كان منه من العمل علماً بأنَّ شهادة أن لا إله إلاَّ الله لاتقبل إلاَّ بالكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله .

معنى قوله ρ : ((أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) أي أنَّه سيكون مآله إلى الجنة سواءً كان قبل عذاب أو بعد عذاب ، المهم أنَّ نهايته أي نهاية من يموت على التوحيد والإيمان

تكون إلى الجنة ، وهو تحت المشيئة ، فإن مات مصراً على الكبائر فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ما يستحق من العذاب ، ثمَّ أخرجه من النار ، وأدخله الجنة ؛ أمَّا إذا مات ولم يكن عنده كبائر مصرٌ عليها حتى ولوكان قد تعاطى شيئاً من الكبائر ، ثمَّ تاب ، ومات على التوبة ، فإنَّه يرجى له أن يدخله الله الجنة بدون عذاب ؛ لقوله تعالى : [إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما] [النساء : ٣١] .

قوله : ولهما في حديث عتبان τ : ((فإنَّ الله حرم على النار من قال لا إله إلاَّ الله يبتغي بذلك وجه الله)) على أنَّ المراد بالنار هنا نار الكفار التي يخلد من دخلها فلايخرج منها أبداً ، وإمَّا أن يحمل قوله : ((حرم على النار)) أي حرم على قائل ذلك الخلود في النار وأنَّ كل موحد نهايته الجنة.

قوله : وعن أبي سعيد الخدري τ عن رسول الله ρ قال : ((قال موسى يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به ....)) الحديث . يؤخذ من هذا عظم كلمة التوحيد ، وأنَّها تعدل كل الأجرام العظام ؛ وهي السماوات السبع ، والأرضين السبع ، ومن فيهنَّ ، وما بينهما ؛ تعدلها في الوزن بل ، وتزيد عليها ، وما ذلك إلاَّ لعظمة من شهد له بوحدانية الألوهية جل وعز من إله .

قوله : وللترمذي ، وحسّنه عن أنس τ سمعت رسول الله ρ يقول : قال الله تعالى : ((يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثمَّ لقيتني لاتشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) قراب الأرض أي ما يقارب ملأها ، وهذا الحديث يتضمن أنَّ من لقي الله عز وجل بالتوحيد ؛ فإنَّه يرجو من الله عز وجل المغفرة ، وبالله التوفيق .

(٣) باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى : [إنّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين] [النحل: ١٢٠]وقال :
[والذين هم بربهم لايشركون] [المؤمنون : ٥٩] .

وعن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة فقلت : أنا ثمّ قلت : أما إنّي لم أكن في صلاة ولكني لدغت . قال فما صنعت ؟ قال : ارتقيت قال فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديثٌ حدثناه الشعبي قال وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنّه قال : لا رقية إلاّ من عينٍ أو حُمَة قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع . ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ρ أنّه قال : ((عرضت عليّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ؛ إذ رفع لي سوادٌ عظيم ، فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه . فنظرت فإذا سوادٌ عظيم ، فقيل لي هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثمّ نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم : فلعلّهم الذين صحبوا رسول الله ρ وقال بعضهم : فلعلّهم الذين ولدوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله شيئا . وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ρ فأخبروه ، فقال : هم الذين لايسترقون ولايكتوون ولايتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكّاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ؟ قال : أنت منهم ، ثمّ قام رجلٌ آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكّاشة)) يعني يدخلها قبل أن يحاسب .[١]

الشرح : وقوله تعالى : [إنّ إبراهيم كان أمّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين] أقول : تحقيق

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري مختصراً في كتاب الطب باب من لم يرق ، وفي كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وكذلك أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب ، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه رحمه الله في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في صفة أواني الحوض ، وأخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ في مسند بني هاشم برقم ٢٤٤٤ بترقيم إحياء التراث ، ومختصراً في مسند البصريين برقم ١٩٤١٢وفي مسند المكثرين من الصحابة برقم ٤٣٢٧ وبرقم ٣٨٠٩ وبرقم ٣٧٩٦ .

التوحيد قد يستدل له من قول الله تعالى : [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] [الأنعام : ٨٢] قوله : [ولم يلبسوا إيمانهم بظلم] يعني لم يخلطوه بشرك والذي لم يخلط إيمانه بشرك لاصغيرٍ ، ولاكبير هذا يرجى أنَّه حقق التوحيد ، فإذا كان حقق التوحيد فإنَّ له الأمن المطلق ، والهداية المطلقة يعني أنَّ من حقق التوحيد ينال الدرجة العليا في الأمن والاهتداء .

فيؤخذ من تلك الآية التي سبقت في فضل التوحيد دليل في هذا الباب فيقال : أنَّ من حقِّقَ التوحيد بحيث أنَّه لم يخلط إيمانه بشرك ، فإنَّه يدخل الجنة بغير حساب ، ومن خلط إيمانه بشرك أصغر أو نوعٍ من المعاصي الكبائر أو من البدع غير المكفرة فهو تحت المشيئة .

استدلال المؤلف رحمه الله بقول الله تعالى : [إنَّ إبراهيم كان أمَّةً قانتاً لله] ما معنى [قانتاً لله أي خاضعاً لله [حنيفاً] مائلاً عن الشرك إلى التوحيد [ولم يك من المشركين] باعتبار أنَّ إبراهيم قد مدحه الله بأنَّه وفَّى ما أمره به ربه حيث يقول الله سبحانه وتعالى :[وإبراهيم الذي وفَّى] [النجم : ٣٧] ويقول : [وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمَّهنَّ قال إنِّي جاعلك للناس إماما] [البقرة : ١٢٤] فأعطاه حقَّ الإمامة ، وهذا دليل على إمامة إبراهيم عليه السلام ، ومن هنا يؤخذ أنَّ إبراهيم قد وفَّى ما أمر به ، وخاف على نفسه ، وعلى بنيه من الشرك ، فلذلك جعله الله إماماً في التوحيد ، وغيره [قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه] [الممتحنة : ٤] .

ثمَّ أورد الآية الأخرى : [والذين هم بربهم لايشركون] هذا وصف للمؤمنين الكمل القائمين بحق التوحيد خير قيام ، فهؤلاء هم النماذج العليا الذين حققوا التوحيد ، فتبوؤا أعلا المقامات عند الله سبحانه وتعالى .

ثمَّ أورد الحديث : عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة فقلت : أنا ثمَّ قلت : أما إنّي لم أكن في صلاة ولكني لدغت ...)) الحديث .

قوله : ((كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة)) انقضاض الكوكب الرمي به وإنارته .

قوله : ((فقلت : أنا)) ولكنَّه خاف على نفسه من الرياء فقال : ((أما إنّي لم أكن في صلاة ولكني لدغت)) ولكن الذي أسهرني هو أنِّي لدغت فأخبر بالواقع دفعاً للرياء ، فقال له سعيد بن جبير : ((فما صنعت ؟)) قال : ((ارتقيت)) يعني ماذا فعلت بعد أن لدغت قال : ((ارتقيت)) يعني أني رقيت نفسي قال : ((ما حملك على ذلك)) فيه أنَّ السلف رحمهم الله تعالى كانوا إذا فعل واحدٌ منهم شيئاً سأله صاحبه عن الدليل فقوله : ((ما حملك على ذلك)) يعني ما هو دليلك ، ومن هو أسوتك : قلت : ((حديثٌ حدثناه الشعبي قال وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنَّه قال : لا رقية إلاَّ من عين أو حمة)) لارقية نفي للرقية إلاَّ أن تكون من عين ، والعين هي عين العائن ، وقد قال النبي ρ : ((العين حق)) [1] ((أو حمة)) لدغ ذوات السموم كالحية ، والعقرب قال : ((قد أحسن من انتهى إلى ما سمع)) يعني أنَّ من انتهى إلى ما سمع ، وعمل به فهو قد أحسن.

قوله : ((ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ρ أنَّه قال : عرضت عليَّ الأمم)) وفيهم الذين لايسترقون ، ولايكتوون ، ولايتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون .

يؤخذ من هذا الحديث أنَّ من تحقيق التوحيد ترك الأسباب المباحة ، وهو الكي ، والرقية .

وأقول : الرقية قد ورد الأمر بها ، وتقريره ρ عليها ، فهل كل رقية يكون فيها قدحٌ في التوحيد أو أنَّ الذي يقدح في التوحيد هو طلب الرقية من الغير ؟!!! وهذا يشعر به قوله : ((هم الذين لايسترقون)) أي لايطلبون الرقية من غيرهم ، أمَّا رواية : ((لايرقون))[2] فلعلها كانت وهماً من الراوي ؛ إذ أنَّ من يرقي لغيره لايكون فعله للرقية لغيره نقصاً في توحيده ، وتوكله .

أمَّا كونهم يرقون أنفسهم أو يرقى عليهم بغير طلب ، فهذا لامانع منه ، وليس فيه قدحٌ في —

١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة τ فقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب العين حق ، وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى ، وزاد مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الباب السابق : ((العين حق ، ولو كان شيءٌ سابقٌ القدر سبقته العين ، وإذا أُستُغْسِلتم فاغسلوا)) .

٢) جاء في فتح الباري ١١ / ٤٠٨ ما ملخصه : وقع في رواية سعيد بن منصور عند مسلم : " ولايرقون " بدل : " ولايكتوون " وقد أنكر الشيخ ابن تيمية هذه الرواية ، وزعم أنَّها غلطٌ من راويها ، واعتلَّ بأن الراقي يحسن إلى الذي يرقيه فكيف يكون ذلك مطلوب الترك ....." اهـ بتصرف .

كمال التوحيد ، ولكن يتمحض القدح في كمال التوحيد فيما إذا طلب الرقية من غيره .

قوله : ((ولايكتوون)) قد ورد فعل الكي من النبي ρ فقد كوى أسعد بن زرارة[1] τ وقال : ((إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل

أو لذعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي » إذاً ففعل الكي جائز ، وتركه من كمال التوحيد .

قوله : ((ولايتطيرون)) أي لايجدون الطيرة في نفوسهم ، وذلك من كمال توحيدهم .

قوله : ((وعلى ربهم يتوكلون)) أي أنَّهم يتركون الأسباب المباحة توكلاً على الله ، وهذا من كمال التوحيد ((فقام عكَّاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ؟ قال : أنت منهم ، ثمَّ قام رجلٌ آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكَّاشة)) .

وقد تبين من هذا الحديث أنَّ السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب إنَّما نالوا هذه الدرجة بكمال توحيدهم ، وبالله التوفيق .

---

١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الطب باب ما جاء في كراهية التداوي بالكي ، ومنه باب الرخصة في ذلك من حديث أنس τ وقد صحح هذا الحديث الإمام محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي في ج٢ / ٤٠١ وقال انظر المشكاة برقم (٤٥٣٤ التحقيق الثاني) وأورد نحوه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٦٧٨٧وفيه : ((حدثنا روح حدثنا زمعة بن صالح قال سمعت ابن شهاب يحدث أن أبا أمامة بن سهل بن حنيف أخبره عن أبي أمامة أسعد بن زرارة وكان أحد النقباء يوم العقبة أنه أخذته الشوكة فجاءه رسول الله ρ يعوده فقال بئس الميت اليهود مرتين سيقولون لولا دفع عن صاحبه ، ولا أملك له ضرا ولا نفعا ، ولأتمحلن له ، فأمر به وكوي بخطين فوق رأسه فمات)) .

٢) الحديث متفق عليه من حديث جابر τ فقد أورده البخاري في كتاب الطب باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى : [فيه شفاء للناس] وفي باب الحجامة من الشقيقة في الرأس ، وفي باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ، وأورده مسلم في كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي بلفظ : ((حدثني نصر بن علي الجهضمي حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن عاصم بن عمر بن قتادة قال جاءنا جابر بن عبد الله في أهلنا ورجل يشتكي خراجا به أو جراحا فقال ما تشتكي قال خرج بي قد شق علي فقال يا غلام ائتني بحجام فقال له ما تصنع بالحجام يا أبا عبد الله قال أريد أن أعلق فيه محجما قال والله إن الذباب ليصيبني أو يصيبني الثوب فيؤذيني ويشق علي فلما رأى تبرمه من ذلك قال إني سمعت رسول الله ρ يقول : إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار قال رسول الله ρ وما أحب أن أكتوي قال فجاء بحجام فشرطه فذهب عنه ما يجد)) .

(٣) باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : [إنَّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] [النساء : ٤٨] . وقال الخليل عليه السلام : [واجنبني وبني أن نعبد الأصنام] [إبراهيم : ٣٥] .

(١)

وفي الحديث : ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال : الرياء)) .

وعن ابن مسعود τ أنّ رسول الله ρ قال : ((من مات وهو يدعو من دون الله ندآ دخل النار)) رواه البخاري .[2]

ولمسلمٍ عن جابرٍ τ أنّ رسول الله ρ قال : ((من لقي الله لايشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار)) .[3]

الشرح : مناسبته للترجمة : أنَّ الشرك لايغفر نعوذ بالله من الشرك ، وحقيقة الشرك أن تدعو لله ندا تعتقد فيه جلب النفع أو دفع الضر ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لايغفره الله عز وجل لذلك فإنَّه يخاف منه ، ويحذر لما له من العواقب الوخيمة السيئة . أمَّا في الشرك الأكبر فليس فيه خلاف أنَّه لايغفر ، وأنَّ صاحبه لايخرج من النار ، ولكن الخلاف في الشرك الأصغر ، فالحلف بغير الله والرياء العارض في العمل هل هو داخل تحت الآية ؟ !! وإن كان يدخل تحت هذه الآية فإنَّه يكون حكمه حكم الكبائر بأنَّ صاحبه يعاقب ، ثمَّ يخرج من النار ، ويدخل الجنة ، ولكنَّه يخالف الكبائر في أنَّه لايغفر ؛ بل لابدَّ أن يعاقب صاحبه في النار هذا رأي جماعةٍ من أهل العلم وقال قومٌ آخرون إنَّ الشرك الأصغر حكمه حكم الكبائر مطلقاً ، ولعلَّ حديث جابر يرجح الرأي الأول وهو أنَّ الشرك الأصغر لايغفر بل أنَّ الله يعاقب صاحبه ، ثمَّ يخرج من النار ــــ

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسند باقي الأنصار برقم الحديث ٢٧٧٤٢ وجاء فيه بلفظ : ((قال عبد الله وجدت هذا الحديث في كتاب أبي بخطه حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله ρ : ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)) قال الشيخ الألباني في صحيح الجامع في ج١ / ٣٢٣ برقم الحديث ١٥٥٥ حديث صحيح وأحال إلى السلسلة الصحيحة برقم ٩٥١ وصحيح الترغيب برقم ٢٩ وحسَّنه الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج٤ / ٢٥٣ برقم الحديث ٤٣٠١ .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : [ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا] وفي كتاب الأيمان والنذور باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته .

٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار .

ويدخل الجنة لإطلاق قوله : ((ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)) .

قوله وقال الخليل عليه السلام : [واجنبني وبني أن نعبد الأصنام] إذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كسَّر أصنام قومه ، ورمي في النار بأسباب ذلك ؛ يخاف على نفسه ، وعلى أبنائه من عبادة الأصنام ، ويدعو الله أن يجنبه ذلك ، فغيره من باب أولى .

وفي الحديث : ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال : الرياء)) وأقول : إنَّ الرياء خطير قلَّ أن يسلم منه العبد ، وبالأخص العارض في العمل ؛ علماً بأنَّ الرياء ينقسم إلى قسمين :

الأول : وهو يعد من الشرك الأكبر ، وهو الباعث على العمل ، وهو رياء المنافقين ؛ قال تعالى : [وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولايذكرون الله إلاَّ قليلا] [النساء : ١٤٢] فإذا كان الرياء هو الباعث على العمل بأنَّ المرائي لايعمل العمل إلاَّ من أجل الرياء ، فهذا من الشرك الأكبر الموجب للخلود في النار ؛ كأن يكون شخصٌ يصلي إذا كان مع الناس ، ويترك الصلاة إذا خلا ، وفي المحل الذي لايراه فيه أحد ، فهذا هو الباعث على العمل وهذا من الشرك الأكبر كما قلت .

الثاني : لكن إذا كان الباعث على العمل هو الإيمان ، وفي أثناء العمل عرض للإنسان حب الذكر أي حب الثناء ؛ كأن يقوم يصلي لله ، فإذا كان هناك شخصٌ ينظر إليه حسَّن صلاته أكثر فهذا التحسين في الصلاة يكون من الرياء العارض في العمل ، وهذا بحسب الحالات تارة يستمر فيه صاحبه فيحبط العمل ، وتارةً يستعيذ العبد فيه بالله من الشيطان ويخلص نيته لله فيكون الخلل في العمل بمقدار ما فيه من قصد الرياء ، والعياذ بالله .

ومن الشرك الأصغر شرك الإسناد الذي يجري على اللسان من غير اعتقاد ؛ كقولهم لولا الكلب لأتانا اللصوص ؛ لولا كذا لكان كذا ، وقولهم مطرنا بنوء كذا ، وأنَّ هذا النَّجم جاد من الجود ، وهو الكرم لما أنَّه حصل فيه مطر كثير ، ونحو ذلك ، فهذا الشرك الأصغر لايخرج من الإسلام ، ولاينقل صاحبه إلى الكفر ؛ لكن هل كونه معرضٌ للغفران أم لا ؟ هذا محل نظر كما سبق ، ولأهل العلم فيه مذهبان كما سبق أن بينت ذلك .

وعن ابن مسعود τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)) أي يدعو مخلوقاً جعله نداً لله يغفر الذنوب ، ويفرج الكروب ، ويحصِّل المطلوب ، فلكونه جعله

مساوياً لله لذلك استحق صاحبه أن يخلد في النار ، والمشرك حابط العمل أي أنَّ أعماله الخيِّرة كلها حابطة ، فلايقبل منه عمل خيري ؛ لاتقبل منه حسنة ، ولاتغفر له سيئة ؛ قال الله تعالى : [ولقد أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين] [الزمر : ٦٥] وقال عن الأنبياء الذين ذكرهم في سورة الأنعام : [ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون] [الأنعام : ٨٨] .

وقد أفاد حديث جابر عند مسلم أنَّ رسول الله ρ قال : ((من لقي الله لايشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار)) أنَّ هاتان الثنتين

الخصلتين موجبتان لمن مات لايشرك بالله شيئا وجب له دخول الجنة سواءً كان ذلك بدون سابق عذاب أو مع سابق عذاب ، ثمَّ تكون نهايته إلى الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا وجبت له النار ، وكتب عليه الخلود فيها وحرمت عليه الجنة إذا كان الشرك أكبر ؛ أمَّا الأصغر فقد سبق الكلام عليه ، ودليل الشرك الأكبر قول الله عز وجل عن عيسى بن مريم :] وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنَّه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار] [المائدة : ٧٢] وبالله التوفيق .

(٤) باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله

وقول الله تعالى :] قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني] [يوسف : ١٠٨] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ρ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : « إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاَّ الله » وفي رواية : « إلى أن يوحدوا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كل يومٍ وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم

أطاعوك لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنّه ليس بينها وبين الله حجاب ›› أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد τ أنَّ رسول الله ρ قال يوم خيبر : ‹‹ لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ρ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق في عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ، فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمْر النَّعم ›› (٢)

يدوكون يخوضون .

---

١) أخرج الرواية الأولى الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، والرواية الثانية أخرجها الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ρ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، وهناك رواية أخرى جاءت بلفظ : ((فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله)) فقد جاءت في صحيح البخاري في كتاب الزكاة باب زكاة البقر .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في لواء النبي ρ وفي باب فضل من أسلم على يديه رجل ، وفي كتاب المناقب باب مناقب علي τ وهو لفظ حديث الباب ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذي قَرَدٍ وغيرها ، وفي كتاب فضائل الصحابة باب فضل علي بن أبي طالب τ وفيه أيضاً لفظ حديث الباب .

الشرح : يقول الله عز وجل لنبيه ρ قل لهم يا محمد [هذه سبيلي] أي هذه طريقتي ، وهذا دأبي [أدعو إلى الله] أي إلى توحيده جلَّ وعلا بالعبادة ، ونبذ كل ما يدعى من دونه سواءً كانوا أنبياء أو صالحين أو أحجاراً أو أصناماً أو غير ذلك ؛ لأنَّ الله عز وجل هو الذي خلقنا وهو الذي يرزقنا ، ويدبر أمورنا ، وهو الذي نفوسنا في يده ، وقلوبنا بين أصابعه فلا يجوز أن تصرف العبادة لأحدٍ سواه ، ولايجوز أن يدعى أحدٌ غيره أو يدعى إلى عبادة غيره ؛ كل ذلك محرم لايجوز فعله .

إذن فاعلموا أيها الناس إنَّ هذا دأبي ، وهذه طريقتي أدعو إلى الله [على بصيرة] من كتاب ربي أو ما أوحاه إليَّ من السنة أنا ومن اتبعني أي اقتدى بي في هذا الطريق .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ρ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : ‹‹ إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاّ الله ›› وفي رواية : ‹‹ إلى أن يوحدوا الله وهذه الشهادة هي مقتضى التوحيد إذ أنَّها تحتوي على نفيٍ وإثبات ، فلا إله إلاَّ الله لامعبود

بحق غير الله عز وجل « إلاَّ الله » تثبت العبادة لله ، وأنَّه المنفرد بالألوهية دون سواه وفي رواية : « إلى أن يوحدوا الله » أي يفردوه بالعبادة « فإن هم أطاعوك لذلك »
وفي رواية : « فإن هم أطاعوا لك بذلك » أي وافقوك عليه ، وقبلوه منك ، وعملوا به « فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كل يومٍ وليلة »
وأقول إنَّ شهادة أن لا إله إلاَّ الله لاتقبل إلاَّ مع قرينتها شهادة أنَّ محمداً رسول الله ، فمن لم يأت بهما فإنَّه لايعدُّ مسلماً إلاَّ إذا جمع إلى وحدانية الله وتفرده بها إذا جمع إلى ذلك شهادة أنَّ محمداً رسول الله ، فإن هو فعل الشهادتين بأن اعتقدهما في قلبه ونطقهما بلسانه ، فهو الموحد المنقاد ، ويتبع ذلك العمل بالجوارح للأعمال المقتضية لهاتين الشهادتين ، والتي لاتتم الشهادتان إلاَّ بهما ، ومن ذلك أداء الصلاة ؛ لهذا قال : « فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كل يومٍ وليلة » وأقول الخمس

١) أخرجها الإمام النسائي في سننه في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ، وهي رواية صحيحة صححها الألباني في صحيح سنن النسائي ج٢ / ١٧٣ وفي سنن صحيح ابن ماجة برقم ١٧٨٣ وقال انظر إرواء الغليل برقم ٧٨٢ .

الصلوات هي الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والفجر ؛ وقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال : [حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين] [البقرة : ٢٣٨] والإشارة بالوسطى إلى أنَّها خمس ، والوسطى هي العصر ؛ لأنَّها توسطت بين صلاتي الفجر والظهر في النهار والمغرب والعشاء في الليل ، والأمر بهذه الخمس الصلوات أمرٌ بكل ما يلزم لها من شرائط وفرائض ، وواجبات .

ثمَّ قال : « فإن هم أطاعوك لذلك » أو « أطاعوك بذلك ، فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » هذه حقُّ الله في المال كما أنَّ الصلاة حقُّ الله في البدن ، وقد أخبرهم أنَّ هذه تؤخذ من أغنيائهم ، وترد على فقرائهم ، فنفعها يعود إليهم أي إخوانهم الذين يعايشونهم ، وذلك حق جعله الله في أموال الأغنياء ليواسى به الفقراء وفي ذلك من النفع ما فيه لأنَّه سبب في رضى الله عز وجل ، وثانياً دفع لشر هؤلاء الفقراء حتى لايتهموا الأغنياء بالاستئثار وسبب في بركة الله عز وجل لهم في تلك الأموال التي أبقوها كما قال عز وجل : [وما أنفقتم من شيءٍ فهو يخلفه وهو خير الرازقين] [سبأ : ٣٩] .

ثمَّ قال : ﴿ فإن هم أطاعوك لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ﴾ أي لاتأخذها في الزكاة فتظلمهم بأخذ الكرائم التي هي أعلى من الواجب عليهم ، فلايجوز للمُصَدِّق أي الذي يأخذ الزكاة أن يأخذ الكريمة ، ولايجوز للمعطي أن يبذل اللئيمة ؛ بل يجب عليهما أن يكون الأخذ من الوسط ما بين الكريمة واللئيمة إلاَّ في حالة أن يبذل المعطي الكريمة طوعاً من نفسه ، ومن هذا يؤخذ أنَّه لَمَّا أمرهم بالزكاة أوضح لهم ما يجب أخذه حتى لايتعرضوا لدعوة المظلوم ؛ لقوله ρ : ﴿ واتق دعوة المظلوم ، فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب ﴾ .

ويؤخذ من هذا الحديث البدء بالعقيدة في الدعوة .

ويؤخذ منه أيضاً التدرج في الدعوة بحيث يبدأ الداعي بالأهم ، ثمَّ ينتقل إلى المهم .

ويؤخذ منه أنَّ الدين شامل للحقوق البدنية والمالية .

ويؤخذ منه نهي المصَدِّق عن أخذ الكرائم .

ويؤخذ منه أنَّ زكاة كل قومٍ توزع على فقرائهم .

ويؤخذ منه أنَّ أموال الناس محترمة لايجوز أخذها بغير حق .

ويؤخذ منه أنَّ أخذ الكرائم ظلم .

ويؤخذ منه أنَّ دعوة المظلوم مستجابة .

ويؤخذ منه دليلٌ على تحريم الاشتراكية نظراً لأنَّ أموال الناس حرام على بعضهم بعض ؛ لقوله ρ في خطبة حجة الوداع : ﴿ أتدرون أي يوم هذا ؟ ! قالوا : الله ورسوله أعلم قال : حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال : أليس بيوم النحر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : أي بلد هذا أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ؛ في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت ؟ !! قلنا : نعم . قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلِّغٍ يبلغه لمن هو أوعى منه ﴾ رواه البخاري[١] ومسلم .

يقول المؤلف رحمه الله تعالى : ﴿ ولهما عن سهل بن سعد τ أنَّ رسول الله ρ قال يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ....﴾ الحديث .

أولاً : ترجمة الراوي : سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري صحابي شهير وأبوه صحابيٌّ أيضاً ذكر سهل أنَّه مات النبي ρ وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة مات سنة ٨٨ وقيل ٩١ هـ وقد جاوز المائة .

ثانياً : يؤخذ من قوله : : ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله)) ما كان من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من المبادرة إلى محبة الله ورسوله ، والأخذ بالأسباب التي توجب حب الله ورسوله للعبد .

ثالثاً : إنَّ الحرص على ما يوجب حبَّ الله ورسوله للعبد دليل على قوة الإيمان وزيادته عند من حرص على ذلك .

رابعاً : في هذا منقبة للصحابة بحرصهم على محبة الله ورسوله ، ومنقبة لعلي بن أبي طالب τ لأنَّه كان هو المقصود .

---

١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ، وفي كتاب الفتن باب قول النبي ρ : " لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " وأخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال من حديث أبي بكرة τ .

خامساً : يؤخذ من قوله : ((يفتح الله على يديه)) منقبة أيضاً لعلي بن أبي طالب ، وفضيلة له حيث فتح الله خيراً على يديه ، وكان قبل ذلك قد حصل في فتحه شيءٌ من الصعوبة .

سادساً : يؤخذ من قوله : ((فبات الناس يدوكون ليلتهم)) معنى يدوكون يخوضون ويتكلمون فيمن يتوقع أنَّه سيعطاها .

سابعاً : يؤخذ منه تسابق الصحابة على الخير ، وحبهم له ، وحرصهم عليه في قوله : ((كلهم يرجو أن يعطاها)) حتى أثر عن عمر بن الخطاب τ أنَّه قال : " ما أحببت الإمارة إلاَّ يومئذٍ " .

ثامناً : يؤخذ من قوله : ((فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع)) يؤخذ منه معجزة للنبي ρ حيث برأ علي بن أبي طالب τ من الرمد في الحال رغم ما يكون في الرمد من الصديد ، والرطوبة ، وكل شيءٍ في قدرة الله سهل.

تاسعاً : في قوله : ((فأعطاه الراية)) يؤخذ من هذه منقبة لعلي بن أبي طالب τ .

عاشراً : يؤخذ من قوله : ((انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه)) يؤخذ منه الدعوة إلى الإسلام ، وأنَّ قتال النبي ρ وجهاده إنَّما كان لنشر الإسلام في ربوع الأرض .

الحادي عشر : يؤخذ منه ردٌّ على من زعموا أنَّ الجهاد شرع للدفع ، ولم يشرع لنشر الدعوة وهذه دعوة باطلة مبطلة ؛ بل أنَّ الجهاد شرع لنشر الإسلام في ربوع الأرض ، وإنقاذ البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

الثاني عشر : يؤخذ من قوله : ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النَّعم)) والنعم هي الإبل ، والحمر منها أفضل من غيرها ، وكانت أنفس الأموال عند العرب .

الثالث عشر : يؤخذ من هذه الجملة أنَّ ثواب الدعوة إلى الله بإدخال رجل واحد في الإسلام خيرٌ من أنفس الأموال ، وأحسنها ، وبالله التوفيق .

(١) الأثر أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضل علي بن أبي طالب τ .

(٥) باب تفسير التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلاَّ الله

وقول الله تعالى :] أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب [[الإسراء : ٥٧] وقوله :] وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنَّني براءٌ مما تعبدون & إلاَّ الذي فطرني [[الزخرف : ٢٦ – ٢٧] وقوله :] اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله[[التوبة : ٣١] وقوله :] ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله [[البقرة : ١٦٥] وفي الصحيح عن النبي ρ أنَّه قال : ((من قال لا إله إلاَّ الله ، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ، ودمه ، وحسابه على الله)) . [١]

الشرح : يقول هنا عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : " عطف الشهادة على التوحيد من عطف الدال على المدلول فإنَّ التوحيد هو معنى لا إله إلاَّ الله ، ومدلولها مطابقةً يعني باب إيضاح التوحيد توحيد الألوهية والعبادة ؛ لأنَّه هو المقصود بالذات من تصنيف الكتاب ، وبيان مدلول شهادة أن لا إله إلاَّ الله من النفي والإثبات ، وما تضمنته من إخلاص العبادة لله وحده دونما سواه فالتفسير تارةً يكون بذكر ما تحت اللفظ من معنى ، وتارةً بذكر الضد والمنافي " انتهى .

وأقول : إنَّ تفسير شهادة أن لا إله إلاَّ الله الذي هو النفي والإثبات ، وهو نفي الألوهية عمَّا سوى الله ، وإثبات الألوهية له وحده ، فهذا هو ما تضمنته هذه الكلمة نفي الألوهية عمَّا سوى الله ، وإثبات الألوهية له وحده دون سواه ، وهذا هو حقيقة التوحيد ، وهو تفسيره .

وقول الله تعالى : [أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب] أيَّ إنَّ أولئك المدعوين الذين تدعونهم أنتم أيها المشركون هم كانوا يدعون ربهم ، ويتسابقون إلى مرضاته كلٌّ منهم يريد أن يتقرب إليه بالوسيلة التي شرعها على ألسنة رسله راجياً من الله أن يجعله من المقربين لديه ، فكيف أنتم تدعونهم الآن ، وتطلبون منهم جلب النفع ، ودفع الضر ؟!!! وكان ينبغي لكم أن تدعو الله عز وجل الذي كانوا يدعونه ، وتتقربوا إليه بدعوته وحده كما كانوا يتقربون إليه ، وكذلك أنَّ هؤلاء المدعوين عاجزون عن أن يجلبوا لكم نفعاً أو يدفعوا عنكم ضرا كما أنَّهم كانوا عاجزين عن جلب النفع لأنفسهم أو دفع الضر عنها ، وإنَّما كانوا يطلبون

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ... من حديث أبي مالك الأشعري عن أبيه رضي الله عنهما .

ذلك من الله جلَّ وعلا ، وقد قال جلَّ من قائل : [قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا] [الإسراء : ٥٦] أي لايملكون دفع الضر عنكم ، ولاتحويله إلى غيركم ، فالذي يقدر عليه هو الله وحده .

ثمَّ ذكر المؤلف الآية : [وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنَّني براءٌ مما تعبدون & إلاَّ الذي فطرني] ففي هذه الآية أخبر الله عز وجل أنَّ إبراهيم عليه السلام أعلن لأبيه وقومه براءته من عباداتهم ولمَّا كانت عبادتهم مخلوطة ، فهم تارةً يعبدون الله ، وتارةً يعبدون غيره ؛ تبرأ إبراهيم من عبادتهم لغير الله ، واستثنى من ذلك عبادة الله الذي فطرهم ، وفطر غيرهم أي خلق جميع المخلوقين فأثبتها ، ونفى سواها حيث قال : [إنني براءٌ مما تعبدون & إلاَّ الذي فطرني] فإنَّ عبادته وحده هي دأبي ، وعقيدتي ، وقرة عيني الذي تقر عيني به ، وأطمئنُّ إليه ، وإلى عبادته ، وتسكن نفسي إلى عبادته وحده [إلاَّ الذي فطرني] ابتدأ خلقي ، وكلمة فطر معناها ذلك ، وقد قال ابن عباس : " ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى احتكم إليَّ أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما أنا فطرتها " أي أنا الذي ابتدأت إنشاءها ، فمعنى فطرني ابتدأ إنشاء خلقي ؛ لذلك فهو المستحق أن تصرف إليه عبادتي ، ثمَّ قال :

وقوله : [اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله] الأحبار هم العلماء ، والرهبان هم العبَّاد ، ومن عادة الناس أن يرجعوا إلى هذين الصنفين ، وأن يأخذوا بكلامهم ، فقد عاب الله عزَّ وجل على الكفار اتخاذ الأحبار ، والرهبان أربابا من دون الله ؛ حيث جعلوهم مشرعين يحلون لهم ما حرَّم الله فيحلونه ، ويحرمون عليهم ما أحلَّ الله فيحرمونه ، وليس هذا بإطلاقه يوجب الخروج من الإسلام ، ولكن في ذلك تفصيل : –

فتارةً يبلغ بفاعله الخروج من الإسلام ، وذلك فيما إن اتخذوهم مشرعين ، وأخذوا تشريعاتهم وقدموها على ما شرع الله في كتابه ، وما شرع رسوله ρ معتقدين أنَّ تلك التشريعات مساويةً لشرع الله أو زائدة عليه .

أمَّا إن استفتوهم ، فأفتوهم بتحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، فأطاعوهم بذلك معتقدين صدقهم فيما أفتوا به لكونهم أهل علم ، وظنُّوا أنَّ الصواب معهم ، فهذا لايبلغ بمن فعله الكفر المخرج

---

[١]) انظر التمهيد لابن عبد البر في ج ١٨ / ٧٨ والإستذكار في ج٣ / ١٠٥ والنهاية في غريب الحديث في ج٣ ، ٤٥٧ عند لفظة : " فطرتها " .

من الملة ، ولكنَّه معصيةٌ كبيرة .

وقوله تعالى : [ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله] الأنداد هم النظراء

فمن اتخذ معبوداً سوى الله عز وجل يعبده ، ويطلب منه جلب النفع ، ودفع الضر ؛ معتقداً فيه القدرة على ذلك ، فهو قد اتخذه نداً لله عز وجل ؛ أي مساوياً له ، ونظيراً ، وهذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة ؛ لأنَّ من أحبَّ غير الله عز وجل كحب الله ، فإنَّه قد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة ؛ حتى ولو تسمَّى بالإسلام ، وزعم أنَّه مسلم ، فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ρ : [ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين] [الزمر : ٦٥] ويقول بعد ذكر الرسل الذين ذكرهم في سورة الأنعام آيه ٩٨ : [ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون] وفي الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » [١] .

وفي الصحيح عن النبي ρ أنَّه قال : « من قال لا إله إلاَّ الله ، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » في هذا الحديث دليلٌ على أنَّ القول يعني قول " لا إله إلاَّ الله " لابدَّ له من عمل يؤيده ، وهو الكفر بما يعبد من

دون الله ، وفي هذا تصديقٌ لقول لا إله إلاَّ الله الذي هو النفي والإثبات ، فنفي الآلهة سوى الله عز وجل حاصلٌ بـ" لا إله " وإثبات العبودية لله حاصلةٌ بقوله : " إلاَّ الله " فمن نفى الآلهة مع الله يلزمه أن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ، وأنَّ يعتقد أنَّ العبادة لاتصح ، ولاتقبل إلاَّ بهذين الشرطين يوقن بهما بقلبه عقداً ؛ بأن يعتقد أنَّ الألوهية أمرٌ يختص به الله عز وجل ، وأنَّ كل مألوه سواه فهو قد أله بغير حق ، فلذلك هو يكفر بكل معبودٍ سوى الله ، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت لقوله ρ : ((وكفر بما يعبد من دون الله)) فمن اعتقد الألوهية لله ، وكفر بما يعبد من دونه ، فإنَّه يكون قد استكمل الإيمان ، وبذلك يحرم ماله ودمه ، فيعصم دمه فلا يراق إلاَّ بحق ، ويعصم ماله فلايؤخذ إلاَّ بحق .

وما أكثر المخالفين في الأزمنة الأخيرة لهذا الشرط ، فتجد الواحد منهم يقول لا إله إلاَّ الله وهو يعبد غير الله معتقداً فيه جلب النفع ودفع الضر ، ومع ذلك يصلي ، ويزعم أنَّه مسلم ؛ بل

[١]) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الزهد والرقاق باب من أشرك في عمله غير الله من حديث أبي هريرة τ .

من تكلم في التوحيد ، ونهى عن عبادة القبور ، والأضرحة ، والسادة ، والأولياء ؛ قالوا هذا يبغض الأولياء ؛ بل تجد بعضهم داعيةً للشرك بالله عز وجل ، وهو مع ذلك يصلي ، ويصوم ويزعم أنَّه مسلم ، ولكنَّه يقبض النذور ؛ التي نذر بها للولي الفلاني ، ويجير من استجاره فيما لايقدر عليه إلاَّ الله ؛ بل يأتي الواحد من العامة الذين استعبدوا لهؤلاء السدنة ، فيدخل تحت سريره ، ويسجد لذلك السادن ، ويطلب منه شفاء مريضه أو رد ضالته أو هداية زوجته أو النصر على عدوه ، فيتعهد له ذلك السادن بأنَّ الله عز وجل سيفعل له ذلك الشيء المطلوب وكأنَّما يتعهد على ابنه أو قريبه ؛ الذي يمون عليه ؛ ألا فليتق الله هؤلاء الذين مسختهم الصوفية فجعلوا مع الله آلهةً أخرى ليتقوا الله عز وجل ، ويتركوا ما هم عليه من الشرك بالله ، وعبادة الطواغيت ، وإلاَّ فإنَّهم قد أنذروا بالنار الحامية ، والله سبحانه وتعالى يقول : [فذوقوا فلن نزيدكم إلاَّ عذابا] [النبأ : ٣٠] فمن آمن بالله ، وكفر بما يعبد من دونه عصم دمه ، وماله ويكون حسابه على ربه سبحانه وتعالى إلاَّ أنَّه موعودٌ بخير؛ قال الله تعالى : [وبشر الذين آمنوا أنَّ لهم قدم صدقٍ عند ربهم] [يونس : ٢] وبالله التوفيق .

(٦) باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى : [قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍ هل هنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمةٍ هل هنَّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون] [الزمر : ٣٨] .

وعن عمران بن حصين τ أنَّ النبي ρ رأى رجلاً[١] في يده حلْقةً من صُفْر ، فقال : ((ما هذه ؟ قال : من الواهنة : قال : انزعها ، فإنَّها لاتزيدك إلاَّ وهنا ، فإنَّك لو مُتَّ وهي عليك ما أفلحت أبدا)) رواه أحمد بسندٍ لابأس به ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ورواه بنحوه أيضاً عن أبي عامر الخراز عن الحسن .

وله عن عُقْبة[٢] بن عامر τ : ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له[٣] وفي رواية : ((من تعلق تميمةً فقد أشرك)) .

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنَّه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحمَّى فقطعه وتلا قوله : [وما يؤمن أكثرهم بالله إلاَّ وهم مشركون] [يوسف : ١٠٦].

الشرح : الرفع يكون بعد وجود البلاء ، والدفع يكون قبل وجوده ؛ كما يعتقد بعض الناس أنَّ هناك أشياء تدفع العين أو تدفع الجن ، وما أشبه ذلك ، وهذا أمرٌ خطير ، فمن بنى بيتاً وقيل له

---

١) قال محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي في كتابه مختار الصحاح ص١٧٧ : " الصُّفْرُ بالضم نحاسٌ يعمل منه الأواني وأبوعبيدة يقوله بالكسر " اهـ .

٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند في ج٤ / ٤٤٥ برقم الحديث ٢٠٠١٤ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج١٣ / ٤٤٩ برقم الحديث ٦٠٥٨ في كتاب الرقى وأخرجه الحاكم في المستدرك في ج٤ / ٢١٦ وأخرجه ابن ماجة في السنن في ج٢ / ١١٦٧ برقم ٣٥٣١ باب تعليق التمائم والطبراني في المعجم الكبير ج٨ / ٦٧ برقم ٧٧٠٠ وفي ج١٨ / ١٧٩ برقم ٣٩١ وابن أبي شيبة في ج٥ / ٣٥ برقم الحديث ٢٣٤٦٠ وفي مصنف عبد الرزاق في ج١١ / ٢٠٩ برقم الحديث ٢٠٣٤٤ .

٣) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في ج١٣ / ٤٥٠ برقم الحديث ٦٠٨٦ وفي المستدرك للحاكم في ج٤ / ٢٤٠ برقم الحديث ٧٥٠١ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال الذهبي في التلخيص صحيح وفي المستدرك أيضاً في ج٤ / ٤٦٣ برقم الحديث ٨٢٨٩ وأخرجه البيهقي في السنن في ج٩ / ٣٥٠ برقم الحديث ١٩٣٨٩ وأخرج في شرح معاني الآثار في ج٤ / ٣٢٥ برقم الحديث ٦٦٦٠ وأخرجه الإمام أحمد في ج٤ / ١٥٤ برقم الحديث ١٧٤٤٠ قال الهيثمي في مجمع الزوائد في ج٥ / ١٠٣ : " رجال أحمد ثقات " وأخرجه أبو يعلى في مسنده في ج٣ / ٢٩٥ برقم الحديث ١٧٥٩ وفي مسند الشاميين في ج١ / ١٤٦ برقم الحديث ٢٣٤ والطبراني في المعجم الكبير في ج٧ / ٢٩٧ برقم الحديث ٨٢٠ .

٤) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره في ج٤ / ٣٤٢ وفي النهج السديد ص٥٧ وقال : " ضعيف رواه ابن أبي حاتم وقد أورده بسنده في تفسير العزيز الحميد من طريق عروة بن الزبير عن حذيفة ولايعرف لعروة سماع من حذيفة " وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنفه في ج٥ / ٣٥ برقم الحديث ٢٣٢٦٢ .

إذا كنت تريد أنَّ الجن ما تؤذيك في بيتك هذا فأهرق فيه دماً أي أرق دماً للجن حتى ما تؤذيك فإن صدَّق هذا الكلام ، وأراق دماً للجن ولو كان دم عصفور أو ديك أراقه لاسترضاء الجن أو الناس ؛ كما حصل أنَّ قوماً ممن قبلنا كان لهم صنمٌ ، وكانوا على طريق الناس ، فقرروا أنَّهم لايمرُّ بهم شخصٌ إلاَّ ويقرب لصنمهم هذا شيئا ، ويمنعون المارة من المرور إلاَّ بعد أن يقربوا لصنمهم هذا ، فمن قرب له ولو ذباباً خلوا سبيله ، ومن لم يقرب له شيئا قتلوه ، فمر بهم رجلان فأحدهما قرب ونجا من القتل ؛ لكنَّه استوجب النار جزاءً له على ما فعل ، والآخر قال لم أكن لأقرب لأحدٍ دون الله شيئا ، فضربوا عنقه فدخل الجنة ؛ فيا عبد الله كن موحداً ، ومت على التوحيد لتنجو من عذاب ربك .

وقول الله تعالى : [قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍ هل هنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمةٍ هل هنَّ ممسكات رحمته] معنى هذه الآية قل لهم يا محمد [أفرأيتم] يا مشركون [ما تدعون من دون الله] أي الذين تدعون من دون الله من معبودات كاللات ، والعزى ومناة وغيرها [إن أرادني الله بضر] أي بضرٍّ يصيبني هل هذه الآلهة تقدر على كشفه ؟ الجواب : أنَّها لاتقدر على كشف الضر الذي يريده الله عز وجل ، ولاتقدر على منع الرحمة التي يريدني بها ربي [أو أرادني برحمةٍ هل هنَّ ممسكات رحمته] وهذا يستفاد منه عدم قدرتها لا في النفي ، ولا في الإثبات ، فهي لاتقدر على كشف الضر الذي يريده الله بي ، ولاتقدر على منع الرحمة التي يريدها الله بي ، وهذا إخبارٌ عن عجز الآلهة كلها

كقوله سبحانه وتعالى : [يا أيها الناس ضرب مثلٌ فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب] [الحج : ٧٣] .

ثمَّ أورد حديث عمران بن حصين τ أنَّ النبي ρ رأى رجلاً في يده حلقةً من صفر فقال : ((ما هذه ؟ قال : من الواهنة : قال : انزعها ، فإنَّها لاتزيدك إلاَّ وهنا ، فإنَّك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا)) مضمون هذا الحديث أنَّ من تعلق شيئا أنَّه يوكل إلى الشيء الذي تعلقه سواءً كان من صفر أو من حديد أو من خيوط أو من سيور أو غير ذلك ؛ كل هذه الأشياء لاتفيد من تعلقها شيئا ، والمؤمن متوكل على الله ، فيبقى المؤمن مرتبطاً بربه سبحانه وتعالى غير ملتفتٍ لأحدٍ سواه وهذا هو التوحيد الذي لايقبل الله من الخلق عبادة بدونه ؛ سواء كانت صلاةً أو صوماً أو صدقةً

أو غير ذلك لاتقبل إلاَّ بالتوحيد ؛ لأنَّه أساسها ، وقاعدتها .

وله عن عقبة بن عامر τ : ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له))

وفي رواية : ((من تعلق تميمةً فقد أشرك)) .

عقبة بن عامر بن عمرو الجهني τ صحابي مشهورٌ فاضل ؛ روى عنه جماعةٌ من الصحابة والتابعين ؛ أحد من جمع القرآن .

قوله : " من تعلق تميمة " أي علقها عليه أو على غيره من طفل ، ودابة متعلقا بها قلبه في طلب خير أو دفع شر " فلا أتمَّ الله له " أي لا أتمَّ الله له ما قصده ؛ دعاءٌ عليه بنقيض قصده ، وأنَّ الله لايتم له أمره ، ودعاءه ρ على متعلقها يفيد أنَّه محرم ، وتحريمه يفيد أنَّه من المحرمات الشركية وإنَّما كان شركاً لما يقوم بقلب المتعلق من الاعتماد على غير الله في جلب النفع أو دفع الضر وكمال التوحيد لايحصل إلاَّ بترك ذلك .

وأقول : لقد عرفنا فيما سبق أن بعض الناس يعلق على نفسه أو على ولده تميمة ، فيتعلق قلبه بتلك التميمة بأنَّها تدفع عنه الشر والأذى ، وكم رأينا من أناس يكون متعلقاً لتميمة ، فإذا حاولت إزالتها عنه ظنَّ بأنَّك ألقيته إلى الموت ، وقد يكون أنَّ بعض الناس يعلق على دابته شيئا يزعم أنَّه يصرف عنها العين أو يصرف عنها الجن ، فقد كنَّا في الأزمنة السابقة الختين يحمل شفرة أي سكيناً يزعمون أنَّ هذه الحديدة التي يحملها تدفع عنه الشياطين ، وكذلك أيضاً النفساء تحمل شرمة تزعم بأنَّها تمنع ولدها[١] من الشياطين ، وكان بعض الناس يتعلق عظم نسر ، وبعضهم يتعلق شيئاً من

الضَّبُع ، وبعضهم يتعلق عين الذئب ، وكذلك أيضاً كانوا يعلقون على الجمال الجمل الكبير يعلقون عليه سبعةً من أعواد السداد ، وهكذا وهكذا أشياءٌ كثيرة جعلها الشيطان للناس فيكون قلب المتعلق متعلقاً بها يظنُّ أنَّها تحميه ، ومن ذلك أيضاً تعلق الودع وتعلق الخيوط ؛ كل هذا لايجوز للمسلم أن يفعله ؛ لأنَّه تعلق بغير الله .

وبالجملة فمن تعلق شيئاً يزعم بأنَّه يجلب له نفعاً أو يدفع عنه ضراً فإنَّه في هذه الحالة يعتبر قد أشرك بالله شركاً أكبر أو شركاً أصغر على الأقل ، ولهذا فإنَّه لايخلو من إحدى العقيدتين ، فإن اعتقد أنَّ صحته ، وسلامته متوقفة على هذا الشيء المتعلَّق ، فإن قطع منه أو أزيل عنه اعتقد بأنَّه

١) باللهجة الدارجة في منطقة جازان يسمَّى المحش المقطوع أي سكين من نوع خاص يقطع به النبات ؛ قال شيخنا النجمي : " الشرمة المحش إذا انكسر وبقي أصله يقال له شرمة ، فالمرأة تجعل لها شرمة ، ويجعلون حديدة تحت سرير المولود ، ويقولون يدفع عنه الجن ، والختين لايخرج إلاَّ والشفرة في يده "

٢) قال شيخنا النجمي : " وهو شجر لا ورق فيه تبنى عليه أشجارٌ أخرى ، وتعرش عليه "

قد تعرض للهلاك ، فإنَّ هذا يعدُّ من الشرك الأكبر ، وإن اعتقده سبباً مع علمه بأنَّ الله هو الشافي ، والواقي ، فإنَّه يكون في حقه شركاً أصغر ، والله تعالى أعلم .

الودع : هو صدفٌ يخرج من البحر يتخذه بعض الناس الفقراء للزينة ، ويلعب به الأطفال ويكون شركاً إذا كان يعلقه معتقداً فيه أنَّه يدفع العين أو الشياطين .

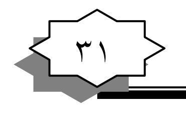
أمَّا من تعلق الودع كزينة كما يفعله النساء من سكان الجبال ، فهذا لايعتبر من الشرك ولايدخل في الشرك .

قوله : « فلا ودع الله له » أي فلا تركه ؛ بل يعاجله بالعقوبة هكذا فيما يظهر .

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنّه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحمّى فقطعه وتلا قوله : [وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون] [يوسف : ١٠٦].

قوله : « في يده خيطٌ من الحمى » كان الناس في الأزمنة القديمة يتخذ أحدهم خيطاً يرقى فيه ويعقد يقرأون شيئاً من القرآن ، وأحياناً من غيره ، ويربط بسبع ربطات ، ثمَّ يقولون هذا يدفع عنه المرض أو الحمى أو ما أشبه ذلك ، وقد كان الناس في الزمن السابق يفعلون ذلك ، علماً بأن قطع العزيمة أو الخيط أو الشيء المتعلَّق من دون نصيحة صاحبه واقناعه بأنَّه لايغني عنه شيئا ولايدفع عنه ضرَّاً ، ولايجلب له نفعا ؛ هذا إنَّما يكون ممن له سلطة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم حين قطع تلك الحلقة عن الرجل من دون رضاه ؛ لأنَّه ولي الأمر ، وحذيفة كان هو أمير المدائن في ذلك الوقت ، فالمهم أنَّ ما حصل من حذيفة رضي الله عنه لأنَّه كان من ولاة الأمر كما أنَّ النبي صلى

الله عليه وسلم هو ولي الأمر ، والمشرِّع ؛ فلايجوز أن نأخذ بهاتين القصتين ، ونقطع كل من رأينا عليه شيئاً من ذلك رضي أو لم يرض ، فهذا خطأ ؛ بل يجب أن يكون الإنكار باليد لولاة الأمر ، وللرجل في أهل بيته ؛ أمَّا من عدا ذلك فينبغي أن يكون إنكاره بالتوجيه والإقناع فإن اقتنع قطعته عنه بعد قناعته ، وإلاَّ فلا ، وبالله التوفيق .



(٧) باب ما جاء في الرقى والتمائم

وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري τ : « أنَّه كان مع رسول الله ρ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً ألاَّ يبقينَّ في[1] رقبة بعير قلادةً من وتر أو قلادة إلاَّ قطعت » .

وعن ابن مسعود τ قال سمعت رسول الله ρ يقول : « إنَّ الرقى[2] ، والتمائم ، والتولة شرك » رواه أحمد ، وأبو داود .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : « من تعلق[3] شيئا وكِّل إليه » رواه أحمد ، والترمذي .

التمائم شيءٌ يعلق على الأولاد من العين ؛ لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخَّص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخِّص فيه ، ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعودٍ τ .

والرقى : وهي التي تسمَّى العزائم ، وخصَّ منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخَّص فيه رسول الله ρ من العين ، والحمة .

التولة : شيءٌ يصنعونه يزعمون أنَّه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ρ : « يا رويفع لعلَّ الحياة ستطول بك فأخبر الناس أنَّ من عقد لحيته أو تقلَّد وترًا أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم ، فإنَّ محمداً

---

١) الحديث متفق عليه ، فقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير .

٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم الحديث ٣٦٠٤ ترقيم إحياء التراث ، وورد في سنن أبي داود في ج٤ / ٩ برقم الحديث ٣٨٨٣ وكذا ورد عند ابن حبان في صحيحه في ج١٣ / ٤٥٦ برقم الحديث ٦٠٩٠ وورد في المستدرك على الصحيحين في ج٤ / ٤٦٣ برقم الحديث ٨٢٩٠ وقال الحاكم : " حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه " وأورده البيهقي في السنن الكبرى في ج٩ / ٣٥٠ برقم الحديث ١٩٣٨٧ ، وأورده أبو يعلى في مسنده في ج٩ / ١٣٣ برقم الحديث ٥٢٠٨ ، وفي المعجم الكبير للطبراني في ج١٠ / ٢١٣ برقم ١٥٠٠٣ وفي الأوسط له في ج٢ / ١١٩ برقم الحديث ١٤٤٢ وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١ / ٣٣٦ برقم الحديث ١٦٣٣ وقد أشار رحمه الله إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٣٣١ .

٣) الحديث أخرجه الإمام النسائي (المجتبى) في حكم السحرة في ج٧ / ١١٢ برقم الحديث ٤٠٧٩ وفي السنن الكبرى له في ج٢ / ٣٠٧ برقم الحديث ٣٥٤٢ وأورده البيهقي في السنن الكبرى في ج٩ / ٣٥١ برقم الحديث ١٩٣٩٥ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل في ج٤ / ٣١٠ برقم الحديث ١٨٨٠٣ وأورده ابن أبي شيبة في مصنفه باب في تعليق التمائم في ج٥ / ٣٦ برقم الحديث ٢٣٤٧٤ وأورده الإمام الترمذي في كتاب الطب باب ما جاء في كراهية التعليق برقم الحديث ٢٠٧٢ وقد أشار الإمام الألباني إلى صحة هذا الحديث وذلك في صحيح الترمذي ج٢ / ٤١٠ وقال صحيح انظر غاية المرام ٢٩٧ .

بريءٌ منه)) .

وعن سعيد بن جبير τ قال : ((من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة)) رواه وكيع .[٣]

وله عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن ، وغير القرآن .

الشرح : الرقى : جمع رقية ، والرقية هي العَوْذة يعوَّذ بها المريض ؛ وهو أن يقرأ شيئاً من القرآن وينفث على المريض ، وكذلك ما ورد من التعوذات في السنة فقد ورد أن النبي ρ كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : ((أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامَّة)) يفعل ذلك ثلاث مرات[٤] ، ويمسح على رأس الصبي ، وقال لقد كان إبراهيم الخليل يعوذ بها إسماعيل وإسحاق .

وورد في الرقية حديث أبي سعيد الخدري τ : ((أن ناساً من أصحاب النبي ρ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك القوم ، فقالوا هل معكم من دواء أو راق فقالوا إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا فجعلوا لهم قطيعا من الشاء فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي ρ فسألوه فضحك وقال وما أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي بسهم))[٥] .

فهذه الأحاديث دالة على جواز الرقية ؛ لكن بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن تكون من الكتاب أو السنة .

الشرط الثاني : أن تكون باللفظ العربي .

الشرط الثالث : ألاَّ يعتقد فيها أنَّها التي تشفي بل يعتقد أنَّها سبب .

١) الحديث أخرجه الإمام النسائي في كتاب الزينة باب عقد اللحية ، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة باب ما ينهى عنه أن يستنجي به وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند الشاميين برقم إحياء التراث : ١٦٥٤٧ و١٦٥٤٨ و١٦٥٥٢ وقد صحح الإمام الألباني هذا الحديث في صحيح الجامع ج٢ / ١٣١٠ برقم الحديث ٧٩١٠ وقال انظر صحيح أبو داود رقم ٢٦ والمشكاة رقم ٣٥١ .
٢) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف في ج٥ / ٣٦ برقم الحديث ٢٣٤٧٣ .
٣) والأثر أيضاً أخرجه ابن أبي شيبة برقم الحديث ٢٣٤٦٧ .
٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الطب باب ما جاء في الرقية من العين ، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب السنة باب في القرآن وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بترقيم إحياء التراث رقم ٢١١٣ و ٢٤٣٠ وذلك في مسند بني هاشم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
٥) الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد ، واللفظ الوارد في الشرح من صحيح الإمام البخاري في كتاب الطب باب الرقى بفاتحة الكتاب ويذكر عن ابن عباس عن النبي ρ وأورده الإمام مسلم في كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار .

أمَّا التمائم : فهي جمع تميمة ، والمراد به الشيء المتعلق الذي يتعلقه الإنسان ليجلب به نفعا أو يدفع به ضراً ، وقد اختلف السلف في المتُعلَّق إذا كان من القرآن هل يجوز ذلك أو لا يجوز ؟ والصحيح أنَّه لايجوز ذلك :

١- لأنَّ تعلق الآيات القرآنية يعرضها للامتهان ، فيحملها الرجل عند قضاء حاجته ، والمرأة عند حاجتها ، وأثناء حيضها ، والرجل والمرأة معاً عند جماعهما ، وهذا أمرٌ لايجوز .

٢- أنَّه لم يرد عن النبي ρ هذا ، وإنَّما ورد عنه الرقية ، وما عدا الرقية من كتابة الآيات ومحوها أو غير ذلك فإنَّه غير مشروع ، ولاينبغي مزاولته ؛ والمحو هو أن تكتب الآيات في إناء ثمَّ تمحى الكتابة بالماء ، ويشربه المريض ؛ وهذا غير مأثور عن النبي ρ ولا عن أصحابه ، وما ورد عن ابن مسعود في قوله ρ : « إنَّ الرقى ، والتمائم ، والتولة شرك » فهو محمول على الرقية الممنوعة التي يكون فيها تعاويذ بأسماء غير معلومة ؛ أمَّا التمائم ، فالمعروف أنَّ الناس عندما يتعلقون التمائم تتعلق قلوبهم بها فيكون الواحد منهم معتقداً بأنَّ تلك التميمة هي التي تدفع عنه الأخطار وتؤمنه من المخاوف وهذا هو الشرك بعينه .

أمَّا التِّولة : فهي ما يصنع لتحبيب الرجل إلى امرأته أو المرأة إلى زوجها ، وهذا كله لايجوز بل أنَّ من يفعلون ذلك إنَّما يفعلونه بنوعٍ من السحر ، والسحر حرام ، ولايقدر على فعله إلاَّ كافر .

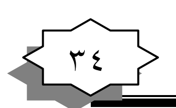
أما حديث أبي بشير الأنصاري τ : « أنَّه كان مع رسول الله ρ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً ألاَّ يبقينَّ في رقبة بعير قلادةٌ من وتر أو قلادة إلاَّ قطعت » .

الوَتر : هي السيور التي يشد بها القوس ، فإذا بلي وأرادوا إبداله أخذوه وقلدوه الدابة زعماً منهم أنَّه يدفع عنها العين أو يدفع عنها الشياطين ، وهذا هو الشرك بعينه .

أمَّا قوله : « أو قلادة » يعني أيّ قلادة تكون ، فإنَّه لايجوز تعلقها من أجل الاعتقاد ، وغالباً أنَّ الذين يقلدون الدابة أنَّهم إنَّما يقلدونها لاعتقادهم في ذلك .

قوله هنا : " والرقى : وهي التي تسمَّى العزائم ، وخصّ منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخّص فيه رسول الله ρ من العين ، والحمة " وأقول : فرق بين الرقية والعزيمة : –

فالعزيمة هي ما يكتب لحمله . والرقية هي أن يقرأ الراقي ، وينفث بدون كتابة .



والرقية جائزة ؛ أمَّا العزائم ، والتمائم ، فهي ممنوعة كما تقدم ، وتجوز بشروطها ، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال : «كنا نرقي في الجاهلية ، فقلنا يا رسول الله : كيف ترى في ذلك ؟ فقال : اعرضوا علي رقاكم ؛ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك »[1] قال في فتح المجيد قال الخطابي : " وكان عليه السلام قد رقى ، ورقي ، وأمر بها ، وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن ، وبأسماء الله ، فهي مباحة أو مأمورٌ بها ، وإنَّما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب فإنَّه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك " وقال شيخ الإسلام : " كل اسمٍ مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلاً عن أن يدعو به ولو عرف معناه " وقال السيوطي : " أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط أن تكون من كلام الله ، وبأسمائه وصفاته وباللسان العربي ، وأن يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثر بذاتها ؛ بل بتقدير الله تعالى " اهـ .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : « من تعلق شيئا وكِّل إليه » رواه أحمد ، والترمذي .

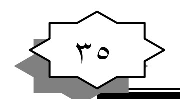
ترجمة الراوي عبد الله بن عكيم : " بالتصغير الجهني أبو معبد الكوفي مخضرم من الثانية ، وقد سمع كتاب النبي ρ إلى جهينة مات في إمرة الحجاج . التقريب ٣٥٠٦ " اهـ . المخضرم يعتبر درجة ثانية بعد الصحابة ، وهو فوق التابعين ، والمخضرم هو من كان في عهد النبي ρ رجلاً وأسلم ، ولم يلقه مثل عبد الله بن عُسيلة ، وأبو عثمان النَّهْدي ، وأبو مسلم الخولاني ، وكميل بن زياد . وأبو رجاء العطاردي ، وغيرهم كثير يبلغون حوالي أربعين رجلاً .

يؤخذ من هذا : أنَّ من تعلق شيئا معتقداً فيه أنَّه يجلب نفعاً أو يدفع عنه ضرا ، فإنَّه بهذا يكون قد جعل عقيدته في الشيء الذي تعلقه ، ومن أجل ذلك ، وكله الله إليه ، وهذا تهديدٌ ، ووعيد لمن أشرك بالله شيئا من المتعلقات معتقداً في ذلك . قال في التعليق المفيد لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله : " فينبغي للإنسان أن يعتمد ، ويتوكل على الله وحده فهذا هو الذي

ينفعه مع الأخذ بالأسباب ؛ كما في حديث : ((احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله)) فالأخذ بالأسباب أمرٌ لازم من الأدوية ، والاستقامة على شرعه ، وتعاطي أسباب العافية وطلب الرزق ، فالأسباب ما بين الواجب ، والجائز ، فعليه أن يتعاطى الأسباب الجائزة والواجبة ، والأخذ بذلك لايقدح في التوحيد ؛ بل تركها يقدح في العقل والتوحيد جميعاً " اهـ .

ثمَّ ذكر ما رواه أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ρ : ((يا رويفع لعلَّ الحياة ستطول بك

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك



فأخبر الناس أنَّ من عقد لحيته أو تقلّد وترًا أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم ، فإنَّ محمداً بريءٌ منه)). ترجمة رويفع : " رويفع بالفاء بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري المدني صحابي سكن مصر ، ولي أمارة بُرْقَة ، ومات بها سنة ٥٦ " اهـ .

وأقول : عقد اللحية أو تعقيدها هو ضفرها أو تصفيفها للتكبر ، والتعاظم . أمَّا العناية بها تسريحاً ، وتكريما ، فهذا ليس بمنهي عنه ؛ أفاد ذلك الشيخ عبد العزيز في تعليقه رحمه الله على هذا الموضع .

المسألة الثانية : تقلد الوَتر ، والوتر هي السيور التي تجمع بين طرفي القوس ، ويوضع فيها السهم وكانوا إذا رمَّ الوتر القديم أخذوا بدلاً عنه ، وعلقوه في عنق البعير أو غيره ؛ يزعمون أنَّه يدفع العين ، ويدفع الشياطين ، والله سبحانه وتعالى هو الذي يدفع الضر ، ويجلب النفع ، وكذلك النهي عن الاستنجاء برجيع الدابة وهو روثها ، وكذلك الاستنجاء بالعظام ؛ كل ذلك تبرأ النبي ρ من فاعله .

الحديث فيه لين ، وصححه الألباني ، وفيه عَلَمٌ من أعلام النبوة ، وهو قوله لرويفع : ((لعل الحياة ستطول بك)) وفعلاً فقد طال عمره τ .

وعن سعيد بن جبير τ قال : ((من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة)) رواه وكيع بن الجراح .

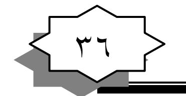
معنى : ((كعدل رقبة)) بمعنى أنَّه يساوي العتق في الأجر . قال الشيخ عبد العزيز في تعليقه على هذه الفقرة قال : " لأنَّه سيخلص هذه الرقبة من النار ، ومن الشرك فيكون أفضل من عتق الرقبة " اهـ . قلت ولاشكَّ أنَّ إنقاذ الإنسان المسلم من الشرك ، وإفهامه بالتوحيد فيه أجرٌ عظيم يفوق أجر العتق فيما نرجو .

ثمَّ أورد الأثر عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن ، وغير القرآن .

وإبراهيم هذا هو : إبراهيم بن يزيد النَّخعي من التابعين من أصحاب ابن مسعود " كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن " وكذلك ابن مسعود τ يكره ذلك لسببين :

١- السبب الأول : لعموم الأحاديث الناهية .

٢- السبب الثاني : سداً للذرائع الموصلة للشرك ، فلا يعلق مصحف ، ولا آياتٌ منه ولا أحاديث ، ولاطلاسم ، ولاعظام ، فكله شرك ، وبالله التوفيق .



(٨) باب من تبرك بشجرٍ أو حجرٍ ونحوهما

وقول الله تعالى : [أفرأيتم اللات والعزى] [النّجم : ١٩] .

وعن أبي واقد الليثي τ قال : « خرجنا مع رسول الله ρ إلى حنين ، ونحن حدثاء عهدٌ بكفر وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ؛ يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرةٍ فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ρ : الله أكبر ؛ إنّها السنن ؛ قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : [اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قومٌ تجهلون] [الأعراف : ١٣٨] لتركبنَّ سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي[١] ، وصححه .

الشرح : التبرك هو التماس البركة من الشيء ، فمن تبرك بشيءٍ كان على حد زعمه أنَّ ذلك الشيء فيه بركة ، والبركة هي مكاثرة الشيء ، وجعله كثيراً أكثر من العادة ، وكون الإنسان يعلم أنَّ هذا الشيء فيه بركة أمرٌ مرفوض ، وغير مقبول إلاَّ أن يكون هذا العلم ، واردٌ من الله عز وجل كما قال النبي ρ : « كلوا في القصعة من جوانبها ، ولا تأكلوا من وسطها ، فإن البركة تنزل في وسطها »[٢] ومعنى ذلك أنَّ البركة تنزل فيها ، فيكثر الطعام أو الماء ، وذلك إذا سمَّي عليه ، وقد كان تكثير الطعام في زمن النبي ρ أمراً محسوساً كعناق جابر ، وصاعه من الشعير ، ولقد أتي بأهل الخندق أرسالاً وكانوا ما بين ألف وأربع مائة وألف وخمسمائة فأكلوا جميعاً من تلك العناق ، وذلك الصاع من الشعير[٣] ، والمهم أنَّ التبرك لايجوز ، ولايتصور إلاَّ بخبرٍ

---

١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم الحديث ٣٧٣٧٥ قلت : وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي في ج٢ / ٤٦٥ وقال : انظر ظلال السنة ٧٦ والمشكاة رقم ٥٣٦٩ وأخرجه أحمد في مسند الأنصار رقم الحديث ٢١٣٩٠ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج٥ / ٩٤ برقم الحديث ٦٧٠٢ وفي السنن

الكبرى للبيهقي في ج٦ / ٣٤٦ برقم ١١١٨٥ وفي مسند أبي يعلى في ج٣ / ٣٠ برقم ١٤٤١ وفي مسند الطيالسي في ج١ / ١٩١ برقم ١٣٤٦ وفي المعجم الكبير في ج٣ / ٢٤٣ برقم ٣٢٩٠ وفي ج٧ / ٢١ رقم ٢٧ وفي مصنف عبد الرزاق في ج١١ / ٣٦٩ برقم ٢٠٧٦٣ وفي مصنف ابن أبي شيبة في ج٧ / ٤٧٩ رقم الحديث .

٢) بهذا اللفظ جاء عند الإمام أحمد في مسند بني هاشم برقم الحديث ٢٤٣٥ وأخرج الحديث الإمام الترمذي في كتاب الأطعمة باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام ، وأخرجه الإمام أبي داود في كتاب الأطعمة باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة ، وأخرج الحديث ابن ماجة في كتاب الأطعمة باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد ، وأخرجه الدارمي في كتاب الأطعمة باب النهي عن أكل وسط الثريد حتى يأكل جوانبه ، والحديث صحيح كما ذكر ذلك الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١ / ٢٠٤ برقم الحديث ٨٢٩ عن ابن عباس وأشار رحمه الله إلى المختارة ٦٠ / ٢٣٧ / ٢ .

٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الخندق وهي الأحزاب قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع وقد جاء فيه عن جابر بن عبد الله τ بلفظ قال : ((لما حفر الخندق رأيت بالنبي ρ خمصا شديدا ، فانكفأت إلى امرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ، فإني رأيت برسول الله ρ خمصا =

من الله بواسطة رسوله ρ .

وقول الله تعالى : [أفرأيتم اللات والعزى] أي أرأيتم هذه الآلهة التي تتألهون لها ، وتنسبونها إلى الله عز وجل ، فأعطيتموه الإناث ، وأخذتم لأنفسكم الذكور ، ومعلومٌ فضل الذكر على الأنثى فكيف تجعلون لربكم القسم الدنيء الذي تأنفون منه ، وقد قال سبحانه وتعالى : [وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم & يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون] [النحل : ٥٩] .

فكيف أنتم تأنفون منه ، وتجعلونه لربكم ، وتزعمون أنَّ الملائكة بنات الله ، فإنَّ هذه القسمة لو وقعت بين شخصين لكانت قسمةٌ جائرة موصوفة بأنَّها ضيزى ، فكيف إذا نسبتم ذلك إلى الله فإنَّ نسبة ذلك إليه أمرٌ عظيم ، وفضيع : [تكاد السموات يتفطرنَّ منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا & أن دعوا للرحمن ولدا & وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا & إن كل من في السموات والأرض إلاَّ آتي الرحمن عبدا & لقد أحصاهم وعدهم عدا] [مريم : ٩٠- ٩٤] .

والخلاصة أنَّ الله يقول لهم كيف تنسبون إلى الله الإناث ، وتجعلون لأنفسكم الذكور ، وأنتم تأنفون من نسبة الإناث إليكم ؛ ما هذه إلاَّ قسمةٌ جائرة .

أمَّا مناسبة الآية للباب : فإنَّ العزى كانت على ثلاث سمرات ، واللات كانت على حَجْرةٍ بيضاء ، وهم يتبركون بتلك الأشجار ، والأحجار ، والله قد عابهم بذلك ، وذمهم كيف يتركون الإله الحق الذي هم يعترفون بأنَّه هو الذي خلقهم ، ويتألهون لغيره .

قوله : ((يقال لها ذات أنواط)) النوط هو التعليق بمعنى : أنَّهم يعلقون سيوفهم في تلك الشجرة ويزعمون أنَّها تباركها ، فينتصرون على الأعداء بسبب البركة التي حازوها في السلاح الذي

= الله ρ فقالت : لا تفضحني برسول الله ρ وبمن معه فجئته ، فساررته ، فقلت يا رسول الله : ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ، ونفر معك ، فصاح النبي ρ فقال يا أهل الخندق : إن جابرا قد صنع سورا فحي هلا بكم ، فقال رسول الله ρ لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء ، فجئت ، وجاء رسول الله ρ يقدم الناس حتى جئت امرأتي ، فقالت : بك ، وبك ، فقلت : قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينا ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق ، وبارك ، ثم قال : ادع

خابزة فلتخبز معي ، واقدحي من برمتكم ، ولا تنزلوها ، وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو)) وأخرج نحوه الإمام مسلم في كتاب الأشربة باب استحباب الاجتماع على الطعام . وأخرج الإمام البخاري قصة أخرى في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ، وذلك عن جابر بلفظ : ((قال عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي ρ بين يديه ركوة ، فتوضأ ، فجهش الناس نحوه ، فقال : ما لكم قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا ، وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ !! قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ؛ كنا خمس عشرة مائة)) اهـ .

علقوه ، وهذا كله أمرٌ وهمي ، وادعاءٌ باطل ، وقد قال النبي ρ : ((الله أكبر ؛ إنّها السنن ؛ قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى :] اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قومٌ تجهلون [[الأعراف : ١٣٨] لتركبنَّ سنن من كان قبلكم)) .

يؤخذ من هذا الحديث : –

١– نفي ما زعمه المشركون من أنَّ تلك الشجرة تبارك في أسلحتهم ، فيكون بها النصر على الأعداء .

٢– أنَّ التعليق هو تعليقٌ للقلوب بالشجرة قبل أن يعلقوا السيوف بها ؛ وهذا لاشك قدحٌ في التوحيد ؛ لذلك قال النبي ρ : ((قلتم ، والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى :] اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة [ )) .

٣– يؤخذ منه تحريم مشابهة الكفار والمشركين ، والبعد عن عقائدهم الفاسدة .

٤– تعليم النبي ρ لهم أنَّ ذلك نوع من التأله للأشجار والأحجار التي لاتنفع ولاتضر .

٥– أنَّ الصحابة إذا طلبوا هذا الأمر ، وكادوا أن يقعوا فيه ، فغيرهم من باب أولى .

٦– أنَّ النبي ρ لم يعذرهم بالجهل ؛ بل أخبر أنَّهم قد وقع منهم ما وقع لبني إسرائيل حين طلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهةً كآلهة المشركين .

٧– أخبر النبي ρ بأنَّ هذه الأمة ستتبع من كان قبلها ؛ أي ستتبع طرائقهم في بعدهم عن توحيد الله سبحانه وتعالى .

٨– يؤخذ منه الحلف على الفتوى .

٩– يؤخذ منه أنَّ العبادات مبناها على الوحي ، وأنَّ العقول لادخل لها في عبادة الله .

١٠– سد الذرائع الموصلة إلى الشرك ، وبالله التوفيق .

(٩) باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : [قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له] [الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣] .

وقوله : [فصلِّ لربك وانحر] [الكوثر : ٢] .

وعن علي بن أبي طالب τ قال : ((حدَّثني رسول الله ρ بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه ؛ لعن الله من آوى محدثاً ؛ لعن الله من غيَّر منار الأرض)) رواه مسلم .(١)

وعن طارق بن شهاب أنَّ رسول الله ρ قال : ((دخل الجنة رجلٌ في ذباب ، ودخل النار رجلٌ في ذباب ؛ قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنم ؛ لايجوزه أحدٌ حتى يقرِّب له شيئا ، فقالوا لأحدهما قرِّب ؛ قال : ليس عندي شيءٌ(٢) أقربه . قالوا له : قرِّب ولو ذباباً فقرَّب ذبابا ، فخلُّوا سبيله ، فدخل النار . وقالوا للآخر : قرِّب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة)) رواه أحمد .(٣)

الشرح : قوله : " باب ما جاء في الذبح لغير الله " أي من النَّهي والتحريم ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة .

أورد قول الله تعالى في آخر سورة الأنعام : [قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له] أي قل يا محمد للمشركين إنَّ صلاتي لله عز وجل ، فلا أصلي لغيره ؛ والصلاة هي أقوالٌ وأفعال مفتتحةٌ بالتكبير ومختتمةٌ بالتسليم ، وهذه الأقوال والأفعال تشتمل على أذكارٍ من قراءة قرآن ، وتسبيحٍ ، وتمجيد لله عز وجل ، وركوعٍ ، وسجودٍ ، وقيامٍ ، وقعود ، وتكبيرٍ

يدخل في الصلاة ، وبتسليمٍ يخرج منها ، وفيما بين ذلك أدعية ، وهذه كلها لايجوز صرف

---

١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله .
٢) وفي نسخة الوليد آل فريان بلفظ: " ليس شيءٌ عندي أقرب " .

٣) الحديث أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه في ج٦ / ٤٧٣ برقم الحديث ٣٣٠٣٨ وقال محققا القول المفيد : " الحديث أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد ص١٥ – ١٦ وأبو نعيم في الحلية ج١ / ٢٠٣ عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفاً بسندٍ صحيح ، وانظر النهج السديد ص٦٨ " اهـ .

شيءٍ منها لغير الله عز وجل .

أمَّا قوله [ونسكي]معنى ذلك ذبحي الذي انسكه لله رب العالمين ، والنسك هو ذبح الدابة وينقسم إلى أقسام : –

منها ما هو واجب كذبح الهدي ، ودم الجزاء .

ومنها ما هو مسنونٌ سنَّة مؤكدة كالأضحية في حق القادر عليها .

ومنها ما هو مسنونٌ سنَّة مستحبة كالذبح للضيف .

ومنها ما هو مباحٌ كذبح الإنسان لنفسه وأهل بيته .

ومنها ما هو محرم كالذبح في المآتم ، ولكنَّه لايكون شركاً بل يكون بدعة .

ومنها ما هو شركٌ بالله شركاً أكبر كالذبح لغير الله عز وجل بأن يريق دم الدابة التي خلقها الله عز وجل يريقه لغير الله ، فهذا شركٌ أكبر سواءً كان لقبرٍ أ وليٍّ أو جنِّيٍّ أو غير ذلك من المعبودات بغير حق .

قوله : [ومحياي ، ومماتي] أي حياتي لله فهي من الله موهوبةً للعبد ليعبد الله فيها ، ويجب أن تكون لله ، وكذلك الموت الذي هو سلب الحياة ، وانتقالٌ للبرزخ كل ذلك لله .

[لاشريك له] أي ليس له شريك في إحياء العبد بعد موته أي بعد أن يكون ميتاً ، ولا إماتته بعد الحياة ، ولارزقه في حال الحياة ، ولا التصرف فيه في هذه الأوقات كلها .

[وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين] أمرٌ من ربي عليَّ بأن أكون موحداً ، وأدعوا إلى التوحيد وأنبذ الشرك ، ويؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل : [قل إنِّي نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين] [غافر : ٦٦] .

وقوله سبحانه وتعالى : [فصلّ لربك وانحر] أي اجعل صلاتك لربك أي ركوعك ، وسجودك وقيامك ، وقعودك ، وذكرك ، وأفعالك اجعلها لربك سبحانه وتعالى دون غيره ، وفي ضمن هذا نهيٌّ عن الشرك الأكبر ، والشرك الأصغر الذي هو الرياء .

قوله : [وانحر] أي اجعل نحرك لله سبحانه وتعالى بمعنى أن يكون نحرك في طاعته بألا تنحر إلاَّ له ، وفيما أباح لك أو أوجب عليك أو سنَّه لك كما تقدم في شرح النسك ، ومن أهل العلم من جعل هذه الآية نازلةً في صلاة العيد ، ونحر الأضاحي ، والقول بأنَّها عامَّةٌ هو الأولى .

ثمَّ أورد حديث علي بن أبي طالب τ قال : « حدَّثني رسول الله ρ بأربع كلمات لعن الله من

ذبح لغير الله ؛ لعن الله من لعن والديه ؛ لعن الله من آوى محدثاً ؛ لعن الله من غيّر منار الأرض » وقد حوى هذا الحديث أربعة أمورٍ محرمة : -

١- أولها : وأعظمها جرماً ، وأكبرها آثاراً على العبد إن فعله الذبح لغير الله فقد لعن الله من ذبح لغيره ، ومن الأمور البديهية أنَّ الله هو الذي خلق الدابة ، وغذَّاها بما تتغذَّى به ، وأوجد فيها هذا الدم ، فإذا أرقته لغيره ، فإنَّك تكون قد اعتديت اعتداءاً عظيما، وظلمت ظلماً كثيرا بإزهاقك روح الدابة لغير خالقها ، وإراقتك لدمها لغير من خلقه فيها ، فلذلك استحق اللعنة من فعل ذلك ، ووجب عليه الخلود في النار لقوله جلَّ من قائل على لسان عبده ورسوله عيسى بن مريم حين قال : [يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنَّه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار] [المائدة : ٧٢] .

٢- ثمَّ بعد الشرك في القبح ، والحرمة ، والبشاعة ، والفضاعة أن يلعن العبد والديه ؛ واللعنة دعوة على الملعون بالبعد من رحمة الله ، وحلول الغضب عليه ، ونزوله به لأنَّه تناسى ما قدَّمه والداه له من رأفةٍ ، ورحمةٍ ، وحنانٍ ، وعطف ، وتربية ، وحرص على ما ينفع ابنهما ، فمن لعن والديه فإنَّه قد تعرض لغضب والديه ؛ لتنكره للمعروف ، ومعاملته لوالديه بما لايجوز أن يعاملا به وقد يستغرب أن يلعن الرجل والديه ، ولقد استغرب الصحابة ذلك ، فسألوا رسول الله ρ كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال: « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسبُّ أمَّه » فبتسببه[١] في لعن والديه كان كمن لعنهما ، وهذا موجبٌ لغضب الله .

٣- الخصلة الثالثة قوله ρ : « لعن الله من آوى محدثا » المحدث هو الذي عمل عملاً منكراً في الشرع كالزنا إذا تظاهر به ، وعمل الفواحش إذا أظهرها ، وما أشبه ذلك من الأمور ، فمن أعانه على هذا المنكر أو آواه ، وساعده ، ونصره ، وأراد أن يدفع عنه ما يحكم عليه به من حدٍّ أو تعزيرٍ ، والتماس الحيل لإسقاط ذلك ، فإنَّه يعتبر مؤياً للمحدثين ، ومستحقاً للعنة ؛ لأنَّ الإيواء معناه النصرة .

ويدخل في الإحداث ابتداعٌ لبدع ، وجعلها شرعاً في دين الله ، وقد قال النبي ρ : « كل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة » فالبدع[٢] إحداثٌ وأي إحداث ، والعمل بالبدع ، ونشرها ـــ

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب لا يسب الرجل والديه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص τ .
٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في باب الصلاة والخطبة بدون لفظة : " وكل ضلالة في النار " وكذا أخرجها بنحو ذلك ابن أبي شيبة في مصنفه في ج٦ / ٤٧٣ =

وإيواء أهلها ، وإعانتهم ، ونصرتهم كل ذلك إحداثٌ في دين الله عز وجل ، وموجبٌ لسخط الله على من فعله ، ومن ذلك بدعة الخوارج الإرهابيين ؛ الذين يسفكون الدماء ، ويزهقون الأرواح ويتلفون الأموال ، ويخيفون الآمنين ، ويعصون الدولة ، فمن أعان هؤلاء أو تستر عليهم أو التمس لهم العذر ؛ فإنَّه قد آوى المحدثين ، واستحق هذا الوعيد .

٤- الخصلة الرابعة تغيير منار الأرض أي نقله من مكانٍ إلى مكان زاعماً أنَّ هذا هو حدُّ الجار مضيفاً إلى ملكه ما أخذه من حقّ جاره ؛ مؤثراً للدنيا على الآخرة ؛ نسأل الله أن يصلح الأحوال وأن يرزقنا مخافته ، والعمل بطاعته ، واجتناب ما يغضبه ؛ إنَّه جوادٌ كريم ؛ برٌّ رؤوفٌ رحيم وبالله التوفيق .

= برقم ٣٣٠٣٨ والبيهقي في السنن الكبرى في ج٣ / ٢١٤ برقم الحديث ٥٥٩١ و٢٠١٢٥ وابن خزيمة في صحيحه في ج٣ / ١٤٣ وابن حبان في صحيحه في ج١ / ١٧٨ باب ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق رقم الحديث (٥) وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب العلم في ج١ / ١٧٤ برقم ٣٢٩ ـ ٣٣٣ والدارمي في باب اتباع السنة رقم الحديث ٩٥ وابن ماجة في ج١ / ١٥ برقم الحديث ٤٢ وأبو داود ج٤ / ٢٠٠ برقم الحديث ٤٦٠٧ والنسائي (المجتبى) في ج٣ / ١٨٨ برقم ١٥٧٨ ، وأما رواية : " وكل ضلالة في النار " فقد أخرجها البيهقي في السنن الكبرى في باب كيف الخطبة في ج١ / ٥٥٠ برقم الحديث ١٧٨٦ ورقم ٥٨٩٢ والحديث قد صححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج١ / ٤٩٩ برقم ٢٥٤٩ وأحال إلى الإرواء برقم ٢٤٥٥ وشرح الطحاوية ٥٠١ و ٧١٥ والسنة ٣١ و ٥٤ وقال محقق الإبانة الكبرى الشيخ رضا بن نعسان في الكتاب الأول الإيمان ج١ / ٣٠٥ الحديث صحيح صححه كما تبين جماعةٌ من أكابر المحدثين وحسنه بعضهم ، ولم يطعن فيه طاعن ، وإن حصل ذلك في بعض طرقه .

(١٠) باب لايذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : [لاتقم فيه أبدا] [التوبة : ١٠٨] .

وعن ثابت بن الضحاك τ قال : « نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببُوانة ، فسأل النبي ρ فقال : هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا . قال : هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟ قالوا : لا . قال رسول الله ρ : أوف بنذرك ، فإنّه لاوفاء لنذرٍ في معصية الله ، ولا فيما لايملك ابن آدم » رواه أبو داود وإسناده على شرطهما .

الشرح : قول الله تعالى : [لاتقم(١) فيه أبدا] [التوبة : ١٠٨] الكلام على هذه الآية : فيها نهيٌ من الله عز وجل لرسوله ρ أن يقوم في مسجد الضرار الذي بناه أهله إرصاداً لمحاربة الله ورسوله وإحياءاً لذكر وفكر ذلكم الخبيث الذي حارب الله ورسوله ، وفرَّ من الإسلام حين انتشر في المدينة ؛ وهو أبو عامر الفاسق ؛ الذي يقال له الراهب ، فالمنافقون قصدوا به محاربة الله ورسوله وأن يتجمعوا في هذا المسجد الذي زعموا أنّه مسجدٌ للعبادة ؛ لينشروا فيه أفكارهم ، ويبيتوا فيه المكائد للإسلام ، ونبي الإسلام ، وللمسلمين ، فجاءوا إلى النبي ρ يطلبون منه أن يصلي فيه كعادة المسلمين ، فقال لهم نحن الآن على سفر ، وكان في ذلك الوقت متأهباً للسفر إلى تبوك فوعدهم عند رجوعه ، فلما رجع ، وقارب المدينة أنزل الله عليه هذه الآيات : [والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفنَّ إن أردنا إلاَّ الحسنى والله يشهد إنّهم لكذبون & لاتقم فيه أبدا لمسجدٌ أسِّس على التقوى من أوَّل يومٍ أحق أن تقوم فيه فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] [التوبة : ١٠٧ – ١٠٨] والتي بُيِّن فيها خبث أولئك القوم ، ومكيدتهم للإسلام والمسلمين ، فلما قدم النبي ρ أرسل من أحرق ذلك المسجد بعد نزول الآيات فيه .

ومن هذا يؤخذ أنَّ أماكن العبادة لغير الله عز وجل لاينبغي أن تجعل فيها عبادة إسلامية ؛ لأنَّها بذلك تكون إحياءً للأماكن الشركية أو البدعية أو الأماكن المحرمة ؛ التي حورب فيها الله ورسوله وهذه مناسبة الآية للترجمة .

---

١) المراد بالقيام في مسجد الضرار أي الصلاة فيه كما قال ابن كثيرٍ رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ج٢ / ٤٠٣ : " [لاتقم فيه أبدا] نهيٌ له ρ والأمة تبعٌ له في ذلك عن أن يقوم فيه أي يصلي أبداً ...." اهـ .

وعن ثابت بن الضحاك τ قال : « نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي ρ فقال : هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا . قال : هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟ قالوا : لا . قال رسول الله ρ : أوف بنذرك ، فإنَّه لاوفاء لنذرٍ في معصية الله ، ولا فيما لايملك ابن آدم » رواه أبو داود وإسناده على شرطهما .

لما جاء الذي أخبر أنَّه نذر أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي ρ هل في ذلك المكان وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد أو عيدٌ من أعياد أهلها ؟ فحدَّث أنَّه لم يكن فيه شيءٌ من ذلك ، فقال النبي ρ : « أوف بنذرك » ذلك أنَّه لو كان فيها إحياء وثن من أوثان الجاهلية أو عيدٌ من أعياد الجاهلية التي كان يعبد فيها غير الله عز وجل لما أمره النبي ρ بل لنهاه عن الوفاء في ذلك المكان .

ثمَّ هناك مسألة : وهو أنَّه إذا التزم العبد بنذرٍ قصد به العبادة لله عز وجل ، ولكن أراد أن يكون في مكانٍ كان فيه عيدٌ من أعياد الجاهلية أو وثنٌ من أوثانها فهل يسقط عنه النذر كلياً أو يسقط الوفاء في ذلك المكان ويجب على الناذر أن يوفي به في مكانٍ آخر سليمٍ من هذه الأمور ؟ هذا محل نظر ، فالوفاء بالنذر واجبٌ ، وإذا منع من أجل كيفيةٍ من كيفياته ، فلا يمنع بالكلية فيما يظهر لي بل ينقل إلى مكانٍ سليمٍ من عبادة غير الله ، وبالله التوفيق .

(١١) باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : [يوفون بالنذر] [الإنسان : ٧] .

وقوله : [وما أنفقتم من نفقةٍ أو نذرتم من نذر فإنَّ الله يعلمه] [البقرة : ٢٧٠] .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ρ قال : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلايعصه)) [١] .

الشرح : النذر لغير الله عز وجل يعتبر من الشرك الأكبر .

وتعريف النذر هو : التزام العبد بعبادة ليست واجبةً عليه بحكم الشرع .

كأن ينذر أن يصلي كل ليلة بين العشاء والفجر كذا ركعة ؛ أو ينذر أن يصوم من كل شهرٍ كذا من الأيام ، فهذا التزامٌ على نفسه لله عز وجل بعبادةٍ ليست بواجبةٍ عليه بمحض الشرع ، ولكنَّه هو الذي أوجبها على نفسه .

فيجب عليه أن يوفي هذا النذر الذي التزمه لله تعالى ، فقد مدح الله المؤمنين بالوفاء بالنذر فقال : [يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا] [الإنسان : ٧] والمراد به يوم القيامة فالوفاء بالنذر واجب إلاَّ أنَّ الإنسان إذا التزم بشيءٍ لايستطيع أداءه ، ففي هذه الحالة يفتدي منه بكفارة يمين لقوله ρ : ((كفارة النذر كفارة يمين)) [٢] .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ρ قال : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلايعصه)) يؤخذ من هذا الحديث بأنَّ النذر ينقسم إلى قسمين : -

١- نذر الطاعة . ٢- نذر المعصية ، فنذر الطاعة يجب على العبد إذا التزمه أن ينفذه وبالاستقراء نعلم أنَّ المنذور به : إمَّا أن يكون مستطاعاً للناذر ، وإمَّا أن يكون غير مستطاع فلو نذر الإنسان أن يطير في الهواء بنفسه ، فهذا نذرٌ غير مستطاع ، وهذا عليه أن يفتدي منه بكفارة يمين . أمَّا إذا كان مستطيعاً على فعله ، فإنَّه يجب عليه أن ينفذه ، ثمَّ إمَّا أن يكون هذا النذر في طاعة أو في معصية ، فإن نذر صلاةً أو صدقةً ، وجب عليه أن ينفذ ؛ لكن إذا نذر أن يتلطخ بنجاسة مثلاً أو يأكل سمَّاً ، فهذا النذر لايجوز ؛ لأنَّ التلطخ بالنجاسة لايجوز ، وأكل السم

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الأيمان والنذور باب النذر في الطاعة وفي باب النذر فيما لايملك وفي معصية .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب النذر باب في كفارة اليمين من حديث عقبة بن عامر τ .

لايجوز ، فهذا النذر لايجوز الوفاء به لأنَّه معصية ، وكذلك لو نذر أن ينحر ناقة فلان ، فهذا نذرٌ فيما لايملك ؛ أو نذر أن يجعل أرضية فلانٍ مسجداً ، فهذا نذرٌ فيما لايملك ، فلا يجوز الوفاء به لأنَّ النبي ρ قال : « وليس على ابن آدم نذرٌ فيما لايملك »[١] وهل على الناذر كفارةٌ في ذلك أم لا ؟ هذا محلُّ نظر وخلاف بين أهل العلم ، والأظهر عدم وجوب الكفارة ؛ لأنَّ النبي ρ لم يذكر ذلك عند ذكره لعدم الوفاء في نذر المعصية ، والنذر فيما لايملك .

سبب الحديث :

ما رواه مسلم في صحيحه[٢] عن عمران بن حصين τ قال : « كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ρ وأسر أصحاب رسول ρ رجلا من بني عقيل وأصابوا معه العضباء ، فأتى عليه رسول الله ρ وهو في الوثاق . قال يا محمد ، فأتاه فقال : ما شأنك ؟ فقال : بم أخذتني ، وبم أخذت سابقة الحاج ؟ فقال : إعظاما لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف ، ثم انصرف عنه ، فناداه ، فقال : يا محمد ؛ يا محمد ، وكان رسول الله ρ رحيما رقيقا ، فرجع إليه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : إني مسلم . قال لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح ، ثم انصرف فناداه ، فقال : يا محمد ؛ يا محمد ، فأتاه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : إني جائع ، فأطعمني ، وظمآن فأسقني . قال : هذه حاجتك ، ففدي بالرجلين . قال : وأسرت امرأة من الأنصار ، وأصيبت العضباء ؟ فكانت المرأة في الوثاق ، وكان القوم يريحون نَعَمهم بين يدي بيوتهم ، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق ، فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا ، فتتركه حتى انتهت إلى العضباء ، فلم تَرْغُ . قال : وناقة منوَّقة ، فقعدت في عجزِها ، ثم زجرتها فانطلقت ، ونذروا بها ، فطلبوها ، فأعجزتهم . قال : ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة رآها الناس ، فقالوا : العضباء ناقة رسول الله ρ فقالت : إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، فأتوا رسول الله ρ فذكروا ذلك له ، فقال : سبحان الله ؛ بئسما جزتها نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها ؛ لاوفاء لنذر في معصية ، ولا فيما لا يملك العبد » وفي رواية ابن حجر : « لا نذر في معصية الله » وبالله التوفيق .

---

[١]) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن ، وأخرج نحوه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه من حديث ثابت بن الضحاك τ وفي كتاب النذر باب لا وفاء لنذرٍ في معصية الله ولافيما لايملك العبد من حديث عمران بن حصين τ .

[٢]) الحديث أخرجه مسلم في كتاب النذر باب لا وفاء لنذرٍ في معصية الله ولافيما لايملك العبد من حديث عمران بن حصين τ .

(١٣) باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى : [وأنَّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقا] [الجن : ٦]

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ρ يقول : ((من نزل منـزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيءٌ حتى يرتحل من منـزله ذلك)) رواه مسلم .

الشرح : قوله : " **باب من الشرك**" أي من الشرك الأكبر المخرج من الملة " **الاستعاذة بغير الله** " معنى الاستعاذة : اللإلتجاء إلى غير الله عز وجل يرجوا منه دفع ما يضره يقال عذت بكذا من كذا ، ولايجوز أن يستعيذ العبد بغير الله جل وعلا ، وقد أخبر الله في سورة الجن بقوله سبحانه : [وأنَّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقا] أي يستجيرون بهم طالبين منهم دفع شر بني جنسهم ، وقد جاء في الأثر أنَّ بعض العرب كان إذا سافر أحدهم فنزل مكاناً في الليل يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه .

(٢)

المقصود به من الجن ، فأنزل الله عز وجل : [وأنَّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقا] أي فزادوهم خوفاً، وذعرا ، وتكبروا عليهم ، وطغوا ، ثمَّ إنَّ الله سبحانه وتعالى أوحى ذلك إلى رسوله ρ وأخبر بذلك ، فقال النبي ρ : ((من نـزل منــزلاً فقـال : أعـوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيءٌ حتى يرتحل من منـزله ذلك)) .

خولة بنت حكيم بن أمية السلمية : " يقال لها أمُّ شريك ، ويقال لها خويلة صحابية مشهورة يقال أنَّها وهبت نفسها للنبي ρ وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون " انظر التقريب برقم ٨٥٧٥ .

قوله : « من نزل منزلا » أي نزل في مكانٍ ، فهذا الذكر ضمانٌ له من اعتداء الشياطين ، وهو أن يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات » والمقصود بكلمات الله جمع كلمة .

قوله : « التامات » وصفٌ يناسب كلمات الله عز وجل ، والمقصود بها الكلمات القرآنية أو أعمَّ من ذلك ، وهي كلمات الله عز وجل ، فيشمل القرآن وغيره ، ومثل ذلك ما ثبت في

١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الذكر والدعاء باب في التعوذ من سوء القضاء .

٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج (٢٩ / ٦٨ – ٦٩) وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٤٣٢ ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر ، وأخرج نحوه الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية عن السدي : " كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضرَّ أنا فيه أو ما لي أو ولدي أو ماشيتي . قال قتادة : فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك " اهـ .

صحيح البخاري عن أبي هريرة τ قال : « وكلني رسول الله ρ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته . وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله ρ قال : إني محتاج ، وعلي عيال ولي حاجة شديدة . قال : فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ρ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة . قال قلت يا رسول الله : شكا حاجة شديدة ، وعيالاً فرحمته ، فخليت سبيله . قال أما إنه قد كذبك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ρ إنه سيعود ، فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ρ قال : دعني ، فإني محتاج ، وعلي عيال لا أعود ، فرحمته ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ρ يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك . قلت يا رسول الله : شكا حاجة شديدةً ، وعيالاً ، فرحمته ، فخليت سبيله . قال : أما إنه قد كذبك وسيعود ، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ، وهذا آخر ثلاث مرات ؛ أنك تزعم لا تعود ثم تعود . قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت ما هو ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ρ ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله : زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله . قال ما هي ؟ قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير ، فقال النبي ρ أما إنه قد صدقك وهو كذوب ؛ تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا قال : ذاك شيطان »[1] .

فقد أبدل الله المسلمين عمَّا كان يعمله أهل الجاهلية أبدلهم بقوله هذا : « من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » .

وفي قوله : « التامات » في وقوعها ، وتاماتٌ في صدقيتها ، وتاماتٌ من حيث أنَّ الواجب امتثالها امتثال أمرها إن أمرت ، وامتثال نهيها إن زجرت ، وأنَّ من لم يؤمن بها ، فإنَّه لا أمان لـه وسيلقى جزاءه بعد الموت ، وفي البرزخ ، ويوم القيامة ، وقد جاء في الآية الأخرى قوله جل وعلا : [وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم] [الأنعام : ١١٥] ـــ

١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز ، وفي كتاب بدء الخلق باب في صفة إبليس وجنوده .

كلمة الله موصوفة بالتمام ؛ تمام الصدق ، والمصداقية ؛ لقوله : [وتمت كلمة ربك صدقاً] أي أنَّها صدقٌ لاكذب فيه ، وعدلٌ لاجور فيه ، وذلك أنَّ كلمة أهل الصدق من أتباع الرسل وهم المؤمنون يدخلها قلة الصدق من حيث قلة المعلومية ، فالمؤمن قد يقول قولاً فيظن أنَّه صادقٌ ولكن يدخل في قوله ما يكون خلاف الواقع فيتخلف الصدق فيه من حيث لايشعر قائله مع أنَّ قائله ممن يتوخون الصدق ، ويتحاطون له ، وكذلك أيضاً يدخل في كلام المؤمنين ؛ الذين هم أهل الصدق ، والمتحلين به ما يظن القائل أنَّه عدلٌ كله ، ويدخله شيءٌ من الجور ؛ الذي لايعلمه القائل بحيث تضعف معلوميته عنه ؛ أمَّا كلام الله عز وجل فإنَّه يستلزم تمام الصدق وتمام العدل لكمال علمه جل وعلا ، وكمال عدله سبحانه وتعالى ، فهذا معنى قوله : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » وقد ذكر الأصفهاني في كتاب الحجة : " أنَّ الشياطين تآمرت على النبي ρ وأرادوا أن يمنعوه من صلاته أو يقطعوها عليه ، فنزلت شياطين كثيرة يتقدمهم شيطان مارد معه شعلة من نار أو قال : شهابٌ من نار فجاء جبريل إلى النبي ρ فعلَّمه هذه الكلمات الآتية : « أعوذ بكلمات الله التامات ؛ اللاتي لايجاوزهنَّ برٌّ ولافاجر من شر ما خلق ، وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شـر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار إلاَّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن » فقالها ، فانطفأت مشاعل تلك الشياطين ، وشهبهم ، ورجعوا خائبين مدحورين[١] ، فالحمد لله على ما عوض به عباده المؤمنين ، وبينه لهم من الالتجاء إليه والاستعاذة بكلماته التامة .

يؤخذ من هذا الحديث :

١ـ دليلٌ على أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقد قال بعض السلف إنَّ من قال : " إنَّ القرآن مخلوق فقد كفر " [٢] .

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند المكيين بترقيم إحياء التراث رقم الحديث ١٥٠٣٥ من حديث عبد الرحمن بن خنبش τ وأورده الإمام مالك عن يحيى بن سعيد في موطأ الإمام مالك بن أنس في كتاب الجامع باب ما يؤمر به من التعوذ .

٢) قال الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الحجري المصري الطحاوي نسبةً إلى طحا قريةٌ من قرى صعيد مصر في كتابه الجليل العقيدة الطحاوية : " وإنَّ القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنَّه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر " وقال الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري في كتابه شرح السنة : " والقرآن كلام الله وتنزيله ، ونوره وليس مخلوقاً لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق ، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل ، والفقهاء قبلهما ، وبعدهما والِمَراءُ فيه كُفْر" اهـ .

٢- يؤخذ منه أنَّ الاستعاذة بالجن أو غيرهم محرم ، وأنه شركٌ أكبر يخرج من الملة ، وذلك أنَّه إذا زعم أنَّ الشياطين تدفع عنه ما لايدفعه إلاَّ الله عز وجل أو زعم أنَّ لها قدرة تساوي قدرة الله أو تزيد عليها ، فقد كفر كفراً يخرجه من الملة .

٣- أنَّ من استعاذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق أعاذه الله ، فلم يضره شيءٌ في منزله الذي قال فيه هذا الكلام عند نزوله حتى يرتحل من منزله ذلك .

٤- أنَّ من قالها في الصباح حفظه الله إلى المساء ، ومن قالها في المساء حفظه الله إلى الصباح ومن قالها عند النوم حفظه الله إلى أن يستيقظ .

٥- يؤخذ منه أنَّ الله عوض المسلمين من التعوذات التي كان يتعوذها أهل الجاهلية بهذه التعوذات الخيرة النافعة ؛ التي تدفع الشيطان عن العبد المسلم ، وتمنعه من شره ، وتحقق توحيده لله عز وجل .

٦- يؤخذ منه فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

ملحوظة :

الاستعاذة بالمخلوق ، والاستجارة به جائزةٌ فيما يقدر عليه ؛ لكن قبل ذلك ينبغي للإنسان أن يقول استجرت بالله ثمَّ بك أو استعذت بالله ثمَّ بك أو لجأت إلى الله ثمَّ إليك أن تقضي لي حاجتي أو تدفع عنِّي كذا ؛ فإن فعل ذلك مع اللجوء إلى الله عز وجل ؛ فإنَّه لايكون مشركاً ؛ بشرط أن يكون فيما يقدر عليه العبد ، وبالله التوفيق .

(١٣) باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : [ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولايضرك فإن فعلت فإنّك إذاً من الظالمين] [يونس : ١٠٦ – ١٠٧] .

وقوله : [وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له إلاَّ هو] [الكعنبوت : ١٧] .

وقوله : [إنَّ الذين تدعون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه] [العنكبوت : ١٧] .

وقوله : [ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة] [الأحقاف : ٥] .

وقوله : [أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءِلهٌ مع الله][النمل:٦٢] .

وروى الطبراني بإسناده أنّه كان في زمن النبي ρ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ρ من هذا المنافق ، فقال النبي ρ : ((إنّه لايستغاث بي ، وإنّما يستغاث بالله عز وجل))[1].

الشرح : الاستغاثة هي دعاء المكروب ، والذي يكون في شدة ، وهي تنقسم إلى قسمين : –

١– استغاثةٌ بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه ، وهذه استغاثةٌ جائزة .

٢– استغاثةٌ بالميت أو بالحي فيما لايقدر عليه إلاَّ الله ، فهذه استغاثةٌ محرمة ، وهي شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة .

ومن الجائزة قول الله عز وجل : [فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه] [القصص : ١٥] فقد حكى الله عز وجل هذه الاستغاثة حكاية إقرار لها ؛ لأنَّ ذلك الإسرائيلي استغاث بموسى فيما يقدر عليه ، فضرب القبطي ، فمات .

---

[1]) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣١٧ برقم ٢٢٧٥٨ بلفظ : " حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا موسى بن داود ثنا بن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح أن رجلا سمع عبادة بن الصامت يقول خرج علينا رسول الله ρ فقال أبو بكر رضي الله عنه :

قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال رسول الله ρ : لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى " قال الشيخ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان الفريان على تحقيقه لفتح المجيد : " رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد ١٠ / ١٥٩ وقال رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١ / ٣٨٧ عن عبادة بلفظ :"إنَّه لايقام لي بل يقام لله تبارك وتعالى"قال الحافظ ابن تيمية في كتاب الاستغاثة١٥٢وهو صالح للاعتضاد،ودلَّ على معناه الكتاب والسنة " اهـ .

ومن هذه القصة التي حكاها الله عز وجل عن موسى ، ومن استغاثه ، والمستغاث عليه نأخذ : أنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه أو يظن أنَّه يقدر عليه أنَّ هذه الاستغاثة جائزة . أما الاستغاثة المحرمة فهي استغاثةٌ بالميت ، ومن في حكم الميت من الأحجار ، والأخشاب ، والأصنام وكذلك الاستغاثة بالحي فيما لايقدر عليه إلاَّ الله كإنزال المطر ، وردِّ الضالة ، وشفاء المرضى وغير ذلك من الأشياء التي لايقدر عليها إلاَّ الله ، فالاستغاثة بالمخلوق في هذه الأمور شركٌ أكبر والله سبحانه وتعالى هو الذي يستجيب لعباده ، ويكشف عنهم الكرب ، ويسهل لهم الصعوبات وعلى ذلك دلت الآيات القرآنية في استنكارها للاستغاثة بغير الله كقول الله تعالى : [ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولايضرك فإن فعلت فإنَّك إذاً من الظالمين] والآية التي بعدها . وكقوله : [إنَّ الذين تدعون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه] .

وقوله : [ومن أظل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة] كل هذه الآيات تنهى المشركين عن دعوتهم لغير الله ، واستغاثتهم بمن لايقدر على أن يغيثهم بشيءٍ مما طلبوه .

لكن الاستغاثة بالله هي الأمر المطلوب ، وهو وحده الذي يقدر على إجابة دعوتك ، وتفريج كربتك ، وإعطائك ما تطلب ، وانجاءك مما ترهب قال تعالى : [إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم] الآية [الأنفال : ٩] .

وقد أنكر الله عز وجل على من زعم أنَّ المدعوين من دون الله يستجيبون لمن دعاهم ، ويجلبون لهم ما يريدون ، ويكشفون عنهم الكربة ، فقال مستنكراً : [أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإلهٌ مع الله] .

فكل هذه الآيات تفيد تحريم دعاء غير الله عز وجل ، وأنَّه شرك أكبر .

أمَّا ما رواه الطبراني بإسناده أنَّه كان في زمن النبي ρ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ρ من هذا المنافق ، فقال النبي ρ : ((إنَّه لايستغاث بي ، وإنَّما يستغاث بالله عز وجل)) .

فأولاً أنَّ الحديث في سنده ابن لهيعة ، وقد احترقت كتبه ، فاختلط ؛ لذا فإنَّا نشك في صحة هذا الحديث .

ثانياً : على فرض صحته ، فإنَّ النبي ρ كره هذا التعبير ، وهو قوله : « قوموا بنا نستغيث برسول الله ρ » فلو قال نستعين برسول الله ρ في دفع إيذاء هذا المنافق لكان خيراً لهم من التعبير بنستغيث ؛ علماً بأنَّه قد تقدم بأنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة ، وإنَّما الاستغاثة المحرمة هي الإستغاثة بالمخلوق فيما لايقدر عليه إلاَّ الخالق ، ولكن صيغة الإستغاثة بالمخلوق هذا هو المستنكر ، والله تعالى أعلم لأنَّ أصحاب رسول الله ρ علمهم الله وعلمهم رسوله صلوات الله وسلامه عليه بما ينبغي أن يقال من الألفاظ ، وبالله التوفيق .

(١٤) باب قول الله تعالى : [أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون]

قال تعالى : [أيشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون & ولايستطيعون لهم نصرا ولاأنفسهم ينصرون] [الأعراف : ١٩١ – ١٩٢] .

وقوله : [والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير] [فاطر : ١٣] .

وفي الصحيح عن أنس τ قال : ((شج النبي ρ يوم أحد ، وكسرت رباعيته ، فقال : كيف يفلح قومٌ شجوا نبيهم ، فنزلت : [ليس لك من الأمر شيء])) [آل عمران : ١٥٢] .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه سمع رسول الله ρ يقول : ((إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : ((اللهم ألعن فلاناً ، وفلاناً بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد)) فأنزل الله : [ليس لك من الأمر شيء] وفي رواية : ((يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت[٢] : [ليس لك من الأمر شيء])) .

وفيه عن أبي هريرة τ قال : ((قام فينا رسول الله ρ حين أنزل عليه : [وأنذر عشيرتك الأقربين] فقال : يا معشر قريش أو كلمةً نحوها : اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب : لا أغني عنك من الله شيئا ؛ يا صفية عمّة رسول الله : لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي[٣] ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا)) .

الشرح : قوله : [أيشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون] الهمزة في قوله : [أيشركون] للاستفهام الإنكاري ، ومضمونه أنَّ الله عز وجل ينعى على المشركين كونهم يشركون ما لايخلق شيئاً وهم يخلقون ، وقد تضمن هذا ذمّاً للمشركين في كونهم يجعلون تلك الآلهة المصطنعة شريكة ـــ

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ، والإمام مسلمٌ في كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد .
٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب قول الله تعالى : [ليس لك من الأمر شيء] .
٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب :[وأنذر عشيرتك الأقربين] والإمام مسلم في كتاب الإيمان باب :[وأنذر عشيرتك الأقربين] .

مع الله ، وهي لاتخلق شيئاً ، فلم تخلق نفسها بنفسها ، ولم تخلق غيرها ، وكان مشركوا ذلك الزمن لايعتقدون أنَّ الآلهة تخلق ، ولاتقدر على خلق غيرها ، ولم تخلق نفسها ، فالمشركون في ذلك الزمن مقرون بهذا معترفون به ؛ عالمون بأنَّ تلك الآلهة عاجزة أن تفعل شيئاً من قبل نفسها ولكن تدخل عليهم الشبهة بكونهم يعتقدون أنَّ تلك المعبودات صورٌ لأناسٍ صالحين يستجيب الله دعائهم ، ويقبل شفاعتهم فيما شفعوا فيه ، فإن طلب منهم نصرٌ فإنَّهم يطلبونه من الله ، والله لايرد لهم طلباً ، وهذه خدعةٌ شيطانية ، وحيلةٌ إبليسية ؛ كم خدع الشيطان العباد بمثلها ، ونسوا أنَّ تلك المعبودات لاتسمع دعائهم ، ولاتقدر على إجابتهم ، وإسعافهم بما يطلبونه ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يسمع دعائهم ، وهو الذي يقدر على إجابتهم ، وكان الواجب عليهم أن يتركوا تلك المعبودات التي لاتسمع ، ولاتبصر ، ولاتنطق ، وأن يتوجهوا بعبادتهم إلى الله الذي يقدر على ذلك ، فهو الذي يخلق ، وهو الذي يرزق ، وهو الذي يحيي، وهو الذي يميت وهو الذي يمرض ، وهو الذي يشفي من المرض ، وهو الذي يغني ، وهو الذي يسلب الغنى ويجعل من يشاء فقيراً ، وهو الذي أوجد الحياة ، وهو الذي يسلبها ، وهو الذي يسعد بالهداية إلى أسباب السعادة ، وهو الذي يشقي بخذلان العبد ، وتسليط الشيطان عليه حتى يكون شقيا .

إذن ، فالواجب على كل عبدٍ أن يتوجه بالطلب إلى الله وحده دون سواه ، وقد أشار إلى عجز تلك الآلهة ، وعدم قدرتها بقوله : [ولايستطيعون لهم نصرا ولاأنفسهم ينصرون] .

ثمَّ أورد المؤلف رحمه الله تعالى دليلاً آخر على عجز الآلهة ، وهو قوله تعالى : [والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير] بعد أن أخبر الله سبحانه وتعالى بشيءٍ من أنواع قدرته بقوله : [والله خلقكم من تراب ثمَّ من نطفةٍ] إلى أن قال بعد ذكر أنواعٍ من قدرته وملكه : [ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير] والمراد بالقطمير : هي القشرة التي تكون على النواة ، ثمَّ قال مخبراً بعيوبهم ، وعجزهم ، وضعفهم ؛ أي عيوب تلك الآلهة التي اصطفوها ، وأعطوها حقَّ الألوهية فقال : [إن تدعوهم لايسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم] أي حتى ولو سمعوا دعائكم بأن كانوا أحياءً ، فإنَّهم لايملكون الإجابة : [ويوم القيامة يكفرون بشرككم] [فاطر : ١١- ١٤] أي بدعائكم إياهم دون الله عز وجل .

قوله : وفي الصحيح عن أنس τ قال : « شج النبي ρ يوم أحد ، وكسرت رباعيته ، فقال : كيف

يفلح قومٌ شجوا نبيهم ، فنزلت : [ليس لك من الأمر شيء])) [آل عمران : ١٥٢] .

يستفاد من هذا الحديث عدة مسائل :

١– أنَّ الله عز وجل قد يبتلي أوليائه والمحبوبين إليه بأنواعٍ من البلوى ، وإذا كان النبي ρ الذي هو أحبُّ الخلق إلى الله ، وأكرمهم عليه ، وأوجههم عنده جاهاً ابتلاه حتى شجه قومه ، وكسروا رباعيته ، فغيره من باب أولى .

٢– أنَّ في ضمن هذا الابتلاء رفعة للنبي ρ وعلو شأنٍ له حتى يجمع بين الصبر في حالة البلاء والشكر في حالة النعمة .

٣– يؤخذ منه ردٌّ على الصوفية فيما يزعمونه من الكرامات لشيوخهم حيث يقول بعض أصحاب الطريقة الرفاعية : " إنَّه من كرامة الله لأصحاب الطريقة الرفاعية أنَّ الواحد منهم يضرب بالشيش أو السيف من ظهره حتى ينفذ من صدره ، ثم يسحب منه ولا جرح ولا ضرر " وهذا من الكذب والدجل والتضليل[١] .

٤– أنَّ النبي ρ ما نال ما نال من الكرامة ، والنصر إلاَّ بعد إيذاءٍ ، وابتلاءٍ كبير .

٥– يدل ذلك أنَّه ليس لأحدٍ من الخلق تصرفٌ في ملك الله ، وأنَّ الله هو الذي يتصرف في ملكه دون غيره .

٦– يؤخذ من قوله تعالى : [ليس لك من الأمر شيء] ردٌّ على الصوفية الذين يزعمون أنَّ بعض آلهتهم جعل الله لهم التصرف في الكون ، وهذه عقيدة الصوفية الغالية في هذا الزمن ويسمون أولئك بالمُدَّرِكين – أي المتعهدين بالكون – أو المتصرفين ما أكذبهم ، وما أجرأهم على الكذب ، وما أضلهم ، فإنَّ الأنعام تعرف ربها خيرٌ من أولئك عليهم من الله ما يستحقون .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه سمع رسول الله ρ يقول : ((إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : اللهم ألعن فلاناً ، وفلاناً بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد)) فأنزل الله : [ليس لك من الأمر شيء] وفي رواية : ((يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت : [ليس لك من الأمر شيء])) .

---

١) انظر تربيتنا الروحية لسعيد حوى ص٢١٨ .

أي يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، وقد علم الله أنَّ أولئك سيكونون من أنصار دينه ، وفعلاً فقد وفقهم الله للإسلام فأسلموا : منهم أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبي جهل فأنزل الله : [ليس لك من الأمر شيء] وهذا يدل على أنَّ النبي ρ ليس له من الأمر شيء فضلاً عن غيره وأنَّ الأمر كله لله ، وأنَّ الملك كله لله ، وأنَّ التصرف كله لله يفعل ما يشاء فيعز ويذل ويملك ويسلب ، ويغني ويفقر ، ويحيي ويميت ، وكل شيءٍ بيده يكتب لمن شاء السعادة فضلاً ويكتب على من شاء الشقاوة عدلاً لايسأل عمَّا يفعل ، وهم يسألون ، وإذا كان النبي ρ لايقدر على فعل شيء ، فإنَّ غيره من باب أولى .

وفيه عن أبي هريرة τ قال : « قام فينا رسول الله ρ حين أنزل عليه : [وأنذر عشيرتك الأقربين] فقال : يا معشر قريش أو كلمةً نحوها : اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب : لا أغني عنك من الله شيئا ؛ يا صفية عمّة رسول الله : لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا » واشتراء أنفسهم يكون بالإيمان بالله ، ومتابعة رسوله ρ وبدون ذلك ليس هناك شيءٌ يغني عن العبد فلاتغني قرابته من الأولياء والأصفياء ، ولو كانوا من أولي العزم ، فقد أخبر الله عز وجل أنَّ نوحاً لم يغن عن ابنه شيئا ، وأنَّ إبراهيم لم ينفع أباه ؛ أي لم يستطع نفعه ، فلم يملك هدايته في الدنيا ولم يملك إنجائه يوم القيامة من النار ، ورسول الله ρ لم يملك نفع والديه ، ولارفع العذاب عنهما بل إنَّه صلوات الله وسلامه عليه قد أخبر أنَّهم من أهل الشقاوة ، فقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لأمِّي فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت » [(١)] .

وقال جواباً لمن قال له : « أين أبي ؟ قال : في النار . قال : فأردت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ فرأيت الأخرى أجمل ، فقلت : وأهلك يا رسول الله ؟ فقال له رسول الله ρ : إنَّ أبي وأباك في النار بربك إذا ما مررت بقبر قرشيٍّ أو ثقفيٍّ فقل له إنَّ رسول الله ρ يبشرك بالنار » [(٢)] .

---

١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب استئذان النبي ρ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة τ

٢) الحديث ورد عند الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم ٨٦٨٣ ج٤ / ٦٠٥ وفي مسند الإمام أحمد برقم ١٦٢٥ في ج٤ / ١٣ وأخرج بنحوه الإمام مسلم في =

معناه أنَّ أهل الفترة في النار ، وأنَّهم لايعذرون بجهلهم ؛ لأنَّ الجهل بالعقيدة لايعذر فيه ، وأنَّ الأحاديث الواردة في الامتحان يوم القيامة أنَّها لاتعم أهل الفترة ؛ يمكن أنها تكون في المجنون الذي خلق مجنوناً ، وما أشبه ذلك .

وقد زعم قومٌ أنَّ الله عز وجل أحيا أبوي النبي ρ فآمنا به ، واعتمد من قال ذلك على حديثٍ موضوع ، وهذا الحديث باطلٌ وموضوع ، والحديثان الأوليان في صحيح مسلم علماً بأنَّ الإيمان لايكون إلاَّ في حال الحياة الدنيوية ، فلو مات الإنسان على اعتقادٍ شيءٍ من الشرك ، فإنَّه يكون خالداً مخلداً في النار ، ولاتغني عنه قرابة قريبٍ ، وإن كان القريب من أفضل الخلق عند الله وأحبهم إليه فالإيمان بعد تجاوز الحياة الدنيا لايكون إيماناً نافعاً حتى أنَّ التوبة لاتقبل بعد الغرغرة قال الله تعالى : [فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون] [غافر : ٨٥] وبالله التوفيق .

= كتاب الإيمان باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين بلفظ : ((عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار)) .

(١٥) باب قول الله تعالى : [حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم]

وعن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال : ((إذا قضى الله أمرا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك [حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير] فيسمعها مسترق السمع – ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرّفها ، وبدّد بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كَذْبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ؛ كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء))(١) [سبأ : ٢٣] .

وعن النواس بن سمعان τ قال : قال رسول الله ρ : ((إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال رِعدة – شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ، وخروا لله سجداً ، فيكون أوّل من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثمّ يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : [قال الحق وهو العلي الكبير] فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل)).(٢)

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله : [إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين] من حديث أبي هريرة τ وفي باب [حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير] وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى [ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير] .

٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين في ج١ / ٣٣٦ برقم الحديث ٩٩١ وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " رواه ابن أبي حاتم بسنده كما ذكره العماد ابن كثير " وقال الشيخ الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان في تحقيقه لكتاب التوحيد ج١ / ٣٤٨ : " انظر تفسير ابن كثير (٦ / ٥٠٤) وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٢٢ / ٩١) ابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (٢٠٦) وأبو زرعة في تأريخه (١ / ٦٢١) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٥١٥) والآجري في الشريعة (٢٩٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٢) والطبراني كما في فتح الباري (٨ / ٥٣٨) وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة كما في الدر المنثور (٦ / ٦٩٨) " اهـ .

الشرح : معنى [فزع] أي زال عنها الفزع ، والمراد بهم الملائكة كما في الأحاديث ، فإذا رُدَّت إليهم عقولهم [قالوا ماذا قال ربكم] قال بعضهم لبعض هو [الحق] أي قال ربنا كذا .

قوله : « خضعانا » المراد به خضوعاً لربهم ، وخوفاً من جلاله .

قوله : « كأنه سلسلة على صفوان » الصفوان هو الحجر الأملس ، وإذا جرت عليه السلسلة سمع لها صوت .

قوله : « ينفذهم » أي يسمعونه جميعاً .

قوله : « فيسمعها مسترق السمع » والمراد به مسترق السمع من الجن ، وتضمن الحديث وصف كونهم يسترقون السمع ، وذلك بأنَّ الجن روحانيون – يعني أرواحٌ الله أعلم كيف خلقها – فيهم خفة ، فيركب بعضهم بعضا حتى يصلون فوق العنان أي فوق السحاب ، فيسمع مسترق السمع الكلمة ، فيلقيها على من تحته ثمَّ يلقيها الآخر على من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها أي الكاهن مائة كذبه .

يؤخذ منه عدة مسائل : –

١– أنَّ الله عز وجل يمكن الشياطين أن يسترقوا شيئاً من السمع أي من أخبار الملائكة ابتلاءً لعباده ، فيُصدِّقُون الرسل ، ويُكذِّبون الشياطين أو يصدقون الشياطين ويكذبون الرسل ؛ لكن حين بدأ القرآن ينزل طردوا من السماء ، فلم يكد أحدٌ منهم يدرك سماع كلمة لكثرة الرمي بالشهب ؛ خوفا من أن يسمعوا شيئا من القرآن ، فيلقوه على لسان السحرة ، والكهنة فيختل الأمر على الناس ، ولهذا قال الله عز وجل عنهم أنَّهم قالوا : [وأنَّا كنَّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا] [الجن : ٩] طردوا في حال نزول الوحي ، وكان ذلك من حفظ الله للقرآن حين نزوله ؛ أمَّا حفظه بعد نزوله فإنَّ الله عز وجل قد حفظه من أن يدخل فيه شيءٌ من غيره ، فقد مضى من حين نزوله ألفٌ وأربعمائة عام لم يستطع أحدٌ أن يدخل فيه حرفاً واحداً ، وفي ذلك ردٌّ على الرافضة الكذَّابين في زعمهم أنَّ القرآن ضاع منه شيءٌ أو ترك منه شيء ، وهذا تكذيبٌ لله في خبره حين يقول : [إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون] أمَّا بعد وفاة النبي ρ فلابد أنَّ الشياطين قد عادت للاستراق ليبتلي الله عباده ، وقد ورد وصف

كيفية الوحي في حديث النواس بن سمعـــان τ قال : قال رســول الله ρ : ((إذا أراد الله تعـــالى أن
يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة .....)) .

قوله : ((صعقوا)) أي غشي عليهم ، فيعم الغشي أهل السماوات كلّهم .

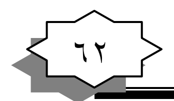
ويؤخذ منه ومن الذي قبله ؛ أنَّ الكاهن يُصدَّق بالكلمة التي سمعت من السماء ؛ لأنَّ الكاهن يقول تلك الكلمة ، ويزيد عليها أشياء كثيرة ، والأمر واضحٌ في هذا .

ويؤخذ منه صفة الكلام لله عز وجل ، وأنَّ الله يتكلم بكلامٍ يسمعه جبريل ، ويسمعه من شاء الله من الملائكة ، وقد سمعه موسى عليه السلام ، وقد أثبت الله ذلك في قوله : [تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات] [البقرة : ٢٥٣] .

ويؤخذ منه أنَّ نفوس بني آدم مهيئةٌ لقبول الباطل والحق ، والخير والشر ، ولذلك فإنَّ العبد ينبغي له أن يتحامى سماع الشر حتى لايؤثر على قلبه .

وفيه ردٌّ على من عطل الله عن صفاته ، فأنكر صفة الكلام لله عز وجل كالجهمية ، والمعتزلة أو تأوله كالأشعرية .

ويؤخذ منه أنَّ الملائكة يخافون من ربهم ، فكيف يعبدون من دونه ، وقد وصفهم الله بقوله : [يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون] [النحل : ٥٠] وبالله التوفيق .



(١٦) باب الشفاعة

وقول الله عزوجل : [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولاشفيع لعلهم يتقون] [الأنعام : ٥١] .

وقوله : [قل لله الشفاعة جميعا] [الزمر : ٤٤] .

وقوله : [من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه] [البقرة : ٢٥٥] .

وقوله : [وكم من ملكٍ في السماوات لاتغني شفاعتهم شيئا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى] [النجم : ٢٦] .

وقوله : [قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شركٍ وما له منهم من ظهير & ولاتنفع الشفاعة عنده إلاّ لمن أذن له] [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] قال أبو العباس (أي ابن تيمية) : " نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره مِلْكٌ أو قسطٌ منه أو يكون عوناً لله ولم يبق إلاّ الشفاعة فبين أنها لاتنفع إلاّ لمن أذن له الرب كما قال : [ولايشفعون إلاّ لمن ارتضى] [الأنبياء : ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي ρ : ((أنّه يأتي فيسجد لربه ويحمده)) [لايبدأ بالشفاعة أولاً] ((ثمّ يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفَّع))[1].

وقال أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : ((من قال لا إله إلاّ الله خالصاً من قلبه))[2] .

---

[1] الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى [إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم] إلى آخر السورة [واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله] إلى قوله [من المسلمين] وفي كتاب تفسير القرآن باب قول الله [وعلم آدم الأسماء كلها] وفي باب [ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا] وفي كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى [لما خلقت بيدي] وفي باب قول الله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] وفي باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما .

[2] الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث وفي كتاب الرقاق باب في صفة الجنة والنار .

الشرح : الشفاعة هي : أن يكون الشافع يشفع لطالب الحاجة في طلبها حيث يكون طالب الحاجة منفرداً بطلبها ، فينضم إليه الشافع فيكون طالباً للحاجة نفسها منظماً إلى صاحبها ومعززاً له .

وهي مأخوذة من الشفع الذي هو ضد الوتر ، والوتر هو الواحد ، والثلاثة ، والخمسة والسبعة ، والتسعة .

والشفع هو : ما انقسم على اثنين من دون كسر ، ويبدأ بالعدد اثنين ، ثمَّ الأربعة ، ثمَّ الستة ثمَّ الثمانية ، وهكذا دواليك ، ولمَّا كان المشركون يعبدون غير الله مع أنهم يعتقدون أنَّ الله هو الخالق ، وهو الرازق وهو المحيي ، وهو المميت لكنَّهم يعبدون تلك المعبودات ، ويزعمون أنَّهم شفعاء لهم عند الله فنفى الله عز وجل زعمهم هذا .

وأخبر أنَّ الشفاعة لله ، وأنَّه لايملكها أحدٌ غيره لاملكٌ مقرب ، ولانبي مرسل ، وأنَّ الواجب أن تطلب الشفاعة من الله ؛ لأنَّها لاتكون إلاَّ بإذنه ، ولايستطيع أحدٌ أن يشفع إلاَّ بعد رضاه وهي في الحقيقة إكرامٌ للشافع ، ورحمةٌ للمشفوع له بعد الرضا عن المشفوع له ، وقد أخبر الله في هذه الآيات بذلك فقال : [قل لله الشفاعة جميعا] أي أنَّه هو الذي يملكها وحده دون سواه وقال : [من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه] فمن هنا استفهام إنكاري ؛ أي لا يستطيع أحدٌ أن يشفع عنده إلاَّ بإذنه ، وقال جلَّ وعلا : [وكم من ملكٍ في السماوات لاتغني شفاعتهم شيئا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى] فأخبر جلَّ وعلا أنَّ الملائكة المقربين لايستطيعون أن يشفعوا إلاَّ من بعد إذن الله عز وجل ورضاه عن المشفوع له ؛ومن اعتقد جواز الوساطة على الله وطلب الشفاعة منهم ، وقاسها على حال ملوك الدنيا ؛ الذين تطلب منهم الحاجات ، فقياسه هذا باطلٌ ؛ لأنَّه سبحانه وتعالى لايقاس بخلقه ، ولايحتاج إلى أحدٍ من خلقه ، فالملوك يحتاجون إلى من حولهم باعتبار أنَّ المخلوقين يكمِّل بعضهم بعضا ، ويعين بعضهم بعضا ؛ أمَّا الله عز وجل فالناس كلهم محتاجون إليه وهو غنيٌّ عنهم : [يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد] [فاطر : ١٥] والشفاعة لاتحصل من الله عز وجل إلاَّ بعد رضاه عن المشفوع له ، وإكرامه للشافع وقد جاء في الحديث : عن أبي هريرة أنَّه قال له يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : ((من قال لا إله إلاّ الله خالصاً من قلبه)) فمن شروط الشفاعة أنَّها للموحدين

ولاتكون إلاَّ بعد رضا رب العالمين ، وعلى ذلك تظافرت الأدلة ؛ فمن طلبها من غير الله حرمها ومن مات على الشرك فإنَّها لاتنفعه شفاعة ولاتقع فيه شفاعة ، ولهذا قال جلَّ من قائل : [قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرةٍ في السماوات

ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير & ولاتنفع الشفاعة عنده إلاّ لمن أذن له] لمَّا كان ملوك الدنيا يكون من يعينهم شريكاً لهم في ملكهم ، فنفى الله عز وجل عن نفسه وعن ملكه الشراكة حتى لو كان في مثقال ذرة ، ونفى أن يكون له ظهيرٌ من خلقه لا ملكٌ مقرب ، ولانبي مرسل ، فما له ظهيرٌ ولاشريكٌ ، ولا معينٌ ولاوزيرٌ ، ومع ذلك قال : [ولاتنفع الشفاعة عنده إلاَّ لمن أذن له] وقال : [ولايشفعون إلاّ لمن ارتضى] فالنبي ρ لم يشفع في أحد من قرابته الذين ماتوا على الشرك إلاَّ في أبي طالب فإنَّه يشفع في تخفيف العذاب عنه وليس في إخراجه من العذاب وكذلك قد ورد : « أنَّ النبي ρ قال يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له : إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد !! . فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » رواه البخاري والذيخ هو ولد الضبُع الصغير ، ومعنى تلطخه بالعذرة تلطخه بالشرك والكفر ، وفي هذا إشارةٌ إلى عدم قبول الشفاعة فيه ، وإن كان ولده خليل الرحمن .

فالشفاعة المنفية : هي التي تطلب من غير الله أو تطلب للمشرك .

والشفاعة المثبتة : هي التي تطلب من الله ، فإن قيل كيف طلبت الشفاعة من الأنبياء في الآخرة في فصل القضاء ؟ فالجواب : لأنَّه حينئذٍ كان الأنبياء جميعاً وغيرهم قد أحياهم الله الحياة الأخيرة وحينئذٍ جاز الطلب منهم مباشرة ، فإن منع طلب الشفاعة من غير الله عز وجل إنَّما هو طلبها من الميت أو الغائب ، والرسل في ذلك اليوم وموجودون أحياء ، فجاز طلب الشفاعة منهم فلاتعلق بهذه الشبهة لأحدٍ من المشركين الذين يريدون شيئا يتعلقون به ليجوّزوا ما لم يكن جائزاً

١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى [واتخذ الله إبراهيم خليلا] وقوله [إن إبراهيم كان أمة قانتا لله] وقوله [إن إبراهيم لأواه حليم] من حديث أبي هريرة τ .

ويبيحوا ما كان ممنوعاً .

أما أقسام الشفاعة وأنواعها فهي سبع شفاعات ؛ ثلاثٌ منها خاصةٌ بالنبي ρ لايشاركه فيها أحد ؛ وهي : –

١– الشفاعة في فصل القضاء التي يقال لها المقام المحمود .

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة .

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب .

أما الشفاعات في أقوامٍ استحقوا دخول النار ألاَّ يدخلوها ، أو في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها ، والشفاعة في أهل الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة ، والشفاعة في رفعة درجات أقوامٍ في الجنة ، فهذه الأربع عامة يشارك فيها النبي ρ وغيره من الأنبياء والصديقين ، والشهداء ، وسائر المؤمنين ، فهذه أربع ، وتلك ثلاث أي الخاصة بالنبي ρ وإذن فالجملة سبع شفاعات ؛ اللهمَّ اجعلنا ممن تشفع فيهم نبيك ρ وبالله التوفيق .

(١٧) باب قول الله تعالى : [إنَّك لاتهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين] [١]

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه τ قال : ((لمَّا حضرت أبا طالبٍ الوفاة جاءه رسول الله ρ وعنده عبد الله بن أبي أمية ، وأبو جهل ، فقال له : يا عمّ قل لا إله إلاَّ الله كلمةً أحاجَّ لك بها عند الله

فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فأعاد عليه النبي ρ فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلاَّ الله ، فقال النبي ρ : لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْه عنك ، فأنزل الله : [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين] [التوبة : ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب : [إنَّك لاتهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء] [القصص : ٥٦] .

الشرح : الهداية تنقسم إلى قسمين :

١- هداية دلالة ، وبيان ، وإرشاد ، وهذه الهداية مثبتة في قوله سبحانه : [وإنَّك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم] وفي قوله سبحانه وتعالى : [أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتَّبع أمَّن لايهدي إلاَّ أن يهدى] .

٢- هداية منفية ؛ وهي هداية التوفيق ؛ وإصلاح القلوب لقبول الحق ، ومتابعته ؛ فهذه الهداية ينفرد بها الله وحده دون سواه ، فلايشاركه فيها أحد لاملك مقرب ، ولانبي مرسل ؛ وهي المذكورة في هذه الآية في قوله تعالى : [إنَّك لاتهتدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء] .

ثمَّ أورد هذا الأثر عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالبٍ الوفاة ... » الخ .

يؤخذ من هذا الحديث :

١-حرص النبي ρ على عمِّه أن يقول لا إله إلاَّ الله .

٢-أنَّ صاحب الخير لايخلو من معارض ، فقد عارض النبي ρ في دعوته لعمِّه عارضه أبو جهل ابن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، فكان إذا كرر عليه أن يقول لا إله إلاَّ الله ، ودعاه إلى قولها كرر عليه أولئك مقالتهم : أترغب عن ملة عبد المطلب أو عن دين عبد المطلب .

---

١) سورة القصص آية ٥٦ .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب : [إنَّك لاتهدي من أحببت] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت .

٣-إذا كان النبي ρ مع ماله عند الله من مقام ، وماله عنده من جاه ؛ فهو أفضل الخلق على الإطلاق ، وأعظمهم عند الله جاهاً ، وأقربهم إليه وسيلة لايقدر على هداية من أحب هداية توفيق لأنَّ هداية التوفيق كلها بيد الله ، فهو الذي يهدي القلوب ، ويردها إلى الحق إذا شاء ؛ وهو الذي يمنع ذلك ، ويترك أصحاب الضلالة في ضلالاتهم يعمهون حتى يواجهوا الحقيقة المُرَّة فكان أبو طالب آخر ما قال : أنَّه على ملة عبد المطلب .

٤- يؤخذ منه أنَّ ملة عبد المطلب هي ملة المشركين في زمنه ، فكانوا يؤمنون بما آمن به أهل ذلك العصر وفي محيط العرب ، وينفون ما نفوه ؛ وهو البعث بعد الموت ، ولهذا فإنَّ أبا طالب استحق دخول النار بذلك ، فقد أخبر النبي ρ أنَّه يأتي إليه يوم القيامة وهو في غمرة من جهنَّم فيخرجه إلى ضحضاح منها ، فله في قدميه جمرتان تغلي منهما دماغه كما ورد في الحديث[1] .

٥- يؤخذ منه عظمة شأن التوحيد ؛ وأنَّ له الأثر العظيم في مستقبل العبد ؛ وأنَّ من مات على غيره لابدَّ أن يواجه الحقيقة المرة من دخول النار ، والخلود فيها أبد الآباد ، ودهر الدهور .

٦- ويؤخذ منه أنَّ محبة العاطفة لايؤخذ بها ، فقد حرص النبي ρ على أبي طالب أن ينجيه الله من النار محبةً له ، وقد أثبت الله هذه المحبة بقوله : [إنَّك لاتهدي من أحببت] .

٧- يؤخذ منه مضرة جلساء السوء على الإنسان .

٨- يؤخذ منه مضرة تعظيم الأسلاف ، والأكابر إذا كان بغير حق .

٩- يؤخذ منه أنَّ الأعمال بالخواتيم ، وبالله التوفيق .

---

١) الحديث أخرج نحوه البخاري بلفظ : " عن عبدالله بن خباب عن أبي سعيد الخدري τ أنه سمع رسول الله ρ وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه " وذلك في كتاب المناقب باب قصة أبي طالب ، وأخرج نحوه أيضاً مسلم في كتاب الأدب باب كنية المشرك وفي كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وفي كتاب الإيمان باب شفاعة النبي ρ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه من حديث أبي سعيد الخدري والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما .

(١٨) باب ما جاء أنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله تعالى : [يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولاتقولوا على الله إلاَّ الحق إنَّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه] [النساء : ١٧١] .

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : [وقالوا لاتذرنَّ آلهتكم ولاتذرنَّ وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسرا] [

نوح : ٢٣] قال : " هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد ؛ حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت " .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : قال غير واحدٍ من السلف لما ما توا عكفوا على قبورهم ، ثمَّ صوروا تماثيلهم[٢] ، ثمَّ طال عليهم الأمد ، فعبدوهم .

وعن عمر أنَّ رسول الله ρ قال : « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنَّما أنا عبدٌ[٣] ، فقولوا : عبد الله ورسوله » أخرجاه .

وقال : قال رسول الله ρ : « إياكم والغلو ، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلو » .[٤]

ولمسلم عن ابن مسعود أنَّ رسول الله ρ قال : « هلك المتنطعون »[٥] قالها ثلاثاً .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب : [وداً ولاسواعاً ولايغوث] .

٢) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ج١ /١٨٣ بتحقيق محمد حامد الفقي .

٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : [واذكر في الكتاب مريم] قال الشيخ الوليد آل فريان : " وأصله عند مسلم في الصحيح برقم ١٦٩١ " .

٤) الحديث جاء بلفظ : " عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو واقف على راحلته : هات القط لي فلقطت له حصيات وهي حصى الخذف فلما وضعتهن في يده قال نعم بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " كما رواه ابن حبان في صحيحه بلب ذكر وصف الحصى التي ترمى بها الجمار برقم ٨٧١ في ج٣ / ١٨٣ وفي سنن النسائي (المجتبى) باب التقاط الحصى برقم ٣٠٥٧ في ج٥ / ٢٦٨ وعند ابن ماجة باب قدر الحصى برقم ٣٠٢٩ في ج٢ / ١٠٠٨ وفي السنن الكبرى برقم ٤٠٦٣ في ج٢ / ٤٣٥ وبرقم ٩٣١٧ في ج٥ / ١٢٧ باب أخذ الحصى وفي مسند أبو يعلى في أول مسند ابن عباس في ج٤ / ٣١٦ برقم ٢٤٢٧ وقد صحح الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج١ / ٥٢٢ برقم ٢٦٨٠ وأشار إلى صحته في السلسلة الصحيحة برقم ١٢٨٣ والسنة برقم ٩٨ .

٥) في كتاب العلم باب هلك المتنطعون .

الشرح : الغلو هو الزيادة في الشيء عن قدره ، والله سبحانه وتعالى نهى أهل الكتاب عن الغلو ذلك بأنَّهم بالغلو دخلوا فيما لم يجز لهم الدخول فيه ، فالنصارى غلت في عيسى بن مريم حيث ألَّهوه أو جعلوه ابناً لله ، واليهود غلو في عزير حتى جعلوه ابناً لله ، فالله سبحانه وتعالى نهاهم عن الغلو بقوله : [يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولاتقولوا على الله إلاَّ الحق] والحق ألاَّ يعتدى على مقام الألوهية ، فلايجوز أن يقال في أحدٍ أنَّه ابنٌ لله .

ثمَّ أورد حديث ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى في سورة نوح : [وقالوا لاتذرنَّ آلهتكم ولاتذرنَّ وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسرا] قال : " هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح ...." الخ .

يؤخذ من هذا الأثر : -

١- أنَّ فتنة بني آدم ، ودخولهم في الشرك كان من طريق الغلو .

٢- يؤخذ منه أنَّ الشيطان يدخل بالحيلة حتى يدخلهم في الذرائع ؛ التي توصلهم إلى الشرك فهو أمرهم أن يصوروا صور أولئك الصالحين ، ولم يأمرهم بعبادتهم أوَّلاً .

٣- يؤخذ منه أنَّ الشيطان لايهمه أن يطول الأمر ؛ أي يمتد الزمان قبل أن تعبد ، فهو أمرهم بنصب صورهم في أماكنهم ، ثمَّ جاء لهم بحيلةٍ أخرى ، فالحيلة الأولى قال لهم : إذا نصبتم صورهم فإنَّكم تتذكرون ما كانوا يقولون لكم ، فيدفعكم ذلك إلى العبادة ، وثانياً قال لهم : إنَّ آبائكم كانوا يستسقون بهؤلاء الرجال ، فيسقون ، ففعلوا ذلك حتى إذا انقرض الجيل الأول وجاء جيلٌ جديد ؛ قال لهم : إنَّ آبائكم كانوا يعبدونهم ، فعبدوهم .

وهكذا الشيطان ينزل مع الناس درجةً درجة حتى يوقعهم في الشرك بالله .

٤- أنَّ الشيطان قد أحيا فكر هؤلاء الرجال بعد الغرق ، وهلاك قوم نوحٍ كلهم ، فأحيا لهم ذكر هؤلاء الرجال ، ولما بعث النبي ρ كان هؤلاء معبودين كما هو مبيَّنٌ في بعض الآثار .

٥- يؤخذ من حديث عمر : ((لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ...)) الخ

" الإطراء : هو

المبالغة في المدح ، والخروج بالممدوح إلى حدِّ المغالاة فيه ، فالنبي ρ نهى أمته عن الإطراء ؛ الذي يخرج بهم إلى حد التأليه ، والله سبحانه وتعالى قد قال له :] قل إنَّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي

أنَّما إلهكم إلهٌ واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحدا [[الكهف : ١١٠] العمل الصالح هو الذي يكون خالصاً لله ، وموافقاً لما جاء عن رسول الله ρ من غير مغالاة ، ولاتقصير ، فالمغالاة لاتجوز ، والتقصير كذلك ، وقد يكون مضرة التقصير أخف من مضرة المغالاة ؛ لأنَّ المغالاة في المخلوق تخرج به عن حده ، وتجاوز الحد يصير العبد طاغوتاً .

وقوله : ((إياكم والغلو ، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلو)) هذا دلَّ على خطورة الغلو ، وأنَّ الواجب على العباد أن يتقوا الله عز وجل ، وأن يعملوا ما أمروا به من دون مغالاة ، ولاتقصير .

ثمَّ الحديث الأخير عن ابن مسعود أنَّ رسول الله ρ قال : ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثاً ، والتنطع هو التشدد ، والتكلف بما لاينبغي ، فيجب الاقتصاد

في الشيء ، وعدم الزيادة فيه كما أنَّه لاينبغي أن ينقص الشيء عن قدره ، فكذلك لايزاد عمَّا يستحقه ، وبالله التوفيق .



(١٩) باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجلٍ صالح ، فكيف إذا عبده

في الصحيح عن عائشة أنَّ أمَّ سلمة رضي الله عنهما ذكرت لرسول الله ρ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله[١] » فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل .

ولهما عنها قالت : لما نُزل برسول الله ρ طفق يطرح خميصةً له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك : « لعنة[٢] الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنَّه خُشي أن يتخذ مسجداً . أخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي ρ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : ((إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإنَّ الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكرٍ خليلا ؛ ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ؛ ألا فلا تتخذوا[3] القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك)) فقد نهى عنه في آخر حياته ، ثمَّ إنَّه لعن – وهو في السياق – من فعله ، والصلاة عندها من ذلك ، وإن لم يُبْنَ مسجدٌ ، وهو معنى قوله : ((خشي أن يتخذ مسجداً)) فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ؛ بل كل موضع يصلى فيه يسمَّى مسجداً ، كما قال ρ : ((جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا[4])) .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

٢) الحديث أخرجه البخاري أيضاً في كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، وأخرجه أيضاً مسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد .

٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب التيمم باب وقول الله تعالى : [فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه]

ولأحمد بسندٍ جيد عن ابن مسعود τ مرفوعاً : ((إنَّ من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء[1] والذين يتخذون القبور مساجد)) ورواه أبو حاتم في صحيحه .

الشرح : هذه الأحاديث كلها تدل : –

١– على تحريم اتخاذ القبور مساجد ؛ سواءً جعلت القبور في المسجد بعد بنائه أو بني المسجد في وسط المقابر ؛ كل ذلك لايجوز .

ولايجوز أن يصلي في مسجد حوله مقابر ، وبالأخص إذا كانت المقابر في قبلته ، فإن كان المسجد بني على القبر وعلى المقابر تعظيماً لها ؛ فإنَّه يجب هدمه ، ومنع الصلاة فيه .

وإذا كان المسجد مبنياً ووضعت المقابر فيه ؛ فإنَّ الأولى أن تخرج منه الرِّمم ، والعظام ؛ التي في المقابر ، وتنقل إلى مقابر المسلمين ، وحينئذٍ يكون المسجد صالحاً للصلاة فيه ؛ بدون هذا لاتجوز الصلاة فيه ، وكذلك إذا كانت المقابر محيطة به من جوانبه .

٢– يؤخذ من هذه النصوص أنَّ العبادة إن كانت لله عز وجل ؛ لكن فعلها صاحبها عند هذا القبر تبركاً به ، وظناً أنَّ العبادة عنده تكون مقبولة عند الله عز وجل ، وفاضلة لديه ، فإنَّ تلك العبادة تكون باطلة ، ومردودة على صاحبها ، ولايجوز له أن يفعلها عند القبر .

٣– أنَّ المعروف من حال الناس أنَّهم يذبحون عند القبور ، ويزعمون أنَّ هذه الذبيحة إنَّما ذبحت لله ، وهذا غير صحيح ، ولو كان قصد الذبح لله لذبحها في بيته ولم يأت بها إلى القبر ، وعلى أقل الأحوال فإنَّ هذه العبادة مشتركة بين الله وبين خلقه ، وفي الحديث أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول : ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)) .[٢]

٤– أنَّ النبي ρ لعن الذين يتخذون القبور مساجد ، وخصَّ باللعنة اليهود والنصارى ؛ لأنَّهم

= وأخرجه أيضاً الإمام مسلم رحمه الله في أول كتاب المساجد من حديث جابر بن عبدالله τ .

١) الحديث أخرجه أحمد في المسند في ج١ / ٤٥٤ برقم ٤٣٤٢ وابن خزيمة في صحيحه في ج٢ / ٦ برقم ٧٨٩ وابن حبان في صحيحه في ج١٥ / ٢٦٠ برقم ٦٨٤٧ والطبراني في المعجم الكبير في ج١٠ / ١٨٨ برقم ١٠٤١٣ وقال في مجمع الزوائد (٢ / ٢٧) : إسناده حسن ، وعبد الرزاق في مصنفه في ج١١ / ٤٠٢ برقم ٢٠٨٤٨ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج٣ / ٣٠ برقم الحديث ١١٨١٦ ٤٥) وقال الدكتور الوليد آل فريان : " وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١ / ١٤٢) والبزار في المسند رقم (٣٤٢٠ ، ٣٤٢١) (كشف) وقال الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد (٨ / ١٣) رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقةٌ وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ، وقال الحافظ ابن تيمية في الاقتضاء (٢ / ٦٦٨) إسناده حسن ، وكذلك قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (١ / ٢٠٥) وأخرج الجملة الأولى البخاري في الصحيح رقم (٧٠٦٧) " اهـ .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الزهد والرقاق باب من أشرك في عمله غير الله من حديث أبي هريرة τ .

كانوا قد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

٥– أنَّ من دعا العبد الصالح سواء كان معروفاً بالصلاح كنبي الله عيسى عليه السلام ، وعزير وغيرهم من الصالحين ؛ من دعا أحداً من هؤلاء ، أو عبده من دون الله ، فإنه يكون مشركاً كافراً ، ومن صلى عند القبر معتقداً فضيلة الصلاة عند ذلك القبر ، فإن هذه ذريعة إلى الشرك من أشد الذرائع الموصلة إليه .

وكم أكد النبي ρ النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن من فعل ذلك .

٦– يؤخذ منه تحريم التصوير ، وتكون الحرمة أشد إذا قصد بالتصوير العبادة للشخص المصور كود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا .

٧– أن قبر النبي ρ كان خارجاً عن المسجد ؛ لأن بيته كان إلى جنب المسجد ، وقد دفن في بيته وفي عهد الوليد بن عبد الملك أمر بعمارة المسجد ، وأدخلت الحجرة في المسجد ، ولم يكن ذلك عن رضى من أهل العلم ؛ بل أنَّ بعض أهل العلم الذين كانوا موجودين في تلك الأزمنة كرهوا ذلك ، ومنهم سعيد بن المسيب .

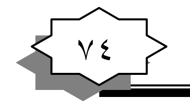
٨- أما القبة الخضراء التي بنيت على قبره ρ فقد بنيت في آخر القرن السادس بناها ملك من ملوك مصر ، فمن احتج بوجود قبر النبي ρ في مسجده ، فلاحجة له في ذلك ، وكذلك من احتج على البناء على القبور بوجود تلك القبة فلا حجة له في ذلك ؛ لأن تلك الأمور فعلت من أناس يكون عندهم جهل ، ولهم سلطة لايستطيع الناس الرد عليهم ، فعملوا ذلك بزعمهم أنه محبة للنبي ρ وتعظيماً له .

٩- يؤخذ من الحديث الأخير أن الذين يتخذون القبور مساجد من شرار الخلق عند الله عز وجل .

١٠- أن النبي ρ كرر النهي عن اتخاذ القبور مساجد بالأخص في آخر حياته ، وقرب موته ρ حتى لايتوهم متوهم أو يظنَّ ظانٌّ نسخه أو إباحته .

١١- أن الله أكرمه بأن اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، والخلة هي أعلى من المحبة .

١٢- فيه فضيلة لأبي بكر الصديق ، وإشارة إلى خلافته τ لقوله ρ : « ولو اتخذت من أمتي خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلا » وبالله التوفيق .



(٣٠) باب ما جاء أنَّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالكٌ في الموطأ أنّ رسول الله ρ قال : « اللهمّ لاتجعل قبري وثناً يعبد ؛ اشتد غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (١) .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : [أفرأيتم اللات والعزى] [النجم : ١٩] قال : " كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره " (٢) .

وكذا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: " كان يلت السويق للحاج " (٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ρ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن (٤) .

الشرح : يؤخذ من هذا الحديث ، ومن هذه الترجمة : -

١- أنَّ الغلو سببٌ في جعل قبور الصالحين أوثاناً تعبد من دون الله عز وجل .

٢– يؤخذ منه أنَّ الوثن كل شيءٍ عبد من دون الله ؛ سواءً كان قبراً أو غير ذلك ، ولهذا قال النبي ρ : ((اللهمّ لاتجعل قبري وثناً يعبد)) وذلك أنَّ النبي ρ خاف أن يتخذ قبره وثناً يعبد من دون الله ؛ مع أنَّه هو الذي حذر من الشرك ، وجاهد أهله ، وغضب على من فعلوه ، وأحلَّ الله له ولأمته قتل المشركين ، وسبي نسائهم ، وذراريهم ، وغنيمة أموالهم ؛ كل ذلك سببه عبادتهم

---

١) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب النداء للصلاة باب جامع الصلاة ، وأخرج بنحوه عبد الرزاق في مسنده في ج١ / ٤٠٦ برقم الحديث ١٥٨٧ وفي مصنف ابن أبي شيبة في ج٢ / ١٥٠ برقم الحديث ٧٥٤٤ وفي ج٣ / ٣٠ برقم الحديث ١١٨١٩ وأخرجه الإمام أحمد في ج٢ / ٢٤٦ برقم ٧٣٥٢ وأخرجه أيضاً في ج٢ / ٤٤٥ برقم ١٠٢٥ وأخرجه أبو يعلى في ج١٢ / ٣٣ برقم الحديث ٦٦٨١ .

٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٢٧ / ٥٨) .

٣) الأثر أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : [أفرأيتم اللات والعزى] .

٤ الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الجنائز باب في زيارة النسا للقبور ٣ / ٢١٨ برقم ٣٢٣٦ والنسائي في كتاب الجنائز باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ٤ / ٩٤ برقم ٢٠٤٣ والترمذي في كتاب الصلاة باب كراهة أن يتخذ على القبر مسجداً في ج٢ / ١٣٦ برقم ٣٢٠ وقال حديث حسن ، وابن ماجة مختصراً في كتاب الجنائز باب النهي عن زيارة القبور رقم ١٥٧٥ وابن حبان في ج٧ / ٤٥٢ رقم ٣١٧٩ والطبراني في الكبير في ج١٢ / ١٤٨ برقم ١٢٧٢٥ والحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج١ / ٥٣٠ برقم ١٣٨٤ والبيهقي في ج٤ / ٧٨ برقم ٦٩٩٨ وقال ابن حجر في التلخيص ٢ / ١٣٧ : والجمهور على أنَّ أبا صالح هو مولى أم هانئ وهو ضعيف كما قاله محققا القول المفيد ، وقال الشيخ الوليد آل فريان في تخريجه لهذا الحديث : " ويرى ابن القيم في تهذيب السنن ٢٤ / ٣٤٨ أنَّ أبا صالح هذا هو مهران وهو ثقة وليس بصاحب الكلبي المزعوم ونقل ذلك عن أبي حاتم ، وفي بعض نسخ الجامع كما يقول ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم في ج١ / ٢٩٤ " اهـ .

الأوثان من دون الله عز وجل ، ولهذا قال : ((اشتد غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ولايشتد غضب الله إلاَّ على من أتى أكبر الذنوب ؛ وأكبرها ، وأشدها ، وأفضعها اتخاذ القبور معابد ، وأوثاناً تعبد من دون الله عز وجل ، وكم من الآيات التي نصَّ الله فيها على المشركين ، وبيَّن فيها ضعف عقولهم ، وبعد ما ذهبوا إليه ، فكيف يتخذ إلهاً من صيَّره الله بالموت رِمَّةً ، وصار في قبره جيفةً ؛ لولا أنَّ الله ستر جيفته في الأرض لما استطاع أحدٌ أن يدنوا من جيفته مع العلم بعجز المخلوقين عن إسعاف من يطلبهم أو إنجائه مما يخاف ، ولكم بيَّن الله عز وجل قدرته بما عرض من آيات في الكون ، وبيَّن عجز الناس ، وضعفهم عن أتفه الأشياء ، وأقلها وأحقرها ؛ كما في قوله تعالى : [والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير& إن تدعوهم لايسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير] [فاطر : ١٣ ، ١٤] وقوله : [إنَّ الذين تدعون من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير] [سبأ : ٢٢] فالغلو في قبور الصالحين ، وكذلك الغلو في الأشخاص يجعل المغلو فيهم معبودين من دون الله تعالى ، وقد حذَّر الله تعالى في كتابه من الغلو فقال : [يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولاتقولوا على الله إلاَّ الحق

إنَّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسوله ولاتقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيراً لكم إنما الله إلهٌ واحد] [النساء : ١٧١] .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : [أفرأيتم اللات والعزى] [النجم : ١٩] قال : " كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره " ، وكذا أبو الجوزاء عن ابن عباس : " كان يلت السويق للحاج " .

وأقول : إنَّ من عادة الناس الغلو فيمن رأوا منه الصلاح ، وهذا الغلو هو الذي يصير المغلو فيه معبوداً من دون الله ، فهذا الرجل الذي كان يلت السويق ، ويطعمه الحاج ؛ غلا فيه الناس حتى صيروه معبوداً ، وعكفوا على قبره .

وبهذه المناسبة نتذكر أيضاً ما حصل لقوم نوحٍ بعد آدم حيث كان رجالٌ يدعونهم إلى الله ويحثونهم على الأعمال الخيرية ، فلما ماتوا جاء الشيطان إلى أقوامهم ، وأمرهم أن ينصبوا في أماكنهم صوراً لهم حتى يتذكروا ما كانوا يقولون لهم ، فيدفعهم ذلك إلى العبادة ، ففعلوا ، وبعد زمن من

حين انقرض ذلك الجيل عبدوا من دون الله .

ومن هنا نعلم أنَّ الشيطان قد يدعوا إلى العبادة لأغراضٍ له فيها ؛ حتى يخرج الناس من عبادة الله إلى عبادة غيره .

وأما العزى فهي شجراتٌ ثلاث نصبوا عندها صنماً ، وسموه بالعزى ليعبدوه من دون الله عز وجل ، ويقال أنَّهم اشتقوا العزى من العزيز ، وكانت العزى في وادي السيل على طريق الطائف فكانت لقريش ، ومن جاورها من أهل تهامة ، وكان اللات لأهل الطائف ومن حولهم ، فلما جاء الإسلام هدم هذه المعبودات كلها ، وجعل العبادة لله وحده دون من سواه قال الله عز وجل : [وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإنَّ الله بما يعملون بصير& وإن تولوا فاعلموا أنَّ الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير] [الأنفال : ٣٩ ، ٤٠] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ρ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن .

وأقول : هذا الحديث صحيح بمجموع طرقه ، ولذلك صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٩٨٥ وهو مرويٌّ من طريق ابن عباس ، وأبي هريرة ، وحسان بن ثابت ψ وعلى هذا فإنَّ اللعن لزوارات القبور من أجل أنَّهن يكثرن الزيارة الشركية ، ولهذا جاء بصيغة المبالغة ، وإلى ذلك ذهب كثيرٌ من أهل العلم ، وجعلوا ذلك خاصاً بالنساء اللاتي يكثرن زيارة القبور زيارة شركية ، وبدعية ،

وفي تخصيص النساء بذلك إشارة إلى أنَّ النساء أكثر من يقعن ضحية للخرافات ، والعقائد المنحرفة المبنية على الأوهام ، والتخريف ، ومن تأمل واقع الناس يعلم ذلك وزعم بعضهم أنَّ هذا النهي كان قبل الإذن بزيارة القبور ، وأنَّ الإذن في زيارة القبور الذي جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فإنَّها تذكر الآخرة » وبعد ذلك جاء الإذن عاماً للرجال والنساء ، واستدل من قال ذلك على الأصح بمرور النبي ρ بالمرأة التي كانت تبكي على القبر ، والحديث في الصحيحين ، واستدلوا أيضاً بزيارة

---

١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه في كتاب الجنائز باب ما جاء في زيارة القبور من حديث ابن مسعود ، وأخرجه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم الحديث ١٢٤٠ من حديث علي بن أبي طالب ، وفي باقي مسند الأنصار برقم ٢٢٤٩٦ من حديث ابن بريدة عن أبيه ، وأصل الحديث في صحيح مسلم والذي جاء فيه بلفظ : " نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ، ولا تشربوا مسكرا " وذلك في كتاب الجنائز باب استئذان النبي ρ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ، وأورده أيضاً في كتاب الأضاحي باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء عن بريدة τ . =

عائشة لقبر أخيها ، وأقول إنَّ النهي الوارد في الحديث لم يكن عن الزيارة السنية ، وإنما هو عن الزيارة البدعية والشركية ؛ لأنَّ الزيارة السنية لايلعن صاحبها ، وإنَّما يلعن من أتى محرماً وهؤلاء النساء أتين محرماً ، فلذلك لعنهنَّ النبي ρ والدليل على ذلك قوله في وصفهنَّ : « والمتخذين عليها المساجد والسرج » إذ أنَّه لايتخذ على القبور المساجد والسرج إلاَّ أهل الخرافات .

والفرق بين الزيارة البدعية والشركية : –

أنَّ الزيارة البدعية : هي التي يقصد فيها العبادة ، والدعاء عند القبر ظناً بأنَّ ذلك يكون سبباً في مضاعفة الأجر ، وقبول العبادة .

أمَّا الزيارة الشركية : فهي التي يدعى فيها المقبور ، ويطلب منه الحاجات ، وهذا كثير في النساء.

أمَّا الزيارة السنية : وهي المقصودة للدعاء للميت ، فهذه الظاهر جوازها للرجال والنساء عموماً وقد قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ρ : « كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون »[١] رواه مسلم ، وهذا هو القول الحق في المسألة إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

= ٢) وهذا الحديث أورده الإمام البخاري بلفظ : " مر النبي ρ بامرأة تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه ، فقيل لها إنه النبي ρ فأتت باب النبي ρ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت لم أعرفك ، فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى " وذلك في كتاب الجنائز باب زيارة القبور ، ولمسلمٍ بنحوه في كتاب الجنائز باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى .

٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٣٧٦) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤ / ٧٨) كما قال الدكتور الوليد آل فريان ، وقال محققا القول المفيد شرح كتاب التوحيد : " وقال العراقي في تخريج الإحياء ٤ / ٤١٨ رواه ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم بإسنادٍ جيد بلفظ : أنَّ عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها فقال لها عبد الله بن أبي مليكة : أليس النبي ρ قد نهى عن زيارة القبور ؟ قالت : إنَّه أمر بها بعد ذلك " اهـ .

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها .

(٣١) باب ما جاء في حماية المصطفى ρ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقوله تعالى [لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم]] التوبة : ١٢٨] .

عن أبي هريرة τ قال قال رسول الله ρ : ((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)) ورواه أبو داود بإسناد حسن ، ورواته ثقات .

وعن علي بن الحسين τ : أنَّه رأى رجلاً يجيء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ρ فيدخل فيها فيدعو فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ρ قال : ((لاتتخذوا قبري عيداً ، ولابيوتكم قبورا ، وصلوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلغني حيث كنتم[٣])) رواه في المختارة .

الشرح : النبي ρ سد الأبواب والذرائع الموصلة إلى الشرك ، ومن ذلك قوله ρ : ((ولا تجعلوا قبري عيدا)) ومن ذلك أنَّ النبي ρ قيل له : ((يا سيدنا وابن سيدنا ، ويا خيرنا وابن خيرنا فقال النبي ρ : يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ؛ أنا محمد بن عبد الله ورسول الله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله عز وجل[٤])) ومن ذلك أنَّه لمَّا جاءه رجل وقال يا رسول الله : ((جهِدت الأنفس وضاعت العيال ، ونهكت الأموال ، وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا ، فإنا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك قال رسول الله ρ ويحك

١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في ج١ / ٢١٨ برقم ٢٠٤٢ في كتاب المناسك باب زيارة القبور وأحمد في ج٢ / ٣٦٧ وفي المعجم الأوسط للطبراني في ج٨ / ٨١ برقم ٨٠٣٠ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج٢ / ١٥٠ برقم ٧٥٤٢ وفي ج٣ / ٣٠ برقم ١١٨١٨ وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في مصنفه في ج٣ / ٧١ برقم ٤٨٣٩ وفي ج٣ / ٥٧٧ برقم ٦٧٢٦ والحديث أخرجه أيضاً أبو يعلى في مسنده في ج١ / ٣٦١ برقم ٤٦٩ وفي ج١٢ / ١٣١ برقم ٦٧٦١ ولكنه جاء بلفظ : " وتتخذوا بيتي عيدا " بدل قوله : " ولاتتخذوا قبري عيدا " .

٢) وفي نسخة الدكتور الوليد آل فريان : " فإنَّ تسليمكم يبلغني أين كنتم " .

٣) انظر الضياء المقدسي في المختارة رقم (٤٢٨) .

٤) الحديث أخرجه عبد بن حميد في مسنده في ج١ / ٣٩٠ برقم الحديث ١٣٠٩ و١٣٣٧ والطبراني في السنن الكبرى في ج٦ / ٧١ برقم ١٠٠٧٨ وأحمد في ج٣ / ١٥٣ برقم ١٢٥٧٣ و١٣٥٥٣ وفي ج٤ / ٢٥ برقم ١٦٣٥٤ وفي كتاب الآحاد والمثاني لأبي بكر الشيباني أحمد بن عمرو الضحاك رحمه الله في ج٣ / ١٥٣ برقم الحديث ١٤٨٢ .

أتدري ما تقول ، وسبح رسول الله ρ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدري ما الله ؟! إن عرشه على سماواته هكذا ، وقال بأصابعه مثل القبة عليه ، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب » كل هذا يدل على حماية النبي ρ جناب التوحيد ، فقد دعا صلوات الله وسلامه عليه دعا ربه ألاَّ يجعل قبره وثناً يعبد ، وقد استجاب ربه دعاءه ، فحماه من ذلك ، وفي هذا يقول ابن القيم في نونيته[١] :

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدرانِ

فقد بني على قبره جدار مثلث بحيث لايتمكن أحدٌ أن يقف على قبره ، ويستقبل القبلة ويكون القبر بينه وبين القبلة ، وأحيط بالشبك الذي يمنع الدخول على الحجر ، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها ؛ التي دفن فيها هو وأبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما .

أورد المؤلف قول الله سبحانه : [لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم] [عزيزٌ عليه] بحيث أنَّه لايرضاه أبداً [ما عنتم] أي ما يشق عليكم [حريصٌ عليكم] أي حريصٌ على ما ينفعكم ، وقد جاء في الحديث عن النبي ρ أنَّه قال : « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً » يعني في ظلمة الليل « فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها ، وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار ؛ وأنتم تفلّتون من يدي » رواه مسلم[٢] وقد جاء في الحديث : « أنا فرطكم على الحوض ؛ من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ؛ قال أبو حازم : فسمع النعمان بن أبي عياش ، وأنا أحدثهم هذا الحديث ، فقال : هكذا سمعت سهلا يقول ؛ قال فقلت : نعم ؛ قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول : إنهم مني ، فيقال:

(٣)

إنك لا تدري ما عملوا بعدك ، فأقول سحقا لمن بدل بعدي)) رواه مسلم .

---

١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب الجهمية وإسناده ضعيف كما في ضعيف سنن أبي داود للألباني رحمه الله وأشار إلى ضعفه أيضاً في الظلال برقم ٥٧٥ والمشكاة برقم ٥٧٢٧ وقال الدكتور وليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان في تحقيقه لفتح المجيد ص٨٢٩ بأنَّه : " أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢ / ٢٢٤) والدارمي في الرد على الجهمية (٢٤) وابن خزيمة في التوحيد رقم (١٤٧) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٥٧٥) و (٥٧٦) والطبراني في الكبير رقم (١٥٤٧) والدارقطني في الصفات (٣٨) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد – يقصد شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة رقم (٦٥٦) وأبو الشيخ في العظمة رقم (١٩٨) وصححه ابن القيم في تهذيب السنن (٧ / ٩٥) وابن كثيرٍ في التاريخ (١ / ٨) " اهـ .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل باب شفقته ρ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم من حديث جابر بن عبد الله τ .

٣) الحديث متفق عليه فقد أخرجه الإمام البخاري في أول كتاب الفتن ، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ρ وصفاته من حديث =

والمهم أنَّ رسول الله ρ كما وصفه الله : [بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم & فإن تولوا] أي أعرضوا ولم يقبلوا ما جئت به [فقل حسبي الله لا إله إلاَّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم] .

في هذا الحديث حديث أبي هريرة τ أمر النبي ρ أمته ألاَّ يجعلوا بيوتهم قبورا ؛ لأنَّ القبور لايصلَّى فيها ، ولايقرأ القرآن فيها ، فينبغي لهم أن يصلوا في بيوتهم ، ويقرأوا فيها القرآن ، ثمَّ قال : " ولاتجعلوا قبري عيدا " نهى النبي ρ أن يجعل قبره عيدا ، فيذهبون إليه كلما ذهبوا وجاءوا ، فهو يطلب منهم ألاَّ يجعلوا قبره عيداً ، والعيد ما اعتاد على الإنسان من الأعياد الزمانية كعيد الأُضحى ، وعيد الفطر ، وما اعتاد عليه الإنسان كالأعياد المكانية ، فنهى النبي ρ أن يكثروا من المجيء إلى قبره متخذينه عيداً ، وأمر بالصلاة عليه فقال : ((وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت)) .

ثمَّ أورد الأثر وعن علي بن الحسين τ : أنّه رأى رجلاً يجيء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ρ فيدخل فيها فيدعو فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ρ أبوه الحسين بن علي ، وجده علي بن أبي طالب عن رسول الله ρ : قال : ((لاتتخذوا قبري عيداً ، ولابيوتكم قبورا ، وصلوا عليّ فإنَّ تسليمكم يبلغني حيث كنتم)) رواه في المختارة .[1]

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : " من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصاً كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوّي التوحيد ، وينميه ، ويغذيه من الحث على الإنابة إلى الله عز وجل ، وانحصاره في تعلق القلب بالله رغبةً ، ورهبةً ، وقوة الطمع بفضله وإحسانه ، والسعي في تحصيل ذلك ، وإلى التحرر من رق المخلوقين ، وعدم التعلق بهم بوجهٍ من الوجوه أو الغلو في أحدٍ منهم ، والقيام التام بالأعمال الظاهرة ، والباطنة ، وتكميلها وخصوصاً حثُّ

النصوص على روح العبودية ؛ وهو الإخلاص التام لله وحده ، ثمَّ في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين ، ونهى عن التشبه بالمشركين ؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم ، ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوصل بها إلى الشرك ؛ كل ذلك حماية للتوحيد ، ونهى

= سهل بن سعد واللفظ له ، وأخرج بنحوه أيضاً مسلم بلفظ آخر في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء من حديث أبي هريرة τ وبمثله الإمام البخاري في كتاب المساقاة باب من رأى أنَّ صاحب الحوض والقربة أحقُّ بمائه .

عن كل سبب يوصل إلى الشرك ؛ وذلك رحمةً بالمؤمنين ؛ ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة ، والباطنة ، وتكميلها ؛ لتكمل لهم السعادة ، والفلاح ، وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة " اهـ [1] .

وأقول : يا لها من جملٍ جيدة عظيمة من عالمٍ نحرير ، فالحمد لله على ذلك ، وبالله التوفيق .

١) انظر القول السديد شرح كتاب التوحيد ص٦٩ ، ٧٠ .

(٢٣) باب ما جاء أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى : [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت] [النساء :٥١] .

وقوله تعالى : [قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت] [المائدة : ٦٠] .

وقوله تعالى : [قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنَّ عليهم مسجدا] [الكهف : ٢١] .

وعن أبي سعيد τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن)) أخرجاه.

ولمسلمٍ عن ثوبان τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لايهلكها بسنةٍ بعامة ، وأن لايسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإنَّ ربي قال : يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنَّه لايرد ؛ وإنِّي أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنةٍ بعامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً)) [٢] .

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد : « وإنّما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولاتقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان ، وأنّه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون كلهم يزعم أنّه نبي ، وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي ـــ

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإعتصام باب قول النبي ρ : " لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم " وأخرجه الإمام مسلم في كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى .
٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

ولاتزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » .

الشرح : وقول الله تعالى : [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت] فقد نزلت في اليهود ، وقد ذهب إلى اليهود قومٍ من المشركين كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم : أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد فقالوا : ما أنتم وما محمد ؟ فقالوا : نحن نصل الأرحام ، وننحر الكوماء – المرتفعة السنام – ونسقي الماء على اللبن ، ونفك العناة ، ونسقي الحجيج ، ومحمد صنبور – الأبتر الذي لاعقب له – قطع أرحامنا ، واتبعه سرَّاق الحجيج من غفار ، فنحن خيرٌ أم هو ؟ فقالوا : أنتم خير وأهدى سبيلا ، فأنزل الله عز وجل : [ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا] .[2]

وإذا تأملنا في حال الحزبيين ؛ فنحن نجدهم شابهوا اليهود حين عقدوا مع الروافض اتفاقاً وقالوا نحن مسلمون ، وهم مسلمون ، وهم مع ذلك يبغضون الموحدين ، ولايطيقونهم أبداً ، فقد تعاطفوا ، وتصالحوا مع جميع فئات الضلال ، وقبلوهم أعضاءاً في حزبهم ؛ أمَّا الموحدون فإنَّهم لايطيقونهم أبداً ، أليس في هذا دليل على أنَّهم فئة ضلال ؛ بلى والله إنَّهم لكذلك .

وقد أخبر الله عن كل رسول بعث أنَّه يدعو إلى التوحيد ؛ أمَّا الإخوان المسلمون فإنَّهم يدعون إلى خلافة والنبي ρ بدأ بالتوحيد ، وهم بدأوا بالدعوة إلى خلافة .

والنبي ρ بدأ بالعقيدة وهم يعتنون بفضائل الأعمال ؛ ليغروا بها الناس ، ويتساهلون في العقائد التي هي الأصل في الدين.[3]

وقول الله تعالى :] قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم –

١) لم أجد تخريج هذه الزيادة عند البرقاني رحمه الله ، ولكن ذكر الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في تحقيقه لكتاب فتح المجيد عن الخطيب أنَّه قال فيه : " كان ثبتاً ورعاً لم نر في شيوخنا أثبت منه عارفاً بالفقه كثير التصانيف صنف مسنداً ضمَّنه ما اشتمل عليه الصحيحان " قلت ولعل هذا الحديث بهذه الزيادة في هذا الكتاب ويحتمل أن يكون في غيره ، وقد رواها أبو داود في كتاب الفتن باب ذكر الفتن وسكت عنها ، وابن ماجة في كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن ، وغيرهما .

٢) الأثر أخرجه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتاب فتح المجيد ، وقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في ج١١ / ٢٥١ برقم الحديث ١١٦٤٥ وأورده الإمام ابن كثير في تفسيره وغير واحد من أهل التأويل .

٣) لمزيدٍ من الإيضاح والتبيان عن حال هذه الجماعات الحزبية المعاصرة وما فيها من البدع والضلالات وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين راجع إن شئت الكتب التالية : المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال لفضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النَّجمي حفظه الله =

القردة والخنازير وعبد الطاغوت] وهذه الآية ردٌّ على اليهود ؛ الذين فضَّلوا المشركين على أصحاب النبي ρ في قوله تعالى :] ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا] وسياق هذه الآية في ضمن الآيات التي ردَّ الله بها على اليهود في زعمهم أنَّ المشركين أهدى من المؤمنين الموحدين فقال الله عز وجل لهم راداً عليهم ، ومبيناً ما هم عليه من الكفر ، وما لهم عند الله من العقوبة :] قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت] وهم أنتم الذين لعنكم الله ، وجعل منكم القردة ، والخنازير ، وكان منكم من عبد الطاغوت ، فهذه حقيقتكم يا أيها اليهود الضالون ؛ البعيدون عن مواطن رضى الله عز وجل .

والتعبير بالمثوبة هنا المقصود بها الجزاء ، والجزاء من جنس العمل ، ولما كانت أعمالهم أعمال كفرٍ ، وفسقٍ ، وموجبات لغضب الله عز وجل ؛ لذلك فإنَّ الله قد عاقبهم في الدنيا باللعن والغضب ، ومسخ بعضهم قردةً ، وخنازير ؛ بسبب ما هم عليه من الكفر ، والخبث ، والبغض لعباد الله الموحدين .

أمَّا في الآخرة فعاقبتهم عاقبة كل كافر عبد الطاغوت في الدنيا بدلاً من عبادة الله عز وجل فكيف تذمون المؤمنين ، وأنتم شرُّ خليقة الله ، فلكم الجزاء السيئ عند الله تعالى بسبب ما قدمتم من الأعمال القبيحة ، والله أعلم .

وقول الله تعالى :] قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنَّ عليهم مسجدا] المقصود بالذين غلبوا هم أصحاب الكلمة ، والنفوذ .

وهل هم المؤمنون أم الكافرون ؟ الظاهر أنَّهم الكافرون ؛ لأنَّ اتخاذ المساجد على القبور من طبيعة الكافرين ، وطريقتهم في كل زمانٍ ومكان ، فالذين صمموا على اتخاذ المسجد عليهم الأقرب أنَّهم الكافرون ؛ لأنَّ الإسلام ذم الذين يتخذون القبور مساجد ، والله تعالى أعلم .

= وكتابه الآخر الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول ، والأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة لفضيلة الشيخ العلامة زيد بن محمد المدخلي حفظه الله وكتابه الآخر الإرهاب وأثره على الأفراد والأمم ، وكتاب جماعة واحدة لاجماعات وصراط واحد لاعشرات لفضيلة الشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ، وكتابه منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل وغيرها من كتب السلفيين وهي كثيرة ولله الحمد ، واحذر من كتب أهل الغي والضلال حفظنا الله وإياك وسائر المسلمين من البدع والمحدثات ، وأماتنا جميعاً على النهج القويم ، والصراط المستقيم آمين يا رب العالمين .

ثمَّ أورد حديث أبي سعيد τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن)) . يؤخذ من هذا الحديث :

١- السنن جمع سنة ، والسنة هي الطريقة .

٢- أنَّ هذه الأمة ستأخذ ما أخذته القرون قبلها ، وسيتَّبعون سنن أهل الكتاب ، وطرائقهم وقد جاء في الحديث : ((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ؛ حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ؛ قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي)) .[١]

٣- قوله : ((حذو القذة بالقذة)) القذة هي الخِطة التي تفصل بين السنين كما في أسنان المنجل وهو الذي تقطع به الأعشاب ، فكل سنَّين بينهما فاصل تلك هي القذة .

٤- قوله : ((حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه)) يعني أنَّ جحر الضب متعرج ، فلو أنَّهم دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

ولمسلم عن ثوبان τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها......)) الحديث .

من فوائد هذا الحديث : -

١- أنَّ الله زوى لنبيه الأرض ، وأتى بها إليه ، فرأى مشارقها ، ومغاربها .

٢- أنَّ أمته بلغ ملكها ما زوي له منها .

٣- أنَّ النبي ρ أعطي الكنزين الأحمر ، والأبيض ، وهذان الكنزان هما كنوز كسرى وقيصر واللتين هما الدولتان العظيمتان في ذلك الزمن إحداهما معظم كنوزها الذهب ، والدولة الأخرى معظم كنوزها الفضة .

٤- أنَّ النبي ρ سأل ربه لأمته : ((أن لايهلكها بسنةٍ بعامَّة)) يعني ألا يجعل القحط عامَّاً عليهم

١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في كتاب الإيمان باب افتراق الأمم ، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ٢ / ٩٤٣ برقم الحديث ٥٣٤٣ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وأحال إلى المشكاة برقم ١٧١ وشرح الطحاوية برقم ٢٦٣ وقال حديثٌ حسن .

حتى يهلكهم ؛ دعا النبي ρ ربه عز وجل ألاَّ يهلكهم بذلك ، فأعطاه إياه ، ومعنى ذلك أنَّه إذا وقع الجدب في مواضع ، وقع الخصب في مواضع أخرى ، وإذا وقعت الشدة في مواضع ، وقع الرخاء في مواضع أخرى .

٥- يؤخذ من قوله : « أن لايسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم » دليلٌ ثابت وهو ضمانٌ من الله لأمة محمدٍ ρ أن لايهلكهم بعدوٍ يستبيح بيضتهم والبيضة هي الأصل وكأنَّ الأصل في موطن هذه الأمة هي أرض الحرمين ، ولهذا جاء في الحديث : « إن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ؛ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » [١] .

٦- يؤخذ من قوله ρ : « وإنَّ ربي قال يا محمد إنِّي إذا قضيت قضاءاً لايرد .... » إلى قوله : « يهلك بعضهم بعضا » في هذا ضمانٌ من الله بعدم تسليط القحط عليهم أو تسليط العدو عليهم ينتهي بكونه يسبي بعضهم بعضا ، ويهلك بعضهم بعضا أو أنَّ المراد أنَّ التسليط سيكون من بعضهم على بعض ، وأنَّ الرب جلَّ في علاه قد ضمن لنبيه أن لايسلط عليهم قحطاً عامَّاً يهلكهم : « وأن لايسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم » أي هم اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل الكفرية .

وفي رواية البرقاني في صحيحه وزاد : « وإنّما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ....» الحديث .

وأقول إنَّ الأئمة المضلين من نصَّبوا أنفسهم للدعوة ؛ وهم قد تركوا التوحيد ، وشرَّعوا لأتباعهم التعبد بالبدع ، ومن الأئمة المضلين من شرعوا لطلاب العلم تكفير أمَّة محمدٍ ρ وولاة الأمر ، والعلماء وهذا كله حاصلٌ ، وإنَّ هؤلاء لمن الأئمة المضلين ؛ الذين يخالفون نهج الشارع بل نهج الرسل جميعاً ، وهو البدء بالتوحيد ؛ والحقيقة أنَّ منهج الإخوان المسلمين ، والسرورية والقطبية ؛ هو أصله متغلغل من منهج جمال الدين الأفغاني ؛ هذا الرجل تحوم حوله شكوك ، فهو يظهر أنَّه شيعي ، ويظهر والعياذ بالله أنَّه كان يدعي أشياء ليست له ، ولاهي حقيقة فيه ؛ بل هو اتصل بالماسونية ، وانتظم فيها ، وتلميذه محمد عبده ، فهو الذي جاء بهذه المذاهب المنحرفة فالاعتزال مذهبه الخروج ، فهم والخوارج سواء ؛ لكن أهل الاعتزال لم يصرحوا بالكفر ولكنَّهم قالوا : إنَّه في [٢]

منزلة بين المنـزلتين ، وفي الآخرة يكونون مخلدين في النار ؛ أي أصحاب الكبائر ؛ الناحية الثانية : يظهر أنَّه شيعي ؛ لذلك تجد أنَّ الإخوان المسلمين ؛ بل رئيسهم

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

٢) أي بكفر مرتكب الكبيرة ، ولكنه عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين أي في الدنيا لا مسلم ولاكافر .

والداعية ، والمقرر لهذا المنهج ، والمؤسس له كان يدعو إلى التقارب بين أهل السنة والشيعة ؛ مع ما عند الشيعة من أمور فضيعة والعياذ بالله ، ونسأل الله العفو والعافية ؛ من ذلك زعمهم أنَّ جبريل كانت الرسالة إلى علي بن أبي طالب τ فأخطأ فيها ، ووضعها على محمد ρ ومن ذلك زعمهم في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنَّهما مغتصبان[1] ، وتكفيرهم للصحابة ، وما أشبه ذلك .

فالمهم أنَّ هذه العقيدة متغلغلة من هناك ، ونسأل الله العفو والعافية .

٧- يؤخذ من قوله ρ : « لاتقوم الساعة[2] حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين » ما أكثر من لحق بالمشركين ، والملحدين في هذا الزمن ، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

٨- يؤخذ من قوله : « حتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان » أنَّ عبادة الأوثان في بلدان المسلمين كثيرة ، فكم من أوثانٍ في بلدان المسلمين ، ففي مصر قبر البدوي ، والحسين ، والسيدة زينب وغيرهم ، وفي اليمن ابن علوان ، وغيره ، وفي بلدان أخر كل بلدٍ فيها مشهد يعبد من دون الله ما عدا السعودية ، والحمد لله ، فهذه المشاهد هي تعتبر أوثاناً لأنَّها عبدت من دون الله عز وجل وهي معتبرةٌ طواغيت كذلك .

٩- يؤخذ من قوله : « وأنَّه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون كلهم يزعم أنَّه نبي ، وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي » قد وقع في زمن النبي ρ اثنان من الرجال ادعيا النبوة ، وهما : الأسود العنسي ، ومسيلمة الكذاب ، وكليهما قد قتلا ، والحمد لله ، وامرأةٌ يقال لها سجاح ادعت النبوة أيضاً ، ثمَّ أنَّها تابت ، ومن تتبع التاريخ ، فسيجد الشيء الكثير من هذا .

١٠- قوله : « ولاتزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » هذه الطائفة قد قال أهل العلم أنَّهم أهل الحديث ؛ أصحاب المنهج السلفي وبالله التوفيق .

١) يعني للخلافة .

٢) أي منهج الإخوان ، والسرورية ، والقطبية متغلغل من عقيدة جمال الدين الذي تأثر بعقيدة الماسونية ، والتشيع أو بمعنى أصح عقيدة الروافض أعاذنا الله وإياكم من فتن الشهوات والشبهات ؛ وثبتنا وإياكم على السنة ، ومنهج سلف الأمة .

(٢٣) باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى :] ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق [[البقرة : ١٠٢] .

وقوله :] يؤمنون بالجبت والطاغوت [[النساء : ٥١] قال عمر : " الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان " .

وقال جابر : " الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان[١] في كل حي واحد " .

وعن أبي هريرة τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((اجتنبوا السبع الموبقات ؛ قالوا يا رسول الله : وما هنَّ ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)) .[٢]

وعن جندب مرفوعاً : ((حد الساحر ضربة بالسيف)) رواه الترمذي ، [٣] وقال : الصحيح أنَّه موقوف .

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن

الخطاب : أن اقتلوا كل ساحرٍ[٤] وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر " .

---

١) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب قول الله تعالى : [وإن كنتم مرضى أو على سفر ...] .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوصايا باب قول الله تعالى : [إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا] وفي كتاب الحدود باب رمي المحصنات ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها .

٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الحدود باب ما جاء في الساحر ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب الحدود في ج٤ / ٤٠١ برقم الحديث ٨٠٧٣ وقال هذا حديثٌ صحيح الإسناد ، والبيهقي في السنن في ج٨ / ١٣٦ برقم الحديث ١٦٢٧٧ باب تكفير الساحر وقتله ، والدارقطني في السنن في ج٣ / ١١٤ برقم ١١٢ والطبراني في المعجم الكبير في ج٢ /١٦١برقم ١١٦٦٥وقد ضعف الإمام الألباني رحمه الله هذا الحديث في السلسلة الضعيفة برقم ١٤٤٦ .

٤) هذا الأثر بهذا اللفظ لم أجده في صحيح الإمام البخاري وإنما وجدته في غيره من كتب السنن والمسانيد ، فقد أخرجه بهذا اللفظ صاحب الإستذكار في ج٨ / ١٦١ ومصنف ابن أبي شيبة في ج٥ / ٥٦٢ برقم ٢٨٩٨٢ وفي مسند الشافعي في ج١ / ٣٨٣ برقم الحديث ١٧٦١ والبيهقي في السنن الكبرى ج٨ / ١٣٦ برقم ١٦٢٧٥ باب تكفير الساحر وقتله ، وأخرج الحديث بنحوه الإمام أبو داود في سننه في ج٣ / ١٦٨ برقم ٣٠٤٣ باب في أخذ الجزية من المجوس ، والبيهقي أيضاً في السنن في ج٨ / ٢٤٧ برقم ١٦٨٩٩ باب ما جاء في حد الذميين ، والدارقطني في ج٢ / ١٥٤ الحديث الأول باب في جزية المجوس ، والإمام أحمد في ج١ / ١٩٠ برقم ١٦٥٧ ، وفي مسند أبي يعلى في ج٢ / ١٦٦ رقم ٨٦٠ ، ومصنف عبد الرزاق في ج٦ / ٤٩ رقم ٩٩٧٢ وفي ج١٠ / ١٧٩ رقم ١٨٧٤٥ باب قتل الساحر وفي ج١٠ ٣٦٧ رقم ١٩٣٩٠ ، ومصنف ابن أبي شيبة ج٦ / ٤٣٠ رقم ٣٢٦٥٢ ، وفي فتح الباري ج٦ / ٣٦١ وفي ج١٠ / ٢٣٦ قوله باب السحر برقم الحديث ٥٤٣٣ .

وصح عن حفصة رضي الله عنها : أنَّها أمرت بقتل جاريةٍ[١] لها سحرتها ،

فقتلت ، وكذلك صح عن عند جندب[٢] ؛ قال أحمد عن ثلاثةٍ من أصحاب

النبي ρ .

الشرح : السحر حقٌّ بمعنى وقوعه حق ؛ قال شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي :

والسحر حقٌّ وله تأثير لكن بما قدَّره القدير

أعني بذا التقدير ما قد قدَّره في الكون لا في الشرعة المطهرة

فالسحر مما قدَّره الله كوناً ، ومنعه شرعاً ؛ كما أنَّ الله قد قدَّر الكفر كوناً ، ومنعه شرعاً ؛ وهو ينقسم إلى قسمين :

١- قسمٌ يقال له سحر التخييل

٢- وقسمٌ يقال له سحر التأثير .

فمن سحر التخييل ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن سحرة فرعون حين قال :[قالوا يا موسى إما أن تلقي وإمَّا أن نكون أول من ألقى& قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى] [طه : ٦٥ ، ٦٦] .

وأمَّا سحر التأثير فهو كثيرٌ أيضاً ، وأنواعه متعددة :

فمنه حبس الرجل عن امرأته ، وتأخيره عنها حتى لايشتهيها أو لا يتحرك إليها ؛ قال الله عز وجل : [فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحدٍ إلاَّ بإذن الله] [البقرة : ١٠٢] .

ومنه أيضاً أي من سحر التأثير ما يحصل لكثيرٍ من الناس ، ومن ذلك ما حصل للنبي ρ حين سحره لبيد بن الأعصم اليهودي عليه لعنة الله فرقاه جبريل بالمعوذتين ، وأخبره بمكان السحر فأرسل إليه ، وأتي به .[٣]

---

١) الأثر أخرجه الإمام البيهقي في سننه في ج٨ / ١٣٦ برقم الحديث ١٦٢٧٦ والشافعي في مسنده ج١ / ٣٨٣ برقم ١٧٦١ والطبراني في المعجم الكبير في ج٢٣ / ١٨٧ برقم ٣٠٣ والإمام مالك في الموطأ في ج٢ / ٨٧١ برقم ١٥٦٢ وعبد الرزاق في مصنفه في ج١٠ / ١٨٠ رقم ١٨٧٤٧ وابن أبي شيبة في ج٥ / ٤٥٣ رقم ٢٧٩١٢ وفي ج٥ / ٥٦١ رقم ٢٨٩٨٠ وفي تحفة الأحوذي في ج٤ / ٥٩٧ .

٢) الأثر أخرجه الإمام البخاري في التاريخ الكبير في ج٢ / ٢٢٢ برقم الحديث ٢٢٦٨ قال الدكتور الوليد آل فريان على تحقيقه لهذا الأثر : " قال الذهبي في تاريخ الإسلام (٣ / ٣) : إسناده صحيح " وقد أخرج الأثر أيضاً في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة في ج١ / ٥١٢ .

٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ، وفي كتاب الطب باب السحر ، وفي كتاب الأدب باب قول الله تعالى : [إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب السحر من حديث عائشة رضي الله عنها .

والمهم أنَّ السحر كفرٌ قال الله تعالى : [واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنَّما نحن فتنةٌ فلا تكفر] فقد أخبر الله عز وجل أنَّ الشياطين كفروا بتعليمهم السحر للناس ، وافتراءهم على سليمان بأنَّه هو الذي كفر .

ثانياً : بإخبار الله عن الملكين أنَّهما ما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنَّما نحن فتنةٌ فلا تكفر .

ثالثاً : يؤخذ من قوله : [ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق]

أي من استبدله عن الإيمان فإنَّه لاخلاق له في الآخرة ؛ أي لانصيب له من السعادة ، ولا من الجنة

.

وقوله : [يؤمنون بالجبت والطاغوت] [النساء : ٥١] قال عمر : " الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان وقال جابر : الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد " .

وأقول : أنَّ من استقرأ أحوال الجاهلية ، وما كانوا عليه في جاهليتهم يعرف ذلك جيداً فالطواغيت كهَّانٌ تنزل عليهم الشياطين في كل حيٍّ واحد يفزعون إليه ، فيأتيهم بأسجاع ربما يكون فيها الكلمة التي تسمع من الملائكة ، ولهذا فإنَّهم منعوا حين بعث النبي ρ عن الاستماع قال الله عز وجل عنهم : [وأنَّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا & وأنَّا كنَّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا& وأنَّا لاندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا] [الجن : ٨ – ١٠] .

ومن هذه الآيات يتبين لنا أمور : –

١– أنَّهم كانوا يقعدون في مقاعد للسمع في السماء من أجل أن يسمعوا كلاماً يغوون به الناس .

٢– أنَّهم منعوا بعد بعثة النبي ρ فلم يقدروا على شيء من الاستماع ، وأنَّ السماء حرست بالشهب ؛ التي ترمي الشياطين ، فتحرقهم .

٣– يؤخذ منه أنَّ الجن لايعلمون شيئاً من الغيب ، ولهذا قالوا : [وأنَّا لاندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا] .

٤– أنَّ الشياطين تؤمن بربها ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، وهكذا الكفار من الإنس يؤمنون بربهم ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، والطاغوت مشتقٌ من الطغيان ، والظاهر أنَّ التاء للتكثير أي لوقوعهم في الطغيان كثيرا ، والطغيان هو الزيادة في الشيء التي تخرج به عن حده .

ثمَّ أورد حديث أبي هريرة τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((اجتنبوا السبع الموبقات ؛ قالوا يا رسول الله : وما هنَّ ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ...)) الحديث ، والسحر قد تقدم الكلام عليه .

ثمَّ أورد حديث جندب مرفوعاً : ((حد الساحر ضربه بالسيف)) أو قال : ((ضربةٌ بالسيف)) .

وجندب هذا هو جندب الخير الذي وقف على ساحر ؛ وهو يزعم بأنَّه يقطع رأس الغلام ويرده ، فذهب جندب فاشتمل على سيفه ، ثمَّ أتى فلما ذهب يلعب ضرب رأسه بالسيف فسقط فقال : إن كان صادقاً فليرد رأسه ، وقال : حد الساحر ضربة بالسيف .[١]

وقال : " وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قـــال : كتب عمر بن الخطـــاب : أن اقتـــلوا كـل سـاحرٍ وساحــرة ؛ قـال : فقتلنا ثلاث سواحر ، وصح عن حفصة رضي الله عنها : أنَّها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتها ، فقتلت " .

وأقول : في هذه الآثار ما يدل على كفر الساحر ، وأنَّ حدَّه ضربةٌ بالسيف ؛ سواء كان رجلاً أو امرأة .

ويؤخذ من هذه الآثار : أنَّه يستتاب ، ويقتل[٢] .

ويؤخذ منه : وجود السحر في المسلمين في زمن عمر بن الخطاب τ فكيف بزمننا هذا ، علماً بأنَّ وجوده في زمن عمر كان من بقايا الجاهلية فيما نظنُّ ، وبالله التوفيق .

---

١) الحديث سبق تخريجه في أول الباب .

٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد عند قوله : " كتب إلينا عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة " وظاهره أنَّه يقتل من غير استتابة وهو كذلك على المشهور عن أحمد ، وبه قال مالكٌ ؛ لأنَّ علم الساحر لايزول بالتوبة ، وعن أحمد يستتاب فإن تاب قبلت توبته ، وبه قال الشافعي ؛ لأنَّ ذنبه لايزيد عن الشرك ، والمشرك يستتاب ، وتقبل توبته ، ولذلك صحَّ إيمان سحرة فرعون وتوبتهم " اهـ ثمَّ قال الدكتور الوليد بن عبد الرحمن على تحقيقه لكتاب فتح المجيد عند هذا الموضع : " ينظر : أبو يعلى الروايتين (٢ / ٣٠٣) ابن قدامة المغني (١٢ / ٣٠٣) وابن كثير التفسير (١ / ٢٦٠) " اهـ .

(٣٤) باب بيان شيءٍ من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف حدثنا حيان بن العلاء حدثنا قَطَن بن قَبِيصة عن أبيه أنَّه سمع النبي ρ قال : ((إنَّ العيافة والطَّرق والطِّيرة من الجبت)) قال عوف : العيافة : زجر الطير والطرق : الخط يخط في الأرض ، والجبت : قال الحسن : رنة الشيطان . إسناده جيد ، ولأبي داود والنسائي ، وابن حبان في صحيحه المسند منه [١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ρ : ((من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد)) [٢] رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح .

وللنسائي من حديث أبي هريرة τ : ((من عقد عقدةً ثمَّ نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه)) [٣] .

وعن ابن مسعود τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((ألا أنبئكم ما العَضْه ؟ هي النميمة : القالة بين الناس)) رواه مسلم [٤] .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ρ قال : ((إنَّ من البيان لسحرا)) [٥] .

---

١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه في ج١٣/ ٥٠٢ برقم ٦١٣١ وأبو داود في ج٤ / ١٦ برقم ٣٩٠٧ والبيهقي في السنن الكبرى في ج٨ / ١٣٩ برقم ١٦٢٩٢ وأبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار في ج٤ / ٣١٢ برقم ٦٥٨٠ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده في ج٣ / ٤٧٧ برقم ١٥٩٥٦ وفي ج٥ / ٦٠ برقم ٢٠٦٢٣ والطبراني في المعجم الكبير في ج١٨ / ٣٦٩ برقم ٩٤٤ وعبد الرزاق في مصنفه في ج١٠ / ٤٠٣ رقم ١٩٥٠٢ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج٥ / ٣١١ رقم ٢٦٤٠٣ والإصابة في تمييز الصحابة في ج٥ / ٥٤٦ برقم ٧٣٣٤ وتاريخ بغداد في ج١٠ / ٤٢٤ برقم ٥٥٨٣ .

٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في ج٤ / ١٥ برقم الحديث ٣٩٠٥ والإمام ابن ماجة في ج٢ / ١٢٢٨ برقم ٣٧٢٦ والإمام البيهقي في السنن الكبرى في ج٢ / ١٣٨ برقم ١٦٢٩٠ والإمام أحمد في ج١ / ٢٧٧ برقم ٢٠٠٠ وفي ج١ / ٣١١ برقم ٢٨٤١ والإمام ابن أبي شيبة في مصنفه في ج٥ / ٢٣٩ رقم ٢٥٦٤٦ وقد صحح هذا الحديث الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج٢ / ١٠٤٩ برقم ٦٠٧٥ وأشار إلى صحته في السلسلة الصحيحة برقم ٧٩٣ .

٣) الحديث أخرجه النسائي في المجتبى في ج٧ / ١١٢ برقم الحديث ٤٠٧٩ وفي السنن الكبرى للبيهقي في ج٢ / ٣٠٧ برقم الحديث ٣٥٤٢ قال الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع ص٨٢٢ برقم الحديث ٥٧٠٢ ضعيف وأشار إلى ضعفه في الترغيب في ج٤ / ٥١ .

٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم النميمة .

٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب النكاح باب الخطبـــة من حديث ابن عمر ، وفي كتاب الطب باب وإنَّ من البيان لسحرا ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

الشرح : العيافة : هي زجر الطير ، وذلك أنَّ أهل الجاهلية كان فيهم قومٌ يستعملون العيافة بمعنى يقولون : إن جاءك الطير من جهة اليمين لليسار فهو كذا أو من جهة اليسار لليمين فهو كذا أو جاءك مواجهاً لك فهو الناطح ، ويترتب عليه كذا أو جاءك من الخلف فهو يترتب عليه كذا ، ويدَّعون في هذه العيافة أشياء من علم الغيب ، ويزعمون أنَّها تتحقق ، فلذلك هو يعتبر من الجبت أي من أنواع السحر .

وكذلك الطرق بالحصى أو البن بحيث يدَّعي هذا الطارق أنَّ فلاناً الغائب حاله كذا ، وأنَّه سيأتي في يوم كذا أو ما أشبه ذلك من الإخبار عن المغيبات .

والخط في الأرض هو ما يسمَّى بخط الرَّمل ، وقد جاء في الحديث : « كان نبي يخط ، فمن وافق خطُّه فذلك »[1] أي خط ذلك النبي فإنَّه يعني جائزٌ؛ أي ليس بمحرم .

وأقول : أمَّا تفسير الطَّرق بالخط في الأرض كما في الأثر ؛ فهذا فيه نظر ، والصحيح أنَّ الخط هو ما قلنا .

والجبت قال الحسن : رنَّة الشيطان .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ρ : « من اقتبس شعبة من النجـــــوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد » رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح .

يعني أنَّه يزداد في السحر كلما ازداد من علم النجوم .

وللنسائي من حديث أبي هريرة τ : « من عقد عقدةً ثمَّ نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه » لماذا يكون الساحر مشركاً ؟ لأنَّه يعتمد في سحره على الأرواح الشيطانية الخبيثة ، ويستعين بها ، فلذلك يكون مشركاً لأنَّه لايتم له ذلك إلاَّ بما ذكر .

قوله : عن ابن مسعود τ أنَّ رسول الله ρ قال : « ألا أنبئكم ما العَضْه ؟ هي النميمة : القالة بين الناس » رواه مسلم .

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة في باب تحريم الكـلام في الصلاة ، وفي كتـــاب السلام باب تحريم الكهانة من حديث معاوية بن الحكم τ .

سميت النميمة عضهاً من العَضه وهو البهتان والكذب ولكونها يترتب عليها إفساد القلوب إفساداً عظيما ؛ وهي تفسد القلوب كإفساد السحر أو أشد ، والنميمة هي نقل الكلام على جهة

الإفساد ، فمن نقل كلاماً من رجلٍ إلى آخر بقصد الإفساد ؛ فهو داخلٌ في هذا الحديث ويترتب عليه ما يترتب على السحر من الأذى ، وانقطاع المودة ، وملأُ القلوب بالضغينة والإحن ؛ حتى يكاد الرجل يتفجر من الغيظ على أخيه ، وهذا إفسادٌ عظيم يترتب عليه من المفسدة ، وما يترتب على السحر أو أشد .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ρ قال : « إنَّ من البيان لسحرا » .

البيان هو السحر الحلال ، وذلك أنَّ الشخص إذا كان عنده لسنٌ ، وفصاحة ، وقوة في تنميق الكلام ، وتزيينه ؛ فإنَّه يؤثر في القلوب بالإقناع ، وكان سبب هذا الحديث أنَّ رجلاً ذمَّ رجلاً من تميم ، ثمَّ مدحه ، فقال له النبي ρ في ذلك ، فقال : غضبت فقلت أقبح ما علمت ، ورضيت فقلت أحسن ما وجدت[1] فقال النبي ρ : « إنَّ من البيان لسحرا » فالبيان سمِّي سحرا ؛ لأنَّ فيه قوة على تحويل القلوب ، وإدخال الاقناع فيها ؛ وهو سحر مباح إن شاء الله ، ولكن أحياناً يكون فيه ظلم ؛ حينما يكون المبطل أكثر فصاحةً من المحق ، فيزوق باطله بفصاحته ولَسَنِه حتى يكون هو الناجح عند الحاكم ، وأمثاله وقد أشار النبي ρ إلى ذلك بقوله : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار »[2] وبالله التوفيق .

---

[1]) الحديث سبق تخريجه في الصفحة السابقة ، وأمَّا ذكر سبب ورود الحديث فهو عند الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٣ / ٧١٠ برقم الحديث ٦٥٦٨ وبنحوه في المعجم الأوسط للطبراني ج٧ / ٣٤١ برقم الحديث ٧٦٧١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

[2]) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحيل من صحيحه باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت فقضي بقيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها فهي له ويرد القيمة ولا تكون القيمة ثمنا ، وفي كتاب الشهادات باب من أقام البينة بعد اليمين ، وفي كتاب الأحكام باب موعظة الإمام للخصوم ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٣٥) باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلمٌ في صحيحه عن بعض أزواج النبي ρ عن النبـي ρ قال : ((من أتى عرَّافاً فسأله عن شيءٍ فصدَّقه[١] بما يقول لـم تقبل لـه صلاةٌ أربعين يوماً)) .

وعن أبي هريرة τ عـن النبـي ρ قال : ((مـن أتـى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ρ)) رواه أبو داود .

وللأربعة ، والحاكم ؛ وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة τ : ((من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ρ)) .

ولأبي يعلى بسندٍ جيد عن ابن مسعود[٢] مثله موقوفاً .

وعن عمران بن حصين τ مرفوعاً : ((ليس منا من تطير أو تطير له ؛ أو تكهَّن أو تكهن له ؛ أو
سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنـزل على محمد ρ)) رواه البزار
بإسنادٍ جيد .

ورواه الطبراني فـي الأوسـط بإسـنادٍ حسـن من حـديث ابـن عباس دون[٣] قوله : ((ومن أتى كاهناً)) إلى آخره .

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان دون قوله : " فصدقه بما يقول قال محققا القول المفيد : " وأخرج هذه الزيادة الإمام أحمد في مسنده ٤ / ٦٨ ، ٥ / ٣٨٠ " اهـ .

٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك في ج١ / ٤٩ رقم الحديث ٤٩ وأحمد في ج٢ / ٤٢٩ رقم ٩٥٣٢ وفي ج٢ / ٦٨ رقم ١٦٦٨٩ وابن ماجة في ج١ / ٢٠٩ رقم ٦٣٩ وأبو داود في ج٤ / ٢٢٥ في كتاب الطب باب الكاهن والترمذي في ج١ / ١٦٤ في كتاب الطهارة باب كراهية إتيان الحائض بنحوه ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في ج٨ / ١٣٥ برقم ١٦٢٧٣ وفي مسند إسحاق بن راهوية في ج١ / ٤٣٤ رقم ٥٠٣ والطبراني في المعجم الكبير في ج١ / ٧٦ برقم ١٠٠٠٥ وفي المعجم الأوسط في ج٢ / ١٢٢ برقم ١٤٥٣ وفي مسند ابن الجعد في ج١ / ٧٧ برقم ٤٢٥ وفي ج١ / ٢٨٧ برقم ١٩٤١ وفي مسند الطيالسي في ج١ / ٥٠ برقم ٣٨٢ وأخرجه أبو يعلى في مسنده موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه في ج٩ / ٢٨٠ برقم الحديث ٥٤٠٨ وكلا من الرواية الواردة في المتن ورواية : " من أتى كاهناً فصدقه بما يقول أو أتى امرأةً حائضاً أو أتى امرأةً في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد " صححهما الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج٢ / ١٠٣١ برقم الحديث ٥٩٣٩ و٥٩٤٢ وأشار إليها في المشكاة برقم ٤٥٥٩ و٥٥١ والارواء برقم ٢٠٠٦ وشرح العقيدة الطحاوية برقم ٧٦٨ وآداب الزفاف ص٣١ .

٣) الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير في ج١٨ / ١٦٢ برقم الحديث ٣٥٥ وفي المعجم الأوسط في ج٤ / ٣٠٢ وفي ج٥ / ١١٨ برقم ٤٨٤٤ وفي مصنف
عبدالرزاق في ج١١ / ٢١١ برقم الحديث ٢٠٣٥٠ و قال محققا القول المفيد : " أخرجه البزار كما في الترغيب ٤ / ٣٣ ومجمع الزوائد للهيثمي ٥ / ١١٧ =

قال البغوي : العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل : هو الكاهن ، والكاهن الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل : الذي يخبر عما في الضمير[1].

وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف : اسم للكاهن ، والمنجم ، والرمال ، ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس[3] في قومٍ يكتبون أبا جاد ، وينظرون في النجوم : ((ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)) .

الشرح : أقول لقد تواترت الأحاديث الصحيحة على أنَّ من أتى إلى عراف أو كاهن أو منجم يسأله عن شيءٍ من علم الغيب ، فصدقه بما يقول ، فإنَّه يعتبر قد كفر بما أنزل على محمدٍ ρ ذلك لأنَّ كتاب الله يدل على انفراد الله بالمغيبات ؛ قال الله عز وجل : [إنَّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إنَّ الله عليم خبير] [لقمان : ٣٤] وقال النبي ρ في حديث ابن المنتفق الذي رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ، ونقله عنه ابن القيم في الهدي النبوي[4] : ((خمسٌ لايعلمهنَّ إلاَّ الله ثمَّ تلى هذه الآية : [إنَّ الله عنده علم الساعة ...] الآية ، فمن أتى إلى كاهن أو عراف أو منجم فسأله عن شيءٍ من علم الغيب ، وصدقه بكذبه ، وادعائه بعلم المغيبات ؛ فإنَّه قد كفر بهذه الآيات ، ولم يؤمن بها ؛ إذ أنَّ مقتضى الإيمان بذلك يمنع من إتيان الكهان ، وسؤالهم فضلاً عن تصديقهم .

= وقال المنذري : " إسناده جيد " وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة " اهـ وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج٢ / ٩٥٦ برقم الحديث ٥٤٣٥ صحيح وأشار إلى صحته في الترغيب ٤ / ٥٢ والصحيحة برقم ٢١٩٥ .

١) انظر البغوي في شرح السنة في ج ١٢ / ١٨٢٣ .

٢) انظر في مجموع الفتاوى لابن تيمية في ج ٣٥ / ١٧٣ .

٣) الأثر أخرجه عبد الرزاق في باب الشهادة في ج١١ / ٢٦ برقم ١٩٨٥ وفي مصنف ابن أبي شيبة في ج٥ / ٢٤٠ برقم ٢٥٦٤٨ .

٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في أول كتاب الإيمان ، وأخرج نحوه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله :[إن الله عنده علم الساعة] .

وقد ذكر بعض أهل العلم جمعاً بين هذه الأحاديث أنَّ من أتاه يعني الكاهن ، فلم يصدقه لم تقبل له صلاةٌ أربعين يوما ، ولأنَّ هذا عقوبة له على إتيان الكهان .

أمَّا من أتاه فصدقه فإنَّه يعتبر قد كفر بما أنزل على محمد ρ وهذا فيه تحذيرٌ من إتيان الكهان والاستماع إلى أقوالهم ، والتصديق لأكاذيبهم ؛ علماً بأنَّ ذلك لايحصل إلاَّ ممن ضعف إيمانه ويقينه .

وقد جاء في حديث أبي هريرة τ في صفة ركوب الشياطين بعضهم لبعض ، واستراقهم للسمع بحيث يسمعون كلام الملائكة بينهم مع بعضهم بعضا ، فإذا ظفر الشيطان بكلمة واحدة ألقاها إلى من تحته ، والذي تحته يلقيها إلى من تحته ؛ حتى يلقيها الآخر على لسان الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبه ، فإذا وقع تصديق الكلمة التي سمعت من الملائكة قالوا ألم يقل لكم يوم كذا وكذا ؛ كذا وكذا ، فصدقوه بتلك الكلمة .[1]

فحذار حذار من تصديق هؤلاء سواءٌ كانوا منجمين أو سحرة أو كهنة ، وقد جاء في الحديث : : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد »[2] وقد قال ابن عباس في الأثر الأخير في قومٍ يكتبون أبا جاد ، وينظرون في النجوم : « ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق » وهذا القول جاء على ما ورد في الآية التي أخبر الله فيها عن السحر ، والسحرة ، وقال في خاتمتها : [ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق] [البقرة : ١٠٣] أي ليس له حظٌّ ولانصيب ، وذلك أنَّ المنجمين يقولون إذا اقترن النجم الفلاني بالقمر حصل كذا ، وإذا اقترن النجم الفلاني بالقمر حصل كذا ، وهذا ادعاءٌ لعلم الغيب ، وإضلالٌ لخلق الله ، وإيهامٌ لهم بصحة ما ادعوه ؛ نعوذ بالله من ذلك ، وممن يمتهن ذلك .

ملحوظة : قوله : « يكتبون أبا جاد » أبا جاد كلماتٌ حوت حروفاً ؛ وهي الحروف الثمانية والعشرين ، فجعلوا لكل حرفٍ رقماً ، فالألف مثلاً واحد ، والباء اثنين ، والجيم ثلاثة ، فإذا وصلوا إلى عشرة عدوا بالعشرات ، فجعلوا الذي بعد العشرة عشرين إلى أن يصلوا إلى المائة فإذا وصلوا إلى المائة عدوا بالمائة إلى الألف هذا معنى قوله : « يكتبون أبا جاد » واستعمال هذه

---

١) الحديث سبق تخريجه في باب قول الله تعالى : [حتى إذا فزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم] .
٢) الحديث أيضاً سبق تخريجه في باب بيان شيءٍ من أنواع السحر .

الحروف بهذه الصفة هو استعمال المنجمين وينبغي للمسلم أن يكون بعيداً عن مثل هذه الأمور بل يجب أن يمقتها ، ويمقت أصحابها ، وبالله التوفيق .

(٣٦) باب ما جاء في النشرة

عن جابر τ أنَّ رسول اللّٰه ρ سئل عن النشرة ؟ فقال : ((هي من عمل الشيطان)) رواه أحمد بسندٍ جيد ، وأبو داود ، وقال سئل أحمد عنها ؟ فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجلٌ به طب أو يؤخَّذ عن امرأته ؛ أيحل عنه أو ينشـَّر ؟ قال : لا بأس به إنَّما يريدون به الإصلاح ؛ فأمَّا ما ينفع فلم ينه عنه .

وروي عن الحسن أنَّه قال : لايحل السحر إلاَّ ساحر .

قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور وهي نوعان :

أحدهما : حل بسحرٍ مثله ؛ وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .
والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المْباحة ، فهذا جائز .

الشرح : تعريف النشرة : هي حل السحر عن المسحور ، وقد اختلفت أقوال السلف فيها فعن جابر τ أنَّ رسول الله ρ سئل عن النشرة ؟ فقال : « هي من عمل الشيطان » رواه أحمد بسندٍ جيد ، وأبو داود ... الخ ، فكلام السلف مختلفٌ كما ترى منهم من أباح النشرة ، ومنهم من منعها ، فيحمل قول من أباحها على جواز التنشير عنه بالأدوية ، والرقى ، والدعوات ويحمل قول من منع على التنشير بالسحر ، ولهذا قال الحسن البصري : « لا يحل السحر إلاَّ ساحر » فهذه هي الخلاصة كما قال ابن القيم ؛ إن كانت بالسحر فهي غير جائزة وإن كانت بالدعوات ، والرقى ، والأدوية فهي جائزة ، وبالله التوفيق .

---

١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه في باب النشرة في ج٤ / ٦ برقم الحديث ٣٨٦٨ وفي سنن البيهقي في ج٩ / ٣٥١ برقم ١٩٣٩٧ وأحمد في مسنده في ج٣ / ٢٩٤ برقم الحديث ١٤١٦٧ قال الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود في ج٢ / ٤٦٤ صحيح وقال انظر إلى المشكاة برقم الحديث ٤٥٥٣ .
٢) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح في ج٣ / ٦٣ فصل في النشرة .
٣) أخرجه البخاري في الصحيح تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب الطب باب هل يستخرج السحر ، وقال الشيخ الوليد آل فريان : " ووصله ابن جرير الطبري في التهذيب ، والأثرم في السنن كما في تغليق التعليق ٥ / ٤٩ بإسنادٍ صحيح " اهـ .
٤) وقال أيضاً : " أخرجه ابن جرير الطبري في التهذيب كما في فتح الباري ١٠ / ٢٣٣ " .
٥) قال الدكتور آل فريان : " انظر ابن القيم في زاد المعاد ٤ / ١٢٤ ، ١٨١ وابن مفلح في الآداب الشرعية ٣ / ٩٨ " اهـ قلت : وجدُّته بمعناه لابنصه .

(٢٧) باب ما جاء في التطير

وقول الله عز وجل : [ألا إنَّما طائرهم عند الله ولكنَّ أكثرهم لايعلمون] [الأعراف : ١٣١] وقوله : [قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قومٌ مسرفون] [يس : ١٩] .
وعن أبي هريرة τ أنَّ رسول اللَّه ρ قال : « لاعدوى ، ولاطيرة ، ولاهامة ، ولاصفر » أخرجاه[1] وزاد مسلم[2] : « ولانوء ، ولاغول ».
ولهما عن أنس قال قال رسول اللَّه ρ : « لاعدوى ولاطيرة ويعجبني الفأل »[3] قالوا وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة » .
ولأبي داود بسندٍ صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول اللَّه ρ فقال : « أحسنها الفأل ، ولاترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : اللهمَّ لا يأتي بالحسنات إلاَّ أنت

ولايدفع السيئات إلاّ أنت ولا حول ولاقوة إلاّ بك »[4] .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « الطيرة شرك الطيرة شرك ، وما منّا إلاّ ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه أبو داود والترمذي وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ولأحمد من حديث ابن عمرو : « من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » قالوا : فما كفارة ذلك ؟

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الطب باب لاهامة ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب لاعدوى ولاطيرة .

٢) أخرجها الإمام مسلم في كتاب السلام باب لاعدوى ولاطيرة ؛ فزيادة رواية : " ولانوء " جاءت من رواية أبي هريرة ، وزيادة : " ولاغول " جاءت من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الطب باب الفأل ، وأخرجه مسلم في كتاب السلام باب الطيرة والفأل من حديث أنس τ .

٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في ج٤ / ١٨ برقم الحديث ٣٩١٩ والإمام البيهقي في السنن الكبرى في ج٨ / ١٣٩ برقم ١٦٢٩٨ وقد ضعف هذا الحديث الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع ص٣٠ برقم الحديث ١٩٩ وأشار إلى ضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم الحديث ١٦١٩ .

٥) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في ج١٣ / ٤٩١ برقم الحديث ٦١٢٢ والحاكم في المستدرك في ج١ / ٦٤ برقم ٤٣ وفي سنن أبي داود في ج٤ / ١٧ رقم ٣٩١٠ والترمذي في ج٤ / ١٦٠ رقم ١٦١٤ وابن ماجة في ج٢ / ١١٧٠ رقم ٣٥٣٨ والبيهقي في سننه في ج٨ / ١٣٩ رقم ١٦٢٩٤ وشرح معاني الآثار في ج٤ / ٣١٢ رقم ٦٥٦٨ ومسند أحمد في ج١ / ٣٨٩ رقم ٣٦٨٧ وفي ج١ / ٤٣٨ رقم ٤١٧١ وأبو يعلى في ج٩ / ٢٦ رقم ٥٠٩٢ وج٩ / ١٤٠ رقم ٥٢١٩ والطيالسي في مسنده ج١ / ٤٧ رقم ٣٥٦ وابن الجعد في مسنده أيضاً في ج١ / ٨٦ رقم الحديث ٤٨٨ ومصنف ابن أبي شيبة في ج٥ / ٣١٠ رقم ٢٦٣٩١ والبخاري في الأدب المفرد في ج١ / ٣١٣ رقم الحديث ٩٠٩ وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج٢ / ٧٣٣ برقم الحديث ٣٩٦٠ وأشار إلى صحته في غاية المرام ٣٠٣ وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٠ .

قال : « أن تقول اللهمّ لاخير إلاّ خيرك ، ولاطير إلاّ طيرك ، ولا إله غيرك » .

وله من حديث الفضل بن العباس τ : « إنّما الطيرة ما أمضاك أو ردّك »[2].

الشرح : أولاً : تعريف الطيرة : الطيرة هي التشاؤم بالطيور ، والأسماء ، والألفاظ ، والبقاع والأزمنة .

ثانياً : حكمها : حكم الطيرة حرام ؛ لأنّ الشرع نهى عن التطير ، وذم المتطيرين .

ثالثاً : هل يستثنى من الطيرة شيء ؟ الجواب : لايستثنى من الطيرة التي هي التشاؤم لايستثنى منها شيء ؛ بل كلها حرام ، ومذمومة .

أمّا قوله : « يعجبني الفأل » فالفأل هو التفائل بالخير ، ويكون بالكلمة الحسنة أو بالاسم الحسن وقد قال النبي ρ لمّا جاء إليه سهيل بن عمرو يوم الحديبية للمفاوضة والصلح ؛ قال : « لقد سهل لكم من أمركم » وهكذا كان النبي ρ تعجبه الكلمة الحسنة ، ويعجبه الاسم الحسن .

رابعاً : قول الله عز وجل : [ألا إنّما طائرهم عند الله ولكنّ أكثرهم لايعلمون] الطائر هو ما طار لك ؛ أي ما خرج لك ، وكتب أنَّه يقع لك أو عليك ؛ لأنَّ الله قد كتب أعمال العباد، وأفعالهم وأقوالهم ، وما هو صائرٌ لهم أو عليهم في اللوح المحفوظ ، والمعنى هنا والله أعلم : أنَّ المقصود بذلك ما كتب لهم أو عليهم هو عند الله عز وجل في الذكر الحكيم ، واللوح المحفوظ .

وقوله عز وجل : [قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قومٌ مسرفون] أي ما كتب لكم أو عليكم ، وما أصابكم من ذلك فهو بسبب كسبكم : [أئن ذكرتم] يعني لما ذُكِّرتم ، ووعظتم تطيرتم بالمذكِّر ، والواعظ : [بل أنتم قومٌ مسرفون] .

وعن أبي هريرة τ أنّ رسول الله ρ قال : « لاعدوى ، ولاطيرة ، ولاهامة ، ولاصفر » أخرجاه وزاد مسلم : « ولانوء ، ولاغول ».

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في ج٢ / ٢٢٠ برقم الحديث ٧٠٤٥ وفي مصنف ابن أبي شيبة في ج٥ / ٣١٢ برقم ٢٦٤١١ وفي ج٦ / ٧٠ برقم ٢٩٥٤٣ وفي ج٦ / ١١٠ برقم ٢٩٨٧٢ .
٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في ج١ / ٢١٣ برقم الحديث ١٨٢٤ .
٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط .

قوله : « لاعدوى » أي لاعدوى تعدي بنفسها.

قوله : « ولاطيرة » هذا نفي للطيرة المحرمة ؛ أي أنَّ التشاؤم بالطير لا أثر له ؛ أي لاتأثير له سواءً أتاك ناطحاً أو بارحاً أو من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين ، فذلك ليس له تأثير في القدر ، ووقوع المصائب ، والأحزان ، وإنَّما القدر بيد الله هو الذي يجري الأقدار كما يشاء بخير أو شر كلها بقدر الله ، فمن اعتقد تأثير الطير المتطير به فقد أشرك ، والواجب عليه أن يتوب إلى الله ؛ فهذا نفي للطيرة التي كان أهل الجاهلية يعتقدونها .

قوله : « ولاهامة » الهامة هي ما كان يعتقده أهل الجاهلية أنَّ من قتل ظلماً تتحول نفسه هامة أو شيئاً يطالب بالثأر ، فالنص هنا للهامة بمعنى أنَّها شيءٌ كان يتصوره أهل الجاهلية ؛ وهو شيءٌ لاحقيقة له ، وقيل أنَّها البومة .

وكذلك قوله : « ولاصفر » فإنَّ أهل الجاهلية كانوا يتشائمون بشهر صفر ، فأخبر النبي ρ أنَّ الشهر لاشؤم فيه ؛ بل هو كسائر الشهور ، وقد كان أناسٌ أيضاً يتشائمون ببعض الأيام كيوم الأربعاء من آخر كل شهر ، ويسمونه ربيعاً لم يدور ، ويعتقدون فيه أنَّه يوم نحس مستمر ويقولون بأنَّ يوم الأربعاء من آخر كل شهر هو اليوم الذي سلط الله فيه الريح على عاد فيتشائمون فيه لذلك .

قوله : زاد مسلم : « ولانوء ، ولاغول » يعني أنَّ النوء ليس هو الذي يتخلف عن الإتيان بالمطر أو يأتي به ، ولكنَّ الله هو الذي يأتي به .

الغول : هو ما يتراءى للإنسان في ظلمة الليل ويضلل المسافرين ، وتارةً يكون مصحوباً بالسعالي ، والغول : نوعٌ من الشياطين تقع للمسافر تضلله في الليل ؛ لكن ورد في الحديث : « فإذا تغولت بكم الغيلان فبادروا بالأذان » [1] .

ولهما عن أنس قال قال رسول الله ρ : « لاعدوى ولاطيرة ويعجبني الفأل » قالوا وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة » ومعنى ذلك لاعدوى تعدي بنفسها ، وليست للطيرة تأثيرٌ في واقع العبد إلاَّ فيما يجد بنفسه ، وقد وردت العدوى في أنَّ رسول الله ρ سئل عن الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء ــ

[1]) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسند باقي المكثرين من الصحابة من حديث جابر بن عبد الله برقم الحديث ١٤٦٧٢ ، وقد أشار الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة في ج٣ / ٢٧٧ برقم الحديث ١١٤٠ إلى ضعف رواية : " إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان " .

فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ، فقال رسول الله ρ : « فمن أعدى الأول » [1] متفق عليه .

المهم أنَّ هذه الأحاديث التي ورد فيها النهي عن العدوى ، والطيرة ، والهامة ، والصفر هي علاجٌ من الشارع الحكيم ρ لما قد تأصل في نفوس المشركين من العقائد السيئة ، فإذا أسلموا بقي شيءٌ من تلك العقائد ، فعالجها الشارع الحكيم ببيان أنَّها اعتقاداتٌ وهمية ، وأنَّها لاتأثير لها بنفسها ، وإنَّما المؤثر هو الله ، فنفى وقوعها استقلالاً ، وأرشد إلى علاجها بقوله : « فإذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : اللهمّ لا يأتي بالحسنات إلاّ أنت ، ولايدفع السيئات إلاّ أنت ، ولا حول ولاقوة إلاّ بك » .

وفي حديث ابن مسعود : « الطيرة شرك الطيرة شرك ، وما منّا إلاّ ولكن الله يذهبه بالتوكل » فهذا علاجٌ لما يقع في النفوس من التشاؤم ، والخوف من المستقبل ، فإذا وجد الإنسان في نفسه فليقل : « اللهمَّ لايأتي بالحسنات إلاَّ أنت » أو يقول : « اللهمّ لاخير إلاّ خيرك ، ولاطير إلاّ طيرك ولا إله غيرك » وقد بين في حديث ابن عمر ، وأنَّ من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ؛ أي وقع في الشرك ، فإذا خرج العبد في سفر فقابله غراب يصيح أو ثعلب أو بومة أو ما أشبه ذلك فرجع عن حاجته فتطير بهذا الطير ؛ فإنَّه يعتبر قد أشرك

.

ويؤخذ من هذا أنَّما يقع في القلب لأول مرة أنَّه لايؤثر إذا قابله الإنسان بالتوكل على الله سبحانه وتعالى ، والاعتماد عليه ، واعتقاد أنَّ هذه المخلوقات الضعيفة لاتأثير لها في القدر ، ولا علم لها بما يضر أو ينفع :

بربك ما تدري الطوارق بالحصى ولازاجرات الطير ما الله صانع

فالمؤمن يعتمد على الله ، ويتوكل عليه ، ويعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطئه لم يكن ليصيبه ؛ اللهمَّ وفقنا لما تحب وترضى ، وجنبنا مضلات الفتن يا رب العالمين ، وبالله التوفيق .

---

[١]) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الطب باب لاصفر ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب لاعدوى ولاطيرة من حديث أبي هريرة τ .

(٢٨) باب ماجاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه قال قتادة : " خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وكلف ما لاعلم له به " .

وكره[١] قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه ؛ ذكره حربٌ عنهما ، ورخَّص في تعلم المنازل أحمد ، وإسحاق[٢] .

وعن أبي موسى τ قال : قال رسول الله ρ : ((ثلاثةٌ لايدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدِّق بالسحر[٣])) رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه .

الشرح : تعريف التنجيم : التنجيم هي أمورٌ يستدل بها على وقائع الأرض ، وحودات الكون وهذا العلم مأخوذٌ عن الأمم الضالة ؛ التي سلفت قبل نبوة نبينا ρ حيث يعتقدون أنَّ النَّجم الفلاني إذا اقترن بالقمر فمن تزوج في تلك الليلة حصل له كذا ، ومن سافر في تلك الليلة حصل له كذا ، والمنجمون يأخذون اسم الشخص واسم أمِّه ، ويجمعون حروفهما ، ولهم في ذلك طريقةٌ موروثة عن أهل الباطل تتضمن أموراً تنافي الشريعة :

الأمر الأول : ادعائهم لعلم الغيب .

الأمر الثاني : ادعائهم التأثير ؛ لاقتران النجوم بالقمر .

الأمر الثالث : ادعائهم شريكاً مع الله ، فإنَّهم يزعمون أنَّ الكواكب لها تأثيرٌ في هذا الكون وهذا شركٌ أكبر .

١) الحديث علقه البخاري بصيغة الجزم كما في كتاب بدء الخلق باب في النجوم في ج٣ / ١١٦٨ وأخرجه ابن ماجة في باب المياثر في ج١ / ٢٦٥ برقم الحديث ٣٧٢٦ وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه فتح المجيد : " هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم " اهـ .
٢) انظر طبقات الحنابلة (١ / ١٤٥) وابن رجب في فضل علم السلف (٣١ ، ٣٢) كما قاله محقق فتح المجيد الشيخ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في ج٢ / ٥٣١ .
٣) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في ج١٢ / ١٦٥ برقم الحديث ٥٣٤٦ وأحمد في مسنده في ج٤ / ٣٩٩ برقم الحديث ١٩٥٨٧ والحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج٤ / ١٦٣ برقم ١٩٥٨٧ وأبو يعلى في مسنده في ج١٣ / ٢٢٣ برقم الحديث ٧٢٤٨ .

الأمر الرابع : زعمهم العلاقة بين النجوم وبين أدمغة العباد وعقولهم ، وأنَّ النجوم لها تأثيرٌ على أدمغة الناس ، وتأثيرٌ فيها ، وهذا هو الكذب ، والدجل ، والتضليل ، ونسأل الله السلامة .

ثمَّ اعلم أنَّ علم النجوم ينقسم إلى قسمين :

١ – علم التسيير .

٢ – علم التأثير .

فعلم التسيير : هو علمُ المنازل ؛ وذلك لمعرفة أوقات الزراعة ، وغيرها ، فالمنازل الثمانية والعشرون تقسم على الفصول الأربعة لكل فصلٍ منها سبع منازل مضروبةٌ في ثلاثة عشر يوماً أي ثلاثة أشهر لكل فصلٍ من الفصول ، فصل الخريف سبع منازل ، وفصل الشتاء سبع منازل وفصل الربيع سبع منازل ، وفصل الصيف سبع منازل ؛ وكل واحدٍ من هذه الفصول ثلاثة أشهر فهذا العلم الذي هو علم التسيير لاشيء فيه ، وإن كان قد أنكره بعض السلف ، وأجاز ذلك أحمد ، وإسحاق .

أمَّا علم التأثير : فهو اعتقاد تأثير النجوم على بني آدم ، وربط حياتهم ، وموتهم ، وصحتهم ومرضهم ، وسلمهم ، وحربهم ، وراحتهم ، وشقائهم ، وفقرهم ، وغناهم ؛ كل ذلك مرتبطٌ في زعم هؤلاء بعلم النجوم ، وبالنجوم وتأثيرها ؛ وهذا قول باطل ، واعتقادٌ محرم ؛ من اعتقده خرج من الإسلام ، ومن مات عليه مات كافراً مستحقاً للخلود في النار ؛ إذ أنَّ آيات الله عز وجل تبين لنا أنَّ علم الغيب هو لله عز وجل دون غيره ، وأنَّه لادخل لأحدٍ من المخلوقين ولاتأثير له في حياة عباده ؛ بل أنَّ الله وحده هو المتصرف في أمور عباده ؛ فهو الخالق لهم ؛ وهو الرازق لهم ؛ حياتهم وموتهم بيده ، وصحتهم ومرضهم بيده ، وفقرهم وغناهم بيده ، وسعادتهم وشقاوتهم بيده ، وتمليكهم وسلبهم بيده ، وإعزازهم وإذلالهم ؛ لامعطي لما منع ، ولامانع لما أعطى ، ولا رادَّ لما

قضى ؛ كل شيءٍ بيده ، وتحت تصرفه وقهره ؛ هذه هي العقيدة الصحيحة التي جاء بها الإسلام ، ومن خالفها ، واعتقد تأثير النجوم في الكون وفي حياة الناس ؛ وذلك بقراءة بعض الكتب التي ينتشر منها هذا العلم الباطل ككتاب أبي معشر الفلكي ، وكتاب شمس المعارف ، وغير ذلك ، فمن تأوَّل فيها غير ذلك أخطأ ، وكلَّف نفسه ، وأضاع نصيبه من الآخرة ولهذا فقد ذكر قتادة رحمه الله : " أنَّ الله خلق هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وكلف ما لاعلم له به " .

فدليل أنَّها زينة للسماء قوله تعالى : [ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح] .

ودليل أنها رجوماً للشياطين قوله تعالى : [وجعلناها رجوماً للشياطين] [تبارك : ٥] .

ودليل أنَّ الله جعل النجوم علاماتٍ يهتدى بها في ظلمات البر والبحر قوله سبحانه وتعالى : [وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر] [الأنعام : ٩٧] .

وفي حديث أبي موسى τ قال : قال رسول الله ρ : « ثلاثةٌ لايدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ، ومصدِّق بالسحر » رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه .

وهذا النهي يتأول على أمرين : –

الأمر الأول : من استباح الإدمان على الخمر ، واستحله ، واستحل قطيعة الرحم ؛ فهو لايدخل الجنة أبدا ؛ بل يكون خالداً مخلداً في النار .

الأمر الثاني : وإمَّا أن يكون المعنى مدمن الخمر ، وقاطع الرحم لايدخلون الجنان المعدة للمؤمنين ولكن يدخلون جناناً متدنية بعد أن يعذبوا ، ويطهروا ، وينقوا ؛ وهي الجنان التي يدخلها أصحاب الكبائر ، والعياذ بالله .

أمَّا قوله : « ومصدقٌ بالسحر » فالمصدِّق بالسحر كافر ، والكافر مخلد في النار ، وأمَّا تأوُّلنا المذنبين الأولين ؛ لأنَّ إدمان الخمر ؛ كبيرةٌ من الكبائر ، وفعلها لايوجب الكفر المخرج من الملة وكذلك قطيعة الرحم ؛ أمَّا المصدِّق بالسحر فهو كافر كما قلنا ، وبالله التوفيق .

(٣٩) باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : [وتجعلون رزقكم أنَّكم تكذبون] [الواقعة : ٨٢] .

وعن أبي مالك الأشعري τ : أنَّ رسول الله ρ قال : « أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لايتركونهنَّ : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والإستسقاء بالنجوم ، والنياحة » وقال : « والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران(١) ، ودرعٌ من جرب » رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد τ قال : « صلى لنا رسول الله ρ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر ، فأمَّا من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي وكافر بالكوكب،وأمَّا من قال(٢) : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب » .

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه : « قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآيات : [فلا أقسم بمواقع النجوم & وإنَّه لقسمٌ لو تعلمون عظيم & إنَّه لقرآنٌ كريم & في كتابٍ مكنون & لايمسه إلاَّ المطهرون & تنزيلٌ من رب العالمين & أفبهذا الحديث أنتم مدهنون & وتجعلون رزقكم أنَّكم تكذبون] [الواقعة : ٧٥ – ٨٢] .

الشرح : قوله : " باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء " الأنواء جمع نوء ؛ وهي المنازل أو النجوم وذلك أنَّ المنازل تعرف بسقوط الكواكب ، وطلوعها ، فإذا طلع الكوكب يسمَّى طلوعه نوء يقال : ناء بمعنى طلع ، فقد يقع بتلك المنزلة مطرٌ وخيرٌ ؛ فيزعم بعض الناس أنَّ تلك المنزلة هي التي فعلت ذلك ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى : [وتجعلون رزقكم أنَّكم تكذبون] ومعنى ذلك : وتجعلون شكر رزقكم أنَّكم تكذبونه ؛ فالرزق من الله والمطر هو سبب الرزق ـــ

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، وفي كتاب الجمعة باب قول الله تعالى :[وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون] قال ابن عباس شكركم ، وأخرج الحديث أيضاً الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

والله يأتي بالمطر ، ويأتي بالثمرة ؛ فقد يأتي المطر ، وتصلح الزراعة ، ثمَّ بعد ذلك تخيب الثمرة والفضل لله عز وجل في إنزال المطر ، وصلاح الثمرة ذلك أنَّه هو الرزاق ؛ رزق البهائم بإخراج النبات الذي تأكله ، ورزق الناس بإخراج الثمر الذي يأكلونه ، والفضل لله في ذلك كله .

والأنواء أو النجوم أو المنازل إنَّما هي أوقاتٌ لتنزيل الغيث أو لصلاح الثمرة ، والله هو الذي ينزل الغيث كما قال تعالى : [وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد] [الشورى : ٢٨] وقال جلَّ من قائل : [هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلاَّ من ينيب] [غافر : ١٣] .

فإسناد نزول المطر أو صلاح الثمر إلى النوء ؛ الذي وقع فيه أو المنزلة التي وقع فيها حينما يقول الناس : صدق نوء كذا أو صلح نوء كذا يكون فيه إسنادٌ لنعمة الرزق إلى النوء والمنزلة والله هو الفاعل لذلك كله ، فيكون فيه نوعٌ من الشرك غير أنَّه لايخرج من الإسلام ، وهو الذي جاء في حديث زيد بن خالد الجهني وأنزل الله فيه : [وتجعلون رزقكم أنَّكم تكذبون] .

وعن أبي مالك الأشعري τ : أنَّ رسول الله ρ قال : « أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لايتركونهنَّ : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والإستسقاء بالنجوم ، والنياحة » هذه الخصال بقيت في المسلمين رغم إسلامهم ، ورغم عقيدتهم التي تعلموها من الكتاب والسنة إلاَّ هذه الأربع بقيت فيهم ؛ وهي من أمر الجاهلية .

قوله : « الفخر بالأحساب » بأن يفتخر الإنسان بحسبه ، والمقصود بالحسب : الشرف والشرف ١- إمَّا أن يكون بأمرٍ من أمور الدنيا ؛ كالمال أو الجاه ٢- أو بأمرٍ من أمور الآخرة كالعلم ، والعمل الذي ينفع به الناس ، فالناس يفتخرون أي من طبيعتهم يفتخرون بالأحساب فيقول أحدهم : أبي الذي فعل كذا أو جدي الذي فعل كذا ، والذي ينبغي ويجب على العبد ألاَّ يفتخر بالحسب ؛ سواءً كان من أمور الدنيا أو من أمور الدين ، فإنَّ الفضل لله على العباد فالفضل له على الصالح في هدايته للصلاح ، والفضل له على صاحب المال في إعطاء الله له ذلك والذي ينبغي للمسلم عدم الفخر بشيء من ذلك إلاَّ أن يذكر شيئاً من باب التحدث بنعمة الله فلا بأس عند المناسبة ، والحاجة .

أمَّا قوله : « والطعن في الأنساب » هو أنَّ بعض الناس إذا حصل بينه وبين أحدٍ من الناس خصومة ومغاضبة طعن في نسبه بأي قول من الأقوال التي يطعن بها فيه ، وهذا مذموم .

قوله : « والاستسقاء بالنجوم » هذا هو محل المناسبة للباب ، وكون الإنسان يقول : النجم الفلاني جاد ، والنجم الفلاني لم يجد ، وما أشبه ذلك ، فهذا لاينبغي للمسلم ؛ بل المسلم يعتقد أنَّ الله هو الفاعل .

قوله : « والنياحة » النياحة ندب الميت بذكر محاسنه ، ولكونه تسخط للقدر ، واعتراضٌ عليه فإنَّ الأمر في ذلك لله هو الذي بيده الإحياء والإماتة ، فلما كانت النائحة معترضةً على قدر الله عز وجل حينئذٍ توعدت في هذا الحديث بقول النبي ρ : « والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرعٌ من جرب » نسأل الله العفو والعافية .

الثوب الذي يكون من قطران ثوبٌ حار في منتهى الحرارة ، والدرع الذي يكون من جرب مؤذي للإنسان في جلده بالحكة التي تكون فيه ، وهذا من العذاب ؛ نسأل الله العفو والعافية فهذا وعيدٌ للنائحة أنَّها عندما تقوم يوم القيامة تكون معذبة بذلك ؛ نستجير بالله من غضبه .

ثمَّ إنَّ هذه الأربع لاتوجب كفراً يخرج من الملة ؛ فقد ورد عن النبي ρ : « اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب ، والنياحة على الميت »[1] والمراد بذلك من كفر دون كفر ، وليس من الكفر المخرج من الملة ؛ أي من الكفر العام أو الكفر الأصغر ، وبالله التوفيق .

ثمَّ أورد حديث زيد بن خالد τ قال : « صلى لنا رسول الله ρ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال ......» الحديث .

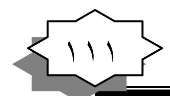
قوله : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » المؤمن هو الذي يقول مطرنا بفضل الله ورحمته والكافر الذي يقول : « مطرنا بنوء كذا » وليس المقصود به الكفر المخرج من الملة ، ولكن المقصود به كفر دون كفر ، وذلك أنَّ من أسند إنزال المطر إلى الكوكب فإنَّه يعتبر عمله هذا من الكفر العملي ؛ الذي ينبغي للإنسان أن يتركه ، وأن يسند إنزال المطر وعدمه إلى الله عز وجل لا إلى الكوكب ، فكل هذه ذكر الكفر فيها ليس المراد به الكفر المخرج من الملة ، ولكن المراد الكفر العملي .

قوله ولهما من حديث ابن عباس معناه أي معنى حديث زيد بن خالد ولهما من حديث ابن عباس

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة من حديث أبي هريرة τ .

بمعناه وفيه : ((قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآيات : [فلا أقسم بمواقع النجوم] الآيات ، وبهذا تعلم أنَّ النجوم إنَّما هي وقتٌ لتنزُّل المطر أو لصلاح الثمر ، والله هو الذي يفعل هذه الأشياء ، وبالله التوفيق .



(٣٠) باب قول الله تعالى : [ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله]

وقوله : [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره] [التوبة :٢٤] .

وعن أنس τ أنَّ رسول الله ρ قال : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[1] .

ولهما عنه قال : قال رسول الله ρ : « ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلاَّ لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »[2] وفي رواية : « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما »[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « من أحبَّ في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ؛ فإنَّما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا[4] ؛ وذلك لايجدي على أهله شيئا » رواه ابن جرير .

[1]) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول ρ من الإيمان ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول ρ أكثر من الأهل .

[2]) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان .

[3]) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب الحب في الله .

[4]) قال محققا القول المفيد لابن عثيمين وفقهما الله : " وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣) عن ابن عباس موقوفاً وأخرجه ... في الحلية ١ / ٣١٢ عن =

وقال ابن عباس في قوله تعالى : [وتقطعتْ بهم الأسباب] [1] قال المودة .

الشرح : قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تعليقه على هذا الباب : " أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده ؛ وهي أصل التأله ، والتعبد له ؛ بل هي حقيقة العبادة ، ولايتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحاب ، وتغلبها ، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي فيها سعادة العبد ، وفلاحه ، ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله ، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال ، والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص ، والأعمال ، ويوالي أولياءه ، ويعادي أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده " اهـ . وأقول هذا كلام نفيس لو كتب بماء الذهب لكان قليلاً عليه ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد العبد ، وهو الذي رباه بنعمه ؛ رزقه ما يعيش عليه من الطعام ، والشراب وأنفذ ذلك الرزق في جسده يتغذَّى به ، ويمنحه به القوة على عبادته ، ومنحه لذة الغذاء ، ولذة الماء إذا شربه ليكون مقبولاً للشرب ، فينتفع به ، وأوجد له اللسان ، واللعاب ، والأسنان والأضراس ليتمكن من طحن ذلك الطعام ، والانتفاع به في جسده ، ولهذا جاء في الحديث : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي » . [2]

يضاف إلى ذلك أنَّ الله أوجدنا لعبادته ، وعلمنا تلك العبادة بما أنزله في كتابه ، وبما بينه رسوله ρ من صفات تلك العبادة في سنته ؛ من أقوال ، وأفعال ؛ أخبرنا بطريق الخير الذي يوصلنا إلى الجنة ، وطريق الشر الذي يؤدي بنا إلى النار ؛ قال تعالى بعد أن حذَّر من انكاح المشركين أو نكاح المشركات : [أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه

= ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ، والطبراني في الكبير (١٣٥٣٧) عن ابن عمر موقوفاً ومداره على ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط . تهذيب التهذيب ٨ / ٤٦٧ تقريب التهذيب ٢ / ١٣٨ " اهـ . وذكر محقق فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وفقه الله بأنَّ الحديث : " أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه الإخوان رقم (٢٢) وأبو نعيم في الحلية (١ / ٣١٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٩٠) : وفيه ليث بن أبي سليم ، والأكثر على ضعفه " اهـ . قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤلف فتح المجيد رحمه الله : " وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط " قال الشيخ الوليد ج٢ / ٥٦٧ : " أخرجه ابن أبي شيبة في المسند وابن أبي حاتم في التفسير ، وأخرجه الحكيم الترمذي كما في الدر المنثور (٨ / ٨٧) " اهـ

١) الحديث قال فيه الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : " هذا الأثر رواه عبد بن حميد وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وصححه " قال الدكتور الوليد آل فريان في (٢ / ٥٧٠) انظر : " ابن جرير الطبري في التفسير رقم (٢٤٢٣) وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١ / ٤٠٢) والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٧٢) " اهـ . قال محققا القول المفيد : " أخرجه ابن جرير ٢ / ٤٣ والحاكم ٢ / ٢٧٢ وصححه ، ووافقه الذهبي " اهـ .

٢) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي ρ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ؛ قال شيخنا أحمد النجمي حفظه الله : " ذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم ١٧٦ وأشار إلى الترمذي والحاكم وقال ضعيف والحديث وإن كان ضعيف السند فإنه صحيح المعنى يشهد لمعناه الكتاب والسنة " اهـ .

ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون] [البقرة : ٢٢١] ليتذكر أحدنا أنَّه لولا فضل الله عليه بهدايته للإيمان ، ووجوده في مجتمعٍ مسلم لكان ممن تحق عليهم كلمة الله بالعذاب .

لهذا فإنَّه يجب علينا محبة الله عز وجل ؛ لأنَّه خلقنا ، ورزقنا ، وهدانا ، ووفقنا ، وعلَّمنا ما لم نكن نعلم ، ومن علامات محبة العبد لربه أن يكون محباً لما أحب من الأعمال ، ومن أحب من الأشخاص ، ومبغضاً لما أبغض من الأعمال ، ومن أبغض من الأشخاص ، وقد جاء في الحديث : ((اللهمَّ إنِّي أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب كل عملٍ يبلغني إلى حبك))[1] .

ومن ههنا أيضاً يتبين قول الله سبحانه وتعالى : [والذين آمنوا أشد حباً لله] ويتبين أيضاً أنَّ من أحبَّ غيره من الآلهة التي لاتخلق ، ولاترزق ، ولاتحيي ، ولاتميت ، ولاتدخل الجنة ، ولاتنجي من النار أنَّ من أحبَّ هذه الآلهة ، والأنداد التي لاتفعل شيئا مما يفعله الله ، ولاتتصف بشيءٍ مما يتصف به الله ؛ فإنَّه قد وضع المحبة في غير محلها ، وكان مذموماً عند الله على ألسنة رسله ، وفي كتابه مستحقاً للوم ، والمقت .

ولهذا فإنَّ من يعبدون الآلهة ، ويحبونهم كحب الله ، ويوالون ، ويعادون ، ويقاتلون من أجلهم سيأتي عليهم يومٌ يمقتون فيه أنفسهم ، وإنَّ الواجب على كل مسلم إخلاص العمل لله محبةً له وإجلالاً له ، ومن الواجب على كل مسلم أن يوالي أولياء الله ؛ وهم أهل طاعته ، واتباع شريعته ، ويبغض أعداء الله ؛ الذين يكونون بخلاف ذلك ؛ وهذه الآيات تبين لنا أنَّه لايجوز للعبد أن يقدم محبة الآباء ، والأبناء ، ولا الإخوان ، ولاالعشيرة ، ولا الأموال التي اكتسبها واقترفها ولا الدور التي ألفها ؛ ألايقدم شيئاً على محبة الله ؛ عندما يتعارض ذلك مع هذه الأمور : [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره] فإذا دعاك أبوك إلى الكفر بالله ، والشرك به أو ابنك أو أخوك أو زوجتك أو عشيرتك فلايجوز لك أن تطيعهم في معصية الله ؛ لأنَّه لاطاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق ؛ ما أكثر هذا في

---

[1]) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب من سورة ص قال أبو عيسى الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ صحيح ، وفي كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ؛ قال الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف سنن الترمذي ص٣٨٠ طبعة مكتبة المعارف الحديث ضعيف إلاَّ قوله : " في داود : ((كان أعبد البشر)) فهو عند (م) ابن عمر ((الصحيحة)) (٧٠٧) ((المشكاة)) (٢٤٩٦ – التحقيق الثاني) قال أبو عيسى : هذا حديثٌ حسنٌ غريب . وأخرجه الإمام أحمد في مسند الأنصار بترقيم إحياء التراث ٢١٦٠٤ .

الذين يقطنون في بلاد الكفر ، وكذلك في بعض البلاد التي هي محسوبة على الإسلام يدعوه الواحد أبوه إلى الكفر أو الفسق ، ويقول له إذا لم تفعل كذا ، فلست ولدي ، وربما يطرده من بيته ، وقد وردت إليَّ أسئلة بخصوص ذلك .

وعن أنس τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) أي لايكمل إيمان عبدٍ إلاَّ بهذا بأن يقدم محبة رسول الله على محبة الناس جميعاً ، وطاعة الله ورسوله على طاعة الناس جميعاً .

وكذلك حديث أنس أيضاً : ((ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلاَّ لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)) ياله من حديث عظيم ما أعظم هذه الثلاث الخصال التي لايبلغها العبد إلاَّ بعون من الله .

إنَّ العبد في هذه الدنيا ليتعرض لدواعي الشر، ومخالفة ما أمر الله به ورسوله ، وصوارف تصرفه عن محبة الله ، ومحبة رسوله ، وتدعوا العبد إلى أن يقدم محبوب العشيرة ، والقرابة أو السلطان والمجتمع أو الزوجة ، والأبناء على محابِّ الله ورسوله ، فالمؤمن يستمسك بمحبة الله ورسوله ويضحي بكل شيء سواها إذا كان يدعو إلى مخالفتها ، وإنَّ محبة الله تدعو العبد أن يحب له ، ومن أجله ، فيحب من أحب الله ، ومن أحب رسول الله ρ ويبغض من أبغضه الله ، وأبغضه رسول الله ρ وأن يكره الرجوع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار لأنَّ الكفر موجبٌ للقذف في النار ، والبقاء فيها أبد الآبدين [لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون & بل تأتيهم بغتةً فتبهتهم فلايستطيعون ردها ولاهم ينظرون] [الأنبياء : ٣٩ – ٤٠] .

وأخيراً في حديث ابن عباس ((من أحبَّ في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله فإنَّما تنال ولاية الله بذلك ...الخ))صفة للمؤمن بأنَّه يحب في الله ، ويبغض في الله ، ويوالي في الله

ويعادي في الله ، وأنَّ ولاية الله لاتنال إلاَّ بهذه المرتبة ؛ حتى وإن كثرت صلاة العبد ، وصومه ولم يكن من الموصوفين بهذه الأوصاف ؛ فإنَّه لم يصل إلى حقيقة الإيمان ، وكماله ، ولن يصل إليه

إلاَّ بذلك .

ثمَّ أخبر ابن عباس أنَّه : « قد صارت عامة مواخاة الناس ، ومودادتهم على أمور الدنيا ، وذلك لايجدي عن أهله شيئا » أي لاينفعهم ذلك يوم القيامة ، ولهذا قال ابن عبـــاس فـي قولــه تعـــالى :

[وتقطعت بهم الأسباب] قال المـودة ؛ أي انقطعت المودة التي كانت بينهم في الدنيا على أمور دنيا كسبوها ، ومنافع تبادلوها ، ولكن تلك الأمور ، وتلك الدنيا تذهب يوم القيامة ، ولايبقى إلاَّ ما كان لله وفي الله ؛ اللهمَّ اجعلنا ممن يحب لك ، ويبغض من أجلك ، ويوالي أهل طاعتك ويعادي أهل معصيتك ؛ إنَّك سميع الدعاء ، وبالله التوفيق .

(٣١) باب قول الله تعالى : [إنَّما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين]

قال الله تعالى : [إنَّما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين] [آل عمران : ١٧٥] وقوله : [إنَّما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلاَّ الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين] [التوبة : ١٨] وقوله : [ومن الناس من يقول آمنَّا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله] [العنكبوت : ١٠] وعن أبي سعيد τ مرفوعاً : ((إنَّ من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ؛ إنَّ رزق الله لايجره حرص حريص ، ولايرده كراهية كاره)) [1] وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ρ قال : ((من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)) [2].

رواه ابن حبان في صحيحه .

الشرح : قال السعدي رحمه الله تعالى : " هذا الباب عقده المصنف رحمه الله تعالى لوجوب تعلق الخوف ، والخشية بالله وحده ، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين ، وبيان أنَّه لايتم التوحيد إلاَّ بذلك

١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن صاحب فتح المجيد : " هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان السدي وقال ضعيف وفي إسناده أيضاً عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء وموسى بن بلال قال الأزدي ساقط وتمام الحديث : " إنَّ الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط " ثمَّ قال : " والحديث وإن كان في إسناده من ذكر فمعناه صحيح " اهـ قال الشيخ الوليد آل فريان : " رواه أبو نعيم في الحلية (٥ / ١٠٦ ، ١٠ / ٤١) والبيهقي في شعب الإيمان رقم ٢٠٣ وله شاهدٌ من حديث ابن مسعود ، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٠٥١٤) وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٢١ ، ٧ / ١٣٠) والبيهقي في الشعب رقم (٢٠٤) بإسنادٍ حسن وشاهد عن ابن مسعود موقوفاً أخرجه البيهقي في الشعب (٢٠٥) " اهـ . وقال الشيخ سليمان رحمه الله في التيسير ص٤٩٠ : " قلت : ضعيف ، ومعناه صحيح " اهـ نقلاً عن محققا القول المفيد .

٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ ورواه الترمذي عن رجلٍ من أهل المدينة قال : كتب معاوية إلى عائشة : أن اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولاتكثري عليَّ فكتبت عائشة إلى معاوية : سلامٌ عليك أمَّا بعد : فإني سمعت رسول الله ρ يقول : " من التمس رضى الله بسخط الناس ...." الحديث قال الشيخ الوليد : " الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ٤٨٨) ، ٦ / ٣٩٣ ، ٣٩٤) والطبراني في الكبير رقم (٨٧٨) من حديث الأقرع بن حابس ، وأخرجه الترمذي في الجامع رقم (٣٢٦٧) وقال هذا حديثٌ حسن وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢ / ٢٩٦) من حديث البراء بن عازب " اهـ وقال الشيخ سليمان أبا الخيل والشيخ خالد المشيقح : " والحديث أخرجه ابن حبان بهذا اللفظ (١٥٤٢) وأخرج بنحوه ابن المبارك في الزهد (١٩٩) والبغوي في شرح السنة ١٤ / ٤١٠ وأبو نعيم في الحلية ٨ / ١١٨ " اهـ

ولابد في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمر ، ويزول الاشتباه " ثمَّ قال : " اعلم أنَّ الخوف والخشية تارةً يقع عبادة ، وتارةً يقع طبيعة ، وعادة ، وذلك بحسب أسبابه ، ومتعلقاته ، فإن كان الخوف ، والخشية خوف تأله ، وتعبد ، وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه ، وكان يدعو إلى طاعة

باطنة ، وخوفٌ سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لايغفره الله ؛ لأنَّه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله ، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله اهـ .

وأقول : إن التعلق تارةً يكون سبباً ، وصاحبه معتقدٌ أنَّه سبب ؛ فلايكون من الشرك الأكبر بل يكون من الشرك الأصغر إذا زاد عن العادة ، وأذكر قصةً هي تعتبر من هذا القبيل تخرَّج قومٌ من الجامعة ، وعقدوا لهم اختباراً أو طلبوا منهم تقديم للتوظيف ، فكان منهم من توسط بوزير ومنهم من توسط بغير ذلك ، ومن هؤلاء رجلٌ ضعيف ليس له واسطة ، ولكنَّه قوي الإيمان وكثير الدعاء ، والتعلق بالله عز وجل ، وكان يدعو الله عز وجل أن ييسر له ما فيه الخير ، فكان الذين توسطوا بأصحاب المناصب قد صارت ، وظائفهم في أماكن بعيدة ، وذلك المسكين الذي يرفع يديه إلى الله في كل صلاة يدعوه ، ويرجوه ، ويتضرع إليه ظهرت وظيفته في بلدٍ قريب وبقي فيها إلى أن أحيل إلى التقاعد ، وسكنها ، فهذا التعلق لايعد من الشرك ؛ لكنَّه إذا زاد في الركون ربما كان من الشرك الأصغر ، ومن كان تعلقه بالله خالصاً فهو الذي يفوز بالخير في الدنيا والآخرة .

وأذكر مثالاً آخر للتعلق الذي يكون من الشرك الأكبر أو الخوف الذي يكون من الشرك الأكبر : هو أنَّ رجلاً كان يدعي الولاية فكانت مزرعته ، ومواشيه حمىً ؛ يزعمون أنَّه يطَّلع على من يأخذ من مزرعته شيئاً ، فلا يقرب من مزرعته أحد ، وكذلك أيضاً مواشيه ؛ لأنَّهم يزعمون بأنَّه يطلع عليهم حتى على نياتهم ، فهذا شرك أكبر ، وليس هذا من الفرضيات أو التخيلات بل هو واقع بلغني عنه من أخبار عدة .

وأقول : إذا كان الخوف من ذلك الشخص قد زاد على خوف الله أو ساواه على الأقل بحيث زعموا أنَّ لذلك الرجل سلطاناً غيبياً يعلم به المغيبات حسب ما يعتقده الخرافيون ؛ فهذا من أعظم الشرك الأكبر المخرج من الملة .

أمَّا من خاف من شخص خوفاً طبيعياً أن يضربه أو يقتله أو خاف أن يأخذ شيئاً من ماله أو ما أشبه ذلك ؛ فهذا الخوف الطبيعي لايدخل في العبادة ، وقد عرفنا مما سبق في هذا العرض أنَّ

الخوف من غير الله تارةً يكون مباحاً ، وتارةً يكون مكروهاً أو محرماً ؛ لكنَّه لايخرج من الملة وتارةً يكون مخرجاً من الملة ، وهكذا الرجاء .

ما هي مناسبة الآية للباب ؟ الجواب : إنَّ مناسبة آية آل عمران ؛ وهي قوله تعالى : [إنَّما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه] أي يخوف بأوليائه ، فمناسبة هذه الآية واضحة ،

وقد نهى الله عباده المؤمنين أن يخافوهم بقوله [فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين] أي إن كنتم مؤمنين حق الإيمان فإن إيمانكم يقتضي ذلك .

أمَّا مناسبة آية التوبة فهي في قوله [ولم يخش إلاَّ الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين] ومعنى ذلك لم يخش خشية عبادة إلاَّ من الله وكذلك قوله : [فلاتخافوهم] أي لاتخافوهم خوف عبادة.

أمَّا آية العنكبوت التي يقول الله فيها : : [ومن الناس من يقول آمنَّا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله] أي فمنعته تلك الفتنة من أن يؤدي ما أمر الله به خوفاً منها .

ثمَّ أورد حديث أبي سعيد : ((إنَّ من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ؛ إنَّ رزق الله لايجره حرص حريص ، ولايرده كراهية كاره)) وأقول : إرضاء الناس بسخط الله محرم ، وكذلك أن تحمدهم على رزق الله ناسياً ؛ أنَّ الله هو مسخر القلوب ، ومصرفها ، وليس معنى ذلك ألاَّ تشكر من أحسن إليك ؛ بل إنَّ الواجب عليك أن تشكر الله أولاً ، ثمَّ تشكر ذلك الذي أحسن إليك عاطفاً له بثم ، فتقول : إني أشكر الله ، ثمَّ أشكرك على إحسانك إليَّ ؛ أمَّا أن تشكره ، وتنسى الله ، فهذا هو المذموم .

وأمَّا قوله : ((أن تذمهم على ما لم يؤتك الله)) فهذا معناه أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى هو المعطي ؛ وهو المانع ؛ فإن شاء سخر لك ذلك المخلوق الضعيف ، وإن شاء لم يسخره ، فلاينبغي أن تسارع بالذم للناس فيما لم يؤتك الله .

ثمَّ أخبر الرسول ρ بهذا الحديث : ((أن رزق الله لايجره حرص حريص)) يعني أنَّ الرزق بيد الله عز وجل ، فتارةً قد يكون من الناس من يكون حريصاً على إعطاءك شيئاً ، ويأبى الله فلا يصل إليك ذلك الشيء ، وتارةً يكون العكس ؛ فتجد من الناس من يكون كارهاً إيصال الخير إليك

فيصل على رغمه .

أمَّا حديث عائشة رضي الله عنها الذي كتبته إلى معاوية τ فهو حديث عظيم معناه ((من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ...)) بمعنى أنَّه حرص على رضى الله ، وإن كان ذلك الإرضاء لله فيه إسخاطٌ للناس ؛ فإنَّ الله يجعل العاقبة أنَّ الناس يرضون عنه بأن يجعل أسباباً تكون هي المؤثرة في رضاهم عنه ، والعكس بالعكس

أي من التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ؛ بأن يجعل أسباباً تسخطهم عليه والقلوب بيد مقلبها ، وبالله التوفيق .

(٣٣) باب قول الله تعالى : [وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين][١]

وقوله : [إنَّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم] [الأنفال : ٢] وقوله : [يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين] [الأنفال : ٦٤] وقوله : [ومن يتوكل على الله فهو حسبه] [الطلاق : ٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [حسبنا الله ونعم الوكيل] قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد حين قالوا له : [إنَّ الناس قد جمعوا

(٢)

لكـم فاخشــوهم فـزادهم إيمانــا] الآيــة [آل عمـران : ١٧٣] رواه البخــاري والنسائي .

الشرح : التوكل على الله : هو تفويض الأمور إلى الله سبحانه وتعالى ، والوثوق بكفايته والاعتماد عليه سبحانه وتعالى في تيسير كل مهم من أمور الحياة ، وليس معنى ذلك أن يترك العبد الأسباب المادية التي تؤدي إلى إنجاح طلبه من جلب كل مرغوب أو دفع كل مرهوب ؛ بل عليه أن يباشرها معتقداً في تلك الأسباب بأنها من قدر الله ، والله سبحانه وتعالى يقدر أن يرتب عليها ما يطلب منها ، ويقدر أن يسلبها ذلك .

وعلى العبد أن يؤمن أنَّ الله سبحانه وتعالى لايتصرف بحسب رغبات عباده ، ولكنَّه يتصرف سبحانه وتعالى بحسب ما قد قدره ، وكتبه في اللوح المحفوظ ؛ وهو أعلم بعباده ؛ وهو أعلم بمصالحهم .

ومن جهة أخرى فإنَّه ينبغي للعبد أيضاً أن يدعو الله سبحانه وتعالى راغباً إليه ، ومعتمداً عليه في حصول ما قصد ، ودفع ما حذر ، وهذا هو سبب آخر ؛ أي أنَّ الدعاء سببٌ مستقل ؛ بل هو من أنجح الأسباب ، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتوكل عليه في قوله [وعلـى الله فتوكلـوا إن كنـتم مـؤمنين] فهذا أمرٌ من الله عز وجل لعباده أن يتوكلوا عليه ، وأن يفوضوا أمورهم إليه مع مباشرة الأسباب المادية والاعتماد على مسببها .

وكذلك قوله : [إنّما المؤمنون الـذين إذا ذكـر الله وجلـت قلـوبهم] إنَّما أداة حصر ، يستفاد منها

١) سورة المائدة ٢٣ .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب تفسير آل عمران ، وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج٢ / ٣٢٦ رقم الحديث ٣١٦٧ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى في ج٦ / ١٥٤ برقم ١٠٤٣٩ وفي ج٦ / ٣١٦ برقم ١١٠٨١وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في ج٦/٣٢١ برقم ٣١٨٣٠ .

حصرٌ للإيمان الكامل في هذه الصفات الثلاث :

أولها : أنَّهم إذا سمعوا آيات الله وجلت قلوبهم ، وخافت من لقائه ، وفرحت بما كانت قد أحسنته لقوله : [قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون] [يونس : ٥٨] .

وثانيها : [وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً] يؤخذ من هذه الجملة من الآية أنَّ الإيمان يزيد بسماع كلام الله عز وجل ؛ أي يزيد مقداره في قلب العبد ؛ وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أنّ

الإيمان يزيد وينقص ؛ يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ؛ خلافاً للمرجئة والجهمية ؛ الذين يقولون أنَّ الإيمان هو التصديق ، والتصديق لايزيد ، ولاينقص .

ثالثاً : قوله :[وعلى ربهم يتوكلون] أي على ربهم يعتمدون ؛ مفوضين إليه أمورهم ، وطالبين منه إنجاح مساعيهم ، فهذه الثلاث الخصال من جمعها فقد بلغ كمال الإيمان .

وقوله سبحانه وتعالى : [يا أيها النبي حسبك الله] أي كافيك ، قوله [ومن اتبعك من المؤمنين] أي وكافي من اتبعك من المؤمنين بإعطاءكم النصر على أعدائكم إن أطعتموه ، واتبعتم أمره ، واجتنبتم نهيه ، وحذرتم الوقوع في محارمه .

وقوله : [ومن يتوكل على الله فهو حسبه] أي هو كافيه ، وناصره ، ومؤيده .

ثمَّ أورد حديث ابن عباس : قال : [حسبنا الله ونعم الوكيل] أي هذه الجملة التي فيها التفويض لله عز وجل قالها إبراهيم حين ألقي في النار ، وقالها محمد حين قالوا له : [إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا] ومعنى حسبنا الله أي كافينا ، وموفقنا ، وهادينا .

ويؤخذ من هذه الآيات أنَّ التوكل على الله فرضٌ من فرائض الإيمان ، وأنَّه سببٌ في كماله وأنَّ من توكل على الله كفاه ما همه ، وأنَّ حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ كلمتان عظيمتان في التوكل على الله ، والاعتماد عليه ، وفي صرف كل ما يؤذي ، وجلب كل ما ينفع .

ويؤخذ منه أنَّ التوكل من أعمال القلوب ، واللسان يصدقها ، نسأل الله أن يجعلنا ممن يتأسون بالنبيين الكريمين وهما إبراهيم ومحمدٌ عليهما الصلاة والسلام ، وبالله التوفيق .

(٣٣) باب قوله تعالى : [أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون]

وقوله تعالى : [قال ومن يقنط من رحمة ربه إلاَّ الضالون] [الحجر : ٥٦] .

وعن ابن عباس أن رسول الله ρ سئل عن الكبائر فقال : « الشرك بالله واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » (١) .

وعن ابن مسعود τ قال أكبر الكبائر : « الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله » (٢) رواه عبد الرزاق .

الشرح : باب قوله تعالى : [أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون] [الأعراف : ٩٦] قال أهل العلم : " ينبغي للعبد أن يكون بين الخوف والرجاء ، وألاَّ يغلب عليه الأمن من مكر الله واليأس من روح الله أو العكس من ذلك ، فإن كلا الطرفين هلاك ، والوسط هو عنوان الاستقامة ، ويقولون إنَّه ينبغي للعبد أن يكون الخوف والرجاء له بمنزلة الجناحين للطائر ؛ فإذا فقد أحدهما لم يستطع الطيران ، وإنَّما يستطيع على الطيران من كان له جناحان . وقالوا إنَّ الذي يجب أن يكون العبد في حال صحته وسلامته الخوف عليه أغلب ، ويكون في حالة مرضه مثلاً وتهيئه للرحيل من الدنيا أن يكون الرجاء عليه أغلب ، ولهذا جاء في الحديث عن النبيρ أنه : « دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف تجدك ؟ قال : والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي ، فقال رسول اللهρ : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف » وإنَّ الأمن منْ[3] مكر الله ، والقنوط من رحمة الله يحصل أحدهما عند غلبة جانب دون جانب ، فمن غلب عليه الرجاء وزاد في ذلك حتى يخرج عن الاعتدال فإنَّه في هذه الحالة يأمن مكر الله ؛ وهذا دليلٌ على انعدام الخوف من الله عنده أو ضعفه حتى وقع في

---

١) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في فتح المجيد : " هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ورجاله ثقات إلاَّ شبيب فقال ابن معين ثقة وليَّنه أبو حاتم وقال ابن كثير : في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفاً " اهـ قال محققا كتاب القول المفيد : " أخرجه البزار كما في كشف الأستار ص ١٠٦ وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير في ج ١ / ٤٨٥ والطبراني كما في المجمع في ج ١ / ١٠٤ وفي الدر المنثور في ٢ / ١٤٢ وقال الهيثمي في ج١ / ١٠٤ ورواه البزار والطبراني ورجاله موثقون " قال الشيخ الوليد آل فريان : " وحسنه العراقي في تخريج الإحياء في ج ٤ / ١٧ " اهـ قلت : روى بنحو هذا الأثر ابن جرير الطبري في تفسيره في ج٥ / ٤١ طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ .

٢) الأثر رواه ابن جرير في تفسيره في ج٥ / ٤١ والطبراني في المعجم الكبير في ج٩ / ١٥٦ برقم ٨٧٨٤ وعبد الرزاق في مصنفه في ج١٠ / ٤٥٩ رقم ١٩٧٠١ .

٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الجنائز باب ما جاء أنَّ المؤمن يموت بعرق الجبين ، وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له من حديث أنس بن مالك τ وهذا الحديث حسَّنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم ٩٨٣ وفي صحيح ابن ماجة برقم ٤٢٦١ .

هذا المأزق الذي حكم الله على أصحابه بالخسار فقال : [أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون] اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من أن نأمن مكرك .

والجانب الآخر : الخوف إذا زاد عن حد الاعتدال ، ووصل بالعبد إلى جانب القنوط واليأس فتلك مصيبة أيضاً تورده إلى المهالك ، وعلى العبد أن يكون معتدلاً بين الخوف والرجاء ؛ فلا يستبد به الخوف حتى يخرجه إلى القنوط ، ولايستبد به الأمن حتى يكون من أهل الخسار ؛ فإنَّه إن حصل له ذلك أو بعض ذلك كان على خطرٍ عظيم ، والعياذ بالله ، ولهذا جاء في حديث ابن عباس أن رسول الله ρ سئل عن الكبائر فقال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » فالشرك أعظم ذنب عصي الله به ؛ فمن أشرك بالله شركاً

أكبر فإنَّه محرم عليه دخول الجنة ومحتمٌ عليه دخول النار ، والله سبحانه وتعالى يقول : [فلاتدعوا مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين] [الشعراء : ٢١٣] ويقول سبحانه وتعالى لنبيه ρ : [ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] [الزمر : ٦٥] فمن أشرك بالله شركاً أكبر فإنَّه مستحقٌ لهذا الوعيد . واليأس من روح الله يجعل الإنسان يسيء الظن بربه ، فيشتد خوفه ، ويكثر قلقه ، وربما ظن أنَّ ذنوبه لاتغفر ، فيقع فيما هو أشد من ذنوبه التي قارفها والثالثة الأمن من مكر الله ؛ فهو يغلب عليه جانب الأمن ، فيستهين بحق ربه ، ويقع فيما يوجب غضب الله سبحانه وتعالى عليه .

وهكذا نعود فنقول : العبد بحاجة إذا رأى أنَّ الأمن غلب على نفسه أن يقرأ الآيات التي فيها وعيد ، وإذا رأى أنَّ اليأس غلب على نفسه أن يقرأ النصوص التي فيها الوعد ، وقد جاء في أحاديث كثيرة عن النبي ρ في الشفاعة ؛ وأنَّ الله يأمر بإخراج قوم على سبيل التدني : « انظروا من كان في قلبه زنة دينار من إيمان فأخرجوه »[١] « ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً »[٢] « يخْرج من النار من قال لا إله إلاَّ الله وفي قلبه أدنى وزن شعيرةٍ من إيمان »[٣] « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان »[٤] « اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا »[٥] ومع —

١) هذه الرواية أخرجها الإمام أحمد في مسند المكثرين برقم الحديث ١٠٧٠٣ من حديث أبي سعيد الخدري τ .
٢) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى من حديث أنس τ
٣) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث أنس بن مالك τ وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : =

ذلك يبقى الله في الجنة فضلٌ فينشئ لها أقواماً أو فيخلق لها أقواماً[١] لم يعملوا خيراً قط فيسكنهم[٢] إياها .

وهذه الأحاديث التي يغلب فيها الوعد على الوعيد يقرأها العبد إذا اشتد خوفه ، ووصل به إلى اليأس ، والقنوط .

وأحاديث الوعيد يقرأها العبد إذا أحس من نفسه الأمن ، وعدم الخوف ، والمبالاة ، فإذا توازن في نفس العبد الخوف والرجاء ففي هذه الحالة يكون أقرب إلى الحق ، فنسأل الله أن يثبتنا اللهمَّ لاتأمِنَّا مكرك ، ولاتله قلوبنا عن ذكرك ، ولاتولي علينا غيرك ، وبالله التوفيق .

= [لما خلقت بيدي] وأخرجها مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلةً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

٤) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال من حديث أبي سعيد الخدري τ .

٥) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث أنس بن مالك ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : [لما خلقت بيدي] وفي باب قول الله تعالى : [وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة] وأخرجها مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى من حديث أنس τ وفي باب أدنى أهل الجنة منزلةً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وفي كتاب الفتن باب وأشراط الساعة باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

١) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء من حديث أبي هريرةτ بلفظ قال رسول الله ρ: " فأمَّا النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ولايظلم الله من خلقه أحداً ، وأمَّا الجنة فينشئ لها خلقاً " .

٢) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم أيضاً في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من حديث أبي سعيد الخدري τ بلفظ قال رسول الله ρ:: " فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ؛ ولم يبق إلاَّ أرحم الراحمين ، فيقبض قبضةً من النار ، فيخرج منها أقواماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل " .

(٣٤) باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى : [ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم] [التغابن : ١١] قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة[1] فيعلم أنَّها من عند الله ؛ فيرضى ، ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((اثنتان في الناس هما بهم كفر[2] : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت))

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : ((ليس منَّا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية[3])) .

وعن أنس τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((إذا أراد الله بعبده خيراً عجَّل له بالعقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر[4] أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)).

وقال النبي ρ : ((إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وإنَّ الله تعالى إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط))[5] حسّنه الترمذي .

الشرح : قوله : باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله " الصبر على أقدار الله عز وجل هو علامة الإيمان به سبحانه وتعالى ، والمقصود هنا صبر المسلم على الأقدار التي ليس له فيها سبب يعني أنَّ الأقدار تنقسم إلى قسمين :

---

١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم " قال الشيخ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان : " أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٢٨ / ١٢٣) وابن أبي حاتم في التفسير كما في تفسير ابن كثير (٨ / ١٦٣) وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣ / ٩٥) وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨ / ١٨٣) وأخرج نحوه : البخاري في الصحيح معلقاً (٨ / ٦٥٢) عن ابن مسعود " اهـ .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة .

٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجنائز باب ليس منَّا من شق الجيوب وباب ليس منَّا من ضرب الخدود ، وفي كتاب المناقب باب ما ينهى من دعوى الجاهلية ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الخدود .

٤) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " هذا الحديث : رواه الترمذي والحاكم وحسَّنه الترمذي ، وأخرجه الطبراني ، والحاكم عن عبد الله بن مغفل وأخرجه ابن عدي عن أبي هريرة والطبراني عن عمار بن ياسر " قلت أخرجه الترمذي في ج٤ / ١ برقم الحديث ٢٣٩٦ والحاكم في المستدرك في ج٤ / ٤١٨ برقم ٨١٣٣ وابن حبان في صحيحه في ج٧ / ١٧١ برقم ٢٩١١ وقد أشار الإمام الألباني رحمه الله إلى صحته وأشار إلى ذلك في السلسلة الصحيحة برقم الحديث ١٢٢٠ .

٥) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " ورواه ابن ماجة ورواه الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رفعه : ((إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع)) قال المنذري رواته ثقات "اهـ قلت : أخرجه ابن ماجة في ج٢ / ١٣٣٨ برقم الحديث ٤٠٣١ والترمذي في ج٤ / ٦٠١ برقم ٢٣٩٦ والشهاب في مسنده في ج٢ / ١٧٠ برقم ١١٢١ وقد أشار الإمام الألباني رحمه الله إلى صحته أيضاً في السلسلة الصحيحة برقم الحديث ١٤٦ والمشكاة برقم ١٥٦٦ .

١- الأقدار المكروهة التي يقدرها الله تعالى على العبد وليس للعبد فيها سبب كالمرض والحاجة والابتلاءات التي يبتلى بها العبد ؛ وهي ليست من المعاصي ، فهذه ينبغي للعبد أن يصبر عليها ويجب عليه ذلك ، والله سبحانه وتعالى يقول : [ما أصاب من مصيبةٍ إلاَّ بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه] [التغابن : ١١] ويقول : [ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ في كتابٍ من قبل أن نبرأها] [الحديد : ٢٢] فالقحط ، وعدم المطر من المصائب ، والمرض من المصائب والعاهات التي تأخذ الثمرة من المصائب ، والابتلاء بالفقر ، والحاجة من المصائب وهكذا فينبغي للعبد أن يؤمن بتلك المصائب المقدرة من الله من قبل أن يخلق السماوات والأرض فيصبر عليها ويقابلها بالحمد والشكر لله عز وجل الذي قدَّرها .

٢- وأمَّا الابتلاء بالمعاصي ؛ فأن يبتلى الإنسان بفعل الزنا أو بشرب الخمر أو بسفك دمٍ حرامٍ فهذا لايجوز له أن يحتج عليه بالقدر ، وإن احتج بالقدر فهو مخطئ في ذلك ؛ وعلى العبد أن يتوب إلى الله عز وجل من ذلك الذنب الذي قارفه ، وأن يلقي باللوم على نفسه ، والمقصود أنَّ الصبر هنا هو الصبر على محض الأقدار ؛ التي ليس للإنسان فيها سبب ، ولاهو قادر على صرفها كما

مثلنا سابقاً وتفسير الآية يدل على ذلك ؛ قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة ؛ فيعلم أنَّها من عند الله فيرضى ويسلم ؛ أي يجب أن يرضى بقدر الله و يصبر عليه .

وللعبد أمام المقادير حالتان : حالة الصبر، وحالة الرضا ؛ وهذه الحالة ؛ وهي الرضى ؛ حالة المقربين ؛ وهو أن ترضى عن ربك سبحانه وتعالى بأنَّه قدر عليك هذا القدر ، وتكون راغباً في ثواب المصيبة أفضل من أن تبقى لك فإن رزقك الله بولد وبعد ما بلغ أنَّه يخدمك بعض الخدمة أخذه الله من بين يديك ؛ فأنت حينئذٍ إذا رضيت بقدر الله تنال كمال الثواب لأنك علمت أنَّ أجر المصيبة الذي ادخره الله لك أفضل من بقاء ذلك الذي سلبك إياه ، وقد جاء في الحديث أنَّ الله سبحانه وتعالى إذا قبض ولد العبد قال الله لملائكته : « قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » رواه[1] الترمذي ، وأحمد .

---

[1]) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الجنائز باب فضل المصيبة إذا احتسب ، قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديثٌ حسنٌ غريب ، وأخرجه الإمام =



فتذكر هذا الحديث يا من أصبت بقبض روحِ ولدك وموته حتى أنَّك لو خيرت بين أن يبقى ولدك يعود لك على قيد الحياة ، والبيت الذي في الجنة لاخترت البيت الذي في الجنة هكذا حال المؤمن . أمَّا الحالة الثانية ؛ فهي حالة الصبر ؛ وهي حبس النفس على ألم المصيبة مع وجود التألم وهي دون حالة الرضى في المرتبة .

إذاً ما مناسبة حديث أبي هريرة للباب : « اثنتان بالناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت » ؟ نقول : مناسبته أنَّ النياحة تسخطٌ لقدر الله عز وجل ، وعدم رضىً به ؛ هذا معناه كذلك حديث ابن مسعود أي في البخاري ومسلم عن ابن مسعود مرفوعاً : « ليس منا من ضرب الخدود » أي عند المصيبة « وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » وهو أنَّه من وقعت عليه المصيبة :

١- إما أن يكون مؤمناً ، فيرضى ، ويسلم .

٢- إما أن يكون ضعيف الإيمان ، فيضرب خده ، ويشق جيبه ؛ ضرب الخد معروف ، والجيب هو جيب القميص أو ما يقوم مقامه ؛ بأن يقدُّه (يقطعه) تسخطاً للمصيبة ، والجيب هو الفتحة التي

يدخل فيها الرأس ؛ المتسخط لقدر الله يشق الجيب أي يشق قميصه تسخطاً لذلك القدر المقدور .

وكذلك أن يدعو على نفسه بدعوى الجاهلية ؛ كقول واجبلاه واناصراه ؛ نسأل الله العفو والعافية ؛ هذه حالة المتسخطين الذين لايرضون بالقدر ، فالواو في واجبلاَّه ، وفي وناصراه تسمَّى عند أهل اللغة واو الندبة .

وفي حديث أنس : ((إذا أراد الله بعبده خيراً عجّل له بالعقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)) في هذا الحديث إخبارٌ أنَّ العبد قد تصيبه المصائب وتتوالى عليه النكبات ؛ فيظن أنَّ ذلك من كره الله له وليس كذلك ؛ بل قد يكون أنَّ الله محباً له وهو يريد أن يبتليه بالابتلاءات ؛ حتى يأتي يوم القيامة ، وقد تخفف من الذنوب .

= أحمد في مسند الكوفيين برقم إحياء التراث ١٩٢٢٦ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ؛ قال الإمام الألباني رحمه الله حديث حسن ؛ انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٠٨ .

أمَّا من أمسك الله عنه ، وأسبل عليه رداء العافية ؛ فأعطاه المال ، والولد ، وهيأ له الجاه مع أنَّه مقيمٌ على معصية ؛ فذلك ربما كان دليلاً على أنَّ الله أراد به شراً ، وجمع له العقوبة في الآخرة ، والعياذ بالله ، وفي الحديث الأخير ((إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء)) يعني أنَّ الثواب الجزيل ، والأجر الكثير يكون على من ابتلي ابتلاءاتٍ فصبر ؛ ألم تسمع إلى ربك وهو يقول : [وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلماتٍ فأتمهنَّ قال إنِّي جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين] [البقرة : ١٢٤] وأثنى عليه ربه في قوله : [وإبراهيم الذي وفى] [النجم : ٣٧] ذلك أنَّه كان مؤمناً وحده ، فكسر أصنام قومه ، فحكموا عليه بأن يلقى في النار ، فصبر فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً ، وخرج مرفوع الرأس ، وابتلاه الله بفراق والديه وأهله فصبر وهاجر ومع ذلك ابتلاه الله بعدم الولد فصبر ، ثمَّ حصل له إسماعيل ، فابتلاه الله بأن يضعه في تلك الجبال القاحلة فصبر وبتركه هناك فصبر ، فلما بلغ معه السعي ابتلاه الله بأن أمره بذبحه فصبر ؛ نجح في كل هذه الابتلاءات وغيرها ، ونحن يقدر الله علينا بعض المقادير فيتسخط الواحد منا ولايصبر لبلاء ربه ؛ اللهمَّ اجعلنا ممن يصبر عند البلوى ، ويشكر عند النعماء ، ثمَّ قال : ((وإنَّ الله تعالى إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم)) اختبر صبرهم ((فمن رضي فله الرضى ، ومن

سخط فله السخط)) أي من رضي بقدر الله رضي الله عنه ، ومن تسخط من قدر الله سخط الله عليه نعوذ بالله من سخط الله وعقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ الخير والشر كلاهما مقدَّرٌ من الله ، ولكنَّ الشرَّ لاينسب إلى الله عز وجل ؛ بل ينبغي نسبته إلى مجهول كقوله تعالى : [وأنَّا لاندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا] [الجن : ١٠] أو إلى نفس العبد كما في قوله سبحانه وتعالى : [ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك] [النساء : ٧٩] يعني أنَّ السيئة هي حاصلةٌ من كسبك ، ومن عملك ، فأنت المتسبب فيها كما قال الله عزَّ وجل : [إنَّ الله لايظلم الناس شيئا ولكنَّ الناس أنفسهم يظلمون] [يونس : ٤٤] وفي حديث التلبية : ((والشرُّ ليس إليك)) فتنزيه الله عن الشر ؛ ليعلم أنَّه إنَّما يحصل من الله على سبيل المجازاة للعبد والمعاقبة له ؛ كما في الحديث السابق :((وإذا أراد بعبده الشرأمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة)) وبالله التوفيق .

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه في ج١ / ٥٣٤ برقم الحديث ٧٧١ .

(٣٥) باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى : [قل إنَّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ أنَّما إلهكم إلهٌ واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحدا] [الكهف : ١١٠] .

وعن أبي هريرة τ مرفوعاً قال الله تعالى : ((أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)) رواه مسلم .[1]

وعن أبي سعيدτ مرفوعاً : ((ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا :[2]

بلى ؛ قال : الشرك الخفي : يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته ؛ لما يرى من نظر رجل)) رواه أحمد .

الشرح : تعريف الريا : هو أن تري الناس بأن عملك لله مع أنَّ عملك إنَّما هو للناس أو للدنيا والعياذ بالله ؛ وهو أي الرياء ينقسم إلى قسمين : –

١) باعث على العمل ٢) وعارضٌ في العمل .

فالباعث على العمل هو رياء المنافقين ؛ بأن يكون هذا المرائي لولا مراءاته للناس ما عمل ذلك العمل ، فيعد الرياء باعثٌ له على العمل ؛ وهذا ينطبق على أقوامٍ من الناس إن كان الواحد مع

الناس صلى ؛ وإن كان وحده لم يصل ؛ وهم الذين وصفهم الله بقوله : [وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولايذكرون الله إلاَّ قليلا] [النساء : ١٤٢] فتجد الواحد منهم لايعمل العمل الذي يرضي الله إلاَّ إذا كان بين الناس يريد أن يثنوا عليه به .

وأمَّا العارض في العمل فهو يعد من الشرك الأصغر ؛ فيقوم الإنسان يصلي لكن إذا رأى أحداً من الناس ينظر إليه زين صلاته من أجل نظر ذلك الرجل ؛ وهكذا أن يدخل في العمل من أجل الله فيعرض له الرياء حين أداء العمل ؛ وهذا إن غلب على الإنسان فربما أحبط عمله ، وإن استعاذ منه فإنه يمكن أن يتغلب عليه ؛ لكن ينقص من أجره .

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله .

٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في ج٣ / ٣٠ برقم الحديث ١١٢٧٠ وأخرجه الإمام ابن ماجة في ج٢ / ١٤٠٦ برقم الحديث ٤٢٠٤ باب الرياء والسمعة وفي السنن الكبرى للإمام البيهقي في ج٢ / ٢٩٠ برقم ٣٤٠٠ باب الترغيب في تحسين الصلاة ، وأخرج نحوه الإمام ابن خزيمة في صحيحه في ج٢ / ٦٧ باب التغليظ في المراءاة بتزيين الصلاة برقم الحديث ٩٣٧ وقد جاء فيه بلفظ : " عن محمود بن لبيد قال خرج النبي ﷺ فقال : ((أيها الناس إياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر ؟ قال : يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر)) " .

والمهم أنَّ ما كان باعثاً على العمل فهو يعتبر من الشرك الأكبر ، وما كان عارضاً في العمل كان من الشرك الأصغر ، وقد علَّم النبي ρ أمته بأن يدعو الإنسان إذا أحس من نفسه شيئاً فيقول : ((اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ؛ إنَّك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب))(١) وأيضاً يدعو بهذا الدعاء : ((اللهم فاطر السموت والأرض ، ربَّ كل شيءٍ ومليكه ؛ أشهد أن لا إله إلاَّ أنت ؛ أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي إثماً أو أجره إلى مسلم))(٢) ((اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي)) وجاء في الحديث(٣) القدسي أنَّ الله تعالى يقول : ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)) هذا مما يدعو العبد إلى الإخلاص في عمله لله سبحانه وتعالى .

وقول الله سبحانه وتعالى : [قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إلهٌ واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحدا] معنى كونه صالحاً أن يكون خالصاً لله تعالى ، ولايشرك بعبادة ربه أحداً ومما يدعو الإنسان إلى التوحيد ، والإخلاص أن يعلم أنَّ الناس ليس عندهم شيءٌ من الثواب فيعطوه ، وليس بأيديهم شيءٌ من العقاب فيسلطوه عليه فالثواب والعقاب بيد الله ، والخير والشر بيده سبحانه وتعالى ؛ فلاينصرف الشرك وإرادة الناس بالعمل إلاَّ إذا دعا العبد ربه ، وسأله أن يجعل الأعمال

خالصةً لوجهه ، ولهذا قال النبي ρ : ((ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى ؛ قال : الشرك الخفي : يقوم الرجل

---

١) هذا الحديث أخرج نحوه الترمذي في سننه ج ٥ ص ٤٧٦برقم الحديث ٣٤٠٧ بلفظ : " عن العلاء بن الشخير عن رجل من بني حنظلة قال : صحبت شداد ابن أوس رضي الله عنه في سفر فقال : ألا أعلمك ما كان رسول الله ρ يعلمنا أن نقول : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لسانا صادقا وقلبا سليما وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب قال وكان رسول الله ρ يقول : ما من مسلم يأخذ مضجعه يقرأ سورة من كتاب الله إلا وكل الله به ملكا فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهُبَّ متى هبَّ قال أبو عيسى هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه والجريري هو سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري وأبو العلاء اسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير " وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم الحديث ٧١٧٥ في ج٧ / ٢٩٣ وبرقم ٧١٧٦ ج٧ / ٢٩٤ وبرقم ٧١٧٦ ج٧ / ٢٩٣ وأخرج أيضاً في مصنف ابن أبي شيبة برقم الحديث ٢٩٣٥٨ في ج٦ / ٤٦ وأخرجه الإمام أحمد برقم الحديث ١٧١٥٥ في ج٤ / ١٢٣ .

٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي بهذا اللفظ في كتاب الدعوات في باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ، وبنحوه في باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح ؛ وأخرجه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم الحديث ٥٢ و٦٤ و٨٢ ومسند المكثرين من الصحابة برقم الحديث ٦٥٦١ و٦٨١٢ و٧٩٠١ وأخرجه الإمام الدارمي في كتاب الإستئذان باب ما يقول إذا أصبح من حديث أبي هريرة τ .

فيصلي ، فيزين صلاته ؛ لما يرى من نظر رجل)) وإنَّ النفوس ضعيفة ، فينبغي للعبد أن يسأل الله عز وجل أن يصرف عنه كيد الشيطان الرجيم ، وأن يجعل عمله خالصاً لله تعالى ؛ لأنَّ ما تخوفه النبي ρ علينا لاشك أنَّه أمرٌ مخوف ، وأنَّ الواجب علينا أن نلجأ إلى الله عز وجل بأن يصرف عنا الشيطان الذي يدعونا إلى البدع والمعاصي ويوقعنا فيما يحبط أعمالنا ، وأن يعيننا على أنفسنا من الوقوع فيما يضرنا ، والله سبحانه وتعالى شرع لنا أن نستعين به : [إياك نعبد وإياك نستعين] [الفاتحة : ٥] فنحن لانقدر على صرف الشيطان عن أنفسنا إلاَّ بهذا ، فإذا دعونا الله عز وجل أن يصرفه عنَّا صرفه عنَّا ، وبالله التوفيق .

= ٣) هذه الزيادة وجدتها في كتاب الدعوات باب ما جاء في جامع الدعوات من حديث أبي هريرة τ .

(٣٦) باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى :] من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون & أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون [[هود ١٥-١٦].

وفي الصحيح عن أبي هريرة τ قال قال رسول الله ρ : ((تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذٌ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرةٌ قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع))[١] .

الشرح : وأقول قوله : " باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا " فإنَّ هذا نوعٌ من أنواع الشرك أي يريد الإنسان بعمل من أعمال الآخرة يريد به الدنيا فقط ، وقد استدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى في سورة هود آية ١٥] من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون [دلت هذه الآية على أنَّ من أراد بعمله الدنيا فقط ؛ بأنَّ ذلك يكون ردة ؛ نسأل الله العفو والعافية ؛ وهو يعتبر من الشرك الأكبر ؛ لقوله تعالى :] أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون [وهذا الوعيد إنَّما يكون لمن يشرك بالله شركاً أكبر ، ويترتب عليه حبوط العمل ، ودخول النار والخلود فيها . أمَّا من قصد الدنيا للإستعانة بها وهو مؤمنٌ

بالآخرة لعلمه أنَّها هي الحياة الباقية فإنَّه فيما يظهر لايناله هذا الوعيد إن شاء الله وهذا لما يكون فيه من المداخلة كمن درس مثلاً العلوم الشرعية من أجل أن يعلمها ، ويعمل بها ثمَّ ينال بتلك الشهادة وظيفة يستعين بها على دنياه وآخرته ، وإنما إرادة الدنيا وزينتها تكون مذمومة في حق من لم تكن له همةٌ في دينه ؛ بل أنَّه لو منع الدنيا إلاَّ بترك الدين لفعله ؛ فهذا الذي يناله الوعيد ، فالله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنَّ هذا الصنف من الناس كما قال الله عز وجل في الآية ١٤ من سورة الأحزاب في وصف المنافقين : [ولو دخلت عليهم من

١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج٣ / ٩٤ برقم الحديث ٢٥٩٥ وبنحوه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ، وفي كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال .

أقطارها ثمَّ سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلاَّ يسيرا & ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا] وفي قراءة[لآتوها] [الأحزاب : ١٤ – ١٥] (١) فأخبر فيها عن المنافقين أنَّه لو دخلت عليهم المدينة من جميع جهاتها سواء دخلها اليهود أو المشركون ، ثمَّ طلب منهم أن يشركوا ، وأن يعودوا إلى الشرك لفعلوا ، فمن كان هذه حاله ، فالظاهر أنَّ هؤلاء هم المقصودون دون النوع الأول ؛ الذين ذكرتهم ، والله تعالى أعلم . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية أي آية هود : [من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها] الآية والتي بعدها : " قال العوفي : عن ابن عباس في هذه الآية : إنَّ أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنَّهم لايظلمون نقيرا ؛ يقول : من عمل صالحاً إلتماس الدنيا صوماً أو صلاةً أو تهجداً بالليل لايعمله إلاَّ التماس الدنيا يقول الله تعالى : أوفِيه الذي التمس في الدنيا من المثابة " والظاهر أنَّ الصحيح من مثوبة : " وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين ، وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد ، وقال أنس بن مالك والحسن نزلت في اليهود والنصارى ، وقال مجاهد وغيره نزلت في أهل الرياء ، وقال قتادة : من كانت الدنيا همَّه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثمَّ يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة . وقد ورد في الحديث المرفوع نحواً من هذا ، وقال تعالى : [من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنمَّ يصلاها مذموماً مدحورا & ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيهم مشكورا & كلاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا & انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر

درجاتٍ وأكبر تفضيلا] وقال تعالى : [من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب] " اهـ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ρ : ((تعس عبد الدينار ؛ تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة ؛ تعس عبد الخميلة ؛ إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ...)) الحديث .

قوله ((تعس)) دعاءٌ عليه ((عبد الدينار)) ((عبد الدرهم)) هو الذي يتوقف رضاه على إعطاءه

---

١) قال شيخنا النجمي حفظه الله : " معنى قراءة : [لآتوها] أي أعطوها أي الفتنة وهي الإجابة إلى الكفر والشرك ومعنى قراءة [لأتوها] أي فعلوها " .

الدينار ، والدرهم ، وسخطه على عدم ذلك ، وهذه منقصةٌ تدل على أنَّ الدنيا إنَّما هي معبرٌ وليست بدار إقامة ، ووسيلة وليست غاية ؛ لكنَّ من خالط قلبه الإيمان كان بخلاف ذلك فيستقل الدينا ، ويستضعفها ، ويزهد فيها إن لم تكن من طريق حلال ، وما عطف على الدينار والدرهم فهو في حكمه كقوله : ((تعس عبد الخميصة ؛ تعس عبد الخميلة)) والخميصة والخميلة نوعان من الثياب أي الذي يرضى بوجودها ويغضب عند فقدها .

ثم بالغ في وصفه فقال : ((إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط)) وزاد دعاءً عليه فقال : ((تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش)) ومعنى هذا دعاءٌ عليه ، وأنَّه إذا وقع في ورطةٍ لايخرج منها أي دعاءٌ عليه بالبقاء فيها ، وعدم الخلاص منها .

ثمَّ شرع في وصف النوع الآخر الذي همُّه أداء ما عليه من واجبات حتى ولو حصل ذلك مع نقص حضوض نفسه فقال : ((طوبى لعبدٍ آخذٌ بعنان فرسه في سبيل الله ؛ أشعث رأسه)) أي أنَّه مهتمٌّ بأداء الواجبات لايمكنه التفرغ لدهن رأسه وترجيله ؛ بل هو مغمورٌ بأداء الواجب ومكثف عليه الأعمال لكونه شخصٌ طيّع يريد رضا الله ، والتقرب إليه ، والتطلع إلى فضله وازدراء الدنيا ، واحتقارها ، ولهذا قال : ((أشعث رأسه مغبرةٌ قدماه)) ((إن كان في الحراسة كان في الحراسة)) والمراد بالحراسة حراسة المجاهدين عند نزولهم ، ونومهم ((وإن كان في الساقة كان في الساقة)) والمراد بالساقة مؤخرة الجيش ؛ وصاحبها يتتبع العاجزين ، ويسعفهم ، ويعينهم لايكثر من الاستئذان ؛ بل أنَّه قد يستأذن فلايؤذن له ، ويشفع فلا يشفع ؛ ويعرض الأمر فلا يقبل رأيه ولاتتبع مشورته ، فهذا حال أصحاب الطاعة المتطلعين للثواب الأخروي ، وذاك حال أصحاب الدنيا الذين تنعقد نفوسهم بالأمور المادية ، فلايرضون إلاَّ بها ، وبالله التوفيق .

(٣٧) باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله

وقال ابن عباس : " يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء ؛ أقول : قال رسول الله ρ وتقولون : قال أبو بكر وعمر !"[1] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : " عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته ؛ يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم] [النور : ٦٣] أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ؛ لعله إذا ردَّ بعض قوله ρ أن يقع في قلبه شيءٍ من الزيغ فيهلك "[2]

وعن عدي بن حاتم : أنَّه سمع النبي ρ يقرأ هذه الاية :[اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلاَّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاَّ هو سبحانه عما يشركون] [التوبة : ٣١] فقلت : إنَّا لسنا نعبدهم ؛ قال : ((أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه)) فقلت : بلى ؛ قال ((فتلك عبادتهم)) رواه أحمد ، والترمذي ،[3] وحسنه .

الشرح : أقول : إنَّ طاعة العلماء والأمراء في مخالفة أمر الله عز وجل بأن يحلوا ما حرم الله أو

---

١) قال الشيخ الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في تحقيقه لفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ج٢ / ٦٤٣ : " الأثر أخرجه أحمد في المسند رقم (٣١٢١) وأبو بكر الأثرم في السنن كما في المغني شرح مختصر الخرقي (٥ / ٩١) وابن إسحاق كما في المطالب العالية (١ / ٣٦٠) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١ / ١٤٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢ / ١٩٦) والضياء في المختارة كما في الآداب لابن مفلح (٢ / ٦٦) عن سعيد بن جبير ، وله شاهدٌ من طريق عروة أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٣ / ٢٣٤) بإسنادٍ حسن " اهـ وقال محققا القول المفيد شرح كتاب التوحيد " وابن حزمٍ في حجة الوداع ص (٢٦٨ – ٢٦٩) " اهـ .

٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليهم جميعاً في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : " هذا الكلام من الإمام أحمد رواه عنه الفضل بن زياد ، وأبو طالب قال الفضل عن أحمد نظرت في المصحف ، فوجدت طاعة الرسول

ﷺ في ثلاث وثلاثين موضعاً ، ثمَّ جعل يتلو : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم] فذكر من قوله : الفتنة : الشرك إلى قوله : فيهلك ، ثم جعل يتلو هذه الآية : [فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما] " قال الشيخ آل فريان : " أخرجه عبيد الله ابن بطة في الإبانة الكبرى رقم (٩٧) وينظر مسائل عبدالله (٣ / ١٣٥٥) " اهـ .

٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " هذا الحديث قد روي من طرق ، فرواه ابن سعد ، وعبد الرحمن بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي " قال الشيخ آل فريان على فتح المجيد ج١ / ٢١٠ : " كما في الدر المنثور (٤ / ١٧٤) وأخرجه الطبراني في التفسير رقم (٦١٦٣٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣ / ٤١١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١١٦) وانظر بقية التخريج في كتاب الانتصار لأبي بطين (٣٤) " اهـ .

يحرموا ما أحله فهذه تعتبر عبادةً لهم من دون الله ؛ ذلك أنَّ الله عز وجل أنزل إلينا القرآن وتعبدنا به ؛ وأوصل إلينا سنة نبيه ρ وتعبدنا بها ؛ فهذا هو الدين الذي أمر الله عز وجل بأن يدان به ، فمن أطاع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فإنَّه قد اتخذهم مشرعين ، وبذلك اتخذهم أربابا ، والله سبحانه وتعالى يقول : [أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله] [الشورى : ٢١] لهذا أنكر ابن عباس على من كان يقول لهم قال رسول الله كذا ، وشرع كذا ؛ وهم يقولون قال : أبو بكر كذا ، وشرع عمر كذا ؛ وكان الخلاف بينه وبين بعض الصحابة أو غيرهم حصل في التمتع إذ أنَّ رسول الله ρ شرع التمتع ، وأمر به من لم يسق الهدي من أصحابه ؛ أمرهم أن يحولوا حجتهم إلى عمرة ، وكان آخر أمره لهم عند المروة لما أكملوا السعي ؛ وكان لأبي بكر وعمر رأياً في هذه المسألة ؛ إذ أنهم رأوا أنَّ من تمام العمرة والحج أن ينشأ لكل واحدٍ منهما سفراً خاصاً به ، فأمرا بذلك ؛ لامعارضةً لأمر الرسول ρ ولكن اجتهاداً منهما رضي الله عنهما ، ومن أجل ذلك فقد استمر بعض الناس على هذا وجعلوا ينكرون على من تمتع بالعمرة إلى الحج فناقش عبد الله بن عباس أقواماً في ذلك ؛ فلذلك قال لهم : " يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء ؛ أقول : قال رسول الله ρ وتقولون : قال أبو بكر وعمر !" .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : " عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته ؛ يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم] أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ؛ لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٍ من الزيغ فيهلك " اللهمَّ إنا نعوذ بك من الزيغ .

معلومٌ أنَّه لايجوز أن تعارض سنة النبي ρ برأي أحدٍ ؛ وإن كانوا أفضل الخلق بعد الأنبياء .

وكذلك إنكار أحمد بن حنبل رحمه الله على أقوامٍ عرفوا الإسناد وصحته ؛ يذهبون لرأي سفيان وإنَّما ذمهم الإمام أحمد بن حنبل لأنَّهم ذهبوا إلى رأي سفيان ، وتركوا السنة ؛ ولو لم يكن كذلك ما كان لإنكاره عليهم وجاهة ، والله سبحانه وتعالى يقول : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره]

الضمير في [أمره] يعود إلى رسول الله ρ [أن تصيبهم فتنة] نعوذ بالله من فتنة القلوب ؛ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنَّك أنت الوهاب ؛ إنَّ هذا

وعيدٌ أيما وعيد ؛ إنّه وعيدٌ شديدٌ على من خالف أمر رسول الله ρ بأن قبل قول غيره ؛ وترك سنته ρ أن يبتلى ببلوى تزيغ قلبه ، وتحوله من الإيمان إلى شيءٍ من النفاق ؛ نسأل الله السلامة من ذلك ؛ لهذا قال : « أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك » وأقول : الأصل في الفتنة أنها هي الابتلاء ، والإمتحان ؛ ربما أنَّ الله يبتلي العبد بشيءٍ من الابتلاء لينظر هل يقدم أمره أو أمر غيره فإن أراد الله به خيراً أوقع الإيمان في قلبه ، فترك طاعة الناس ، وقدَّم طاعة الله ، وقال : [إنِّي أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم] [الزمر : ١٣] اللهم إنا نسألك السلامة .

قوله : [أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم] عذابٌ : مؤلم بسبب ما قدمت أيديهم والعياذ بالله .

ثمَّ أورد حديث عدي بن حاتم : أنّه سمع النبي ρ يقرأ هذه الاية :[اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلاَّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاَّ هو سبحانه عما يشركون] فقلت : إنَّا لسنا نعبدهم ؛ قال : « أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه » فقلت : بلى ؛ قال « فتلك عبادتهم » إنَّ طاعة الخلق في معصية الله فيها شيءٌ من الشرك وإن كان شركاً غير مخرج من الملة أحياناً إلاَّ أنَّه شركٌ أصغر ، ويسمى من أجل ذلك عبادة ومن هنا يخطئ كثيرٌ من الناس ؛ فيظنون أنَّ طاعة المخلوق في معصية الخالق في أمورٍ جزئية يظنون أنَّ ذلك من الكفر المخرج من الملة ؛ وهذا خطأ ، والظاهر أنَّ ذلك يتفاوت بتفاوت ما وقعت به الطاعة وهذه المسألة بالذات تحتاج إلى تحقيق أكثر ؛ لأنَّا لو قلنا أنَّ كل طاعة قدمت للمخلوق في معصية الخالق تعد كفراً للزم من ذلك تكفير المسلمين بأمورٍ من المعاصي ؛ ولكنَّها من الشرك الأصغر ، والكفر الأصغر ؛ الذي لايخرج من الملة .

ومثال ذلك : لو أنَّ شخصاً أمرته زوجته بأن يشتري لها شيئاً محرماً في الشريعة ؛ فوافقها وحقق رغبتها ؛ هل يعتبر حين أطاع زوجته قد خرج من الإسلام ، واتخذها رباً ، والعياذ بالله ؟ الجواب : لا ؛ لأنَّ هذه الطاعة هي طاعة في معصية الله ، ولكنها طاعةٌ جزئية ؛ لايترتب عليها كفر المطيع .

وكذلك لو أنَّ شخصاً ممن يزعمون أنَّهم علماء ، ودعاة ؛ ولكنَّهم مفتونون بالحزبيات ؛ كأن يكون إخوانياً أو قطبياً أو تحريرياً ينتمي إلى حزب التحرير ؛ قال لشخصٍ كان ممتنعاً عن الدخول

في الحزبيات : إنَّ الحزبيات جيدة ؛ تحفز على العمل ، ونحن نرى الحزبيين يجتهدون في الدعوة أكثر عمَّن يقال أنَّهم سلفيون ، فأطاعهم ذلك الشخص ، ودخل في الاخوانية مثلاً أو في حزب التحرير ؛ أو القطبية ، فهل نقول أنَّه كفر بطاعته لهذا المفتي الذي أفتاه ؟ الجواب : لا . وإن كان هذا المفتي يعد من الأحبار ، والرهبان ، وقد أطاعه في معصية الله .

كذلك لو أطاع نفسه التي أمرته بمعصية الله عز وجل ؛ بأن كان في حوارٍ مع أخيه أو مشادةٍ معه ، فغضب عليه فسفك دمه أو أزهق روحه ؛ فهل يعتبر قد كفر بذلك ؟ الجواب : لا .

ونقول أنَّ كثيراً من الناس الذين يكفرون الناس بالمعصية يذهبون إلى هذا التأويل الخاطئ الذي يكفرون به عباد الله المسلمين ؛ ولو كان هذا من الكفر المخرج من الملة لما بقي من المسلمين أحدٌ على إسلامه ؛ ولكن كما قيل في المثل يفسد الأديان نصف فقيه ، ويفسد الأبدان نصف طبيب ، ولزيادة الإيضاح نجد أنَّ الله عز وجل سمَّى القاتل أخاً في قوله : [فمن عفي له من أخيه شيءٌ فاتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان] [البقرة : ١٧٨] وقال في سورة الحجرات آية : [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنَّ الله يحب المقسطين & إنَّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون] [الحجرات : ٩- ١٠] فسمَّى الفئتين المقتتلتين إخوة ، فدل ذلك على أنَّهما لم يخرجا من الإسلام بالتقاتل ، ومن هنا أيضاً تعلم خطأ الخوارج والمعتزلة ؛ الذين يكفرون بالكبيرة ، ومن سلك مسلكهم من أهل الحزبيات في هذا الزمن .

لو قال لنا قائلٌ : كيف ترد على من يقول أنَّ تربية الشباب على احترام العلماء ، وعدم الإنكار عليهم إذا أخطئوا في اجتهاداتهم أنَّ هذا نوعٌ من الشرك الأكبر ؟ وأقول له : إنَّ القول بأنَّ هذا شركٌ أكبر قولٌ باطلٌ ، وأنَّ تربية العلماء السلفيين لطلابهم على احترام العلماء لايلزم منه السكوت عن أخطائهم ، ولكنَّهم يقولون أنَّ الذي ينبغي لمن أنكر على العالم أن ينكر عليه بطريقة يكون فيها أدبٌ ولين ، إمَّا أن يكون فيما بينهم وبين العالم ، وإمَّا أن يصوغ له سؤالاً ينبهه فيه على الخطأ من غير مجابهته ؛ لأنَّ كلمة أنت أخطأت يا شيخ فيه شيءٌ من الاستخفاف وسوء الأدب ، فمن يقول أنَّ السلفيين حينما يأمرون طلابهم باحترام العلماء يكون في ذلك شركٌ أكبر قوله غير صحيح ؛ بل هو باطلٌ ، والمعروف عن السلفيين أنَّهم يأمرون بالنصيحة بطريقة لبقة لايكون فيها استهتار ، ولا استخفاف كما سبق أن بينَّاه ، وبالله التوفيق .

(٣٨)باب قول الله تعالى : [ألم تر إلى الذين يزعمون أنَّهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت]

قال الله تعالى : [ألم تر إلى الذين يزعمون أنَّهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً & وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا & فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلاَّ إحسانا وتوفيقا] [النساء : ٦٠ – ٦٢] وقوله : [ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها] [الأعراف : ٥٦] وقوله : [أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون] [المائدة : ٥٠] .

وعن عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))[1] قال النووي : حديثٌ صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسنادٍ صحيح .

وقال الشعبي : " كان بين رجلٍ من المنافقين ورجلٌ من اليهود خصومة فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد عرف أنَّه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنَّهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة ، فيتحاكما إليه ، فنزلت : [ألم تر إلى[2] الذين يزعمون] الآية .

وقيل نزلت في رجلين اختصما ؛ فقال أحدهم : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم أكذلك ؟ قال :[3] نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

الشرح : وأقول : إن معنى هذه الآية : [ألم تر إلى الذين يزعمون أنَّهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل

---

١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " هذا الحديث رواه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب الحجة على تارك المحجة بإسنادٍ صحيح كما قاله المصنف عن النووي ، ورواه الطبراني ، وأبو بكر بن عاصم ، والحافظ أبو نعيم في الأربعين التي شرط لها أن تكون من صحاح الأخبار "اهـ قال الشيخ الوليد آل فريان : " أخرجه النووي في الأربعين (الحديث الحادي والأربعون) والطبراني كما في جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٦٨) =

من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ...] الآية ؛ أنَّ من زعم أنَّه آمن بما أنزل على النبي ρ من كتابٍ ، وسنة ، فإنَّه لايجوز له أن يحاكم إلى غير الله عز وجل وغير رسوله ρ وهذا الاستفهام هنا استفهام تعجب ؛ ومعناه ؛ اعْجَبْ يا محمد إلى هؤلاء الذين يزعمون أنَّهم آمنوا بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك ، ثم هم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت أليس قد أمروا أن يكفروا به ؟ والجواب : بلى قد أمروا أن يكفروا به ، ولكن الشيطان يريد أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، وأنَّ التحاكم إلى غير الله عز وجل ضلالٌ بعيد ، وجريمة عظمى وخطأٌ فادح ، وخسارٌ فاحش ؛ لايشبهه خسار ، وغبنٌ عظيم ليس مثله غبن أن يترك الإنسان الحق ويذهب إلى الباطل إنَّ ما جاء به النبي ρ هو الحق ؛ الذي تطمئن إليه القلوب وترتاح إليه النفوس ؛ حقٌّ ليس فيه باطل ، فيجب على المسلم أن يعود إلى الحق ، وأن يتحاكم إليه ؛ لأنَّ ذلك محض ما أمر الله سبحانه به في آياتٍ كثيرةٍ منها قوله سبحانه وتعالى : [اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم] [الأعراف : ٣] وإن اتباع الحق ، والرضى به ؛ موجب لدخول الجنة والنجاة من النار ، والعواقب الحميدة في الدنيا والآخرة ، وإنَّك لتعجب لكثيرٍ من الدول الذين هم مسلمون يقولون لا إله إلاَّ الله ؛ محمدٌ رسول الله ؛ ومع ذلك يستوردون القوانين التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ويتركون كتاب الله وسنة رسوله ρ لايقرأ القرآن في بيوتهم إلاَّ في المآتم ؛ أما السنة فلا يرضون بها ، ولايقبلونها وإنما يقبلون ما جاء من عند أعداء الله عزوجل ؛ سواء كانوا ملحدين أو نصارى أو يهودا ، وكأنَّ الله عز وجل ما أنزل القرآن إلاَّ ليقرأ في المآتم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إنَّها والله مصيبةٌ عظمى ، وخسارةٌ فادحة ؛ أن يتحاكم المسلمون إلى غير ما أتاهم من عند ربهم ؛ وجاء به نبيهم ρ الذي هو حق لاباطل فيه ، وتوحيدٌ لاشرك فيه ، وصدقٌ لاكذب فيه ؛ يضمن للناس مصالحهم ، ويحقن دمائهم ، ويحفظ حقوقهم ؛ تضمن لهم به العزة والنصر ، والملك ، والسؤدد كما ضمنت لمن كان قبلهم ، والله تعالى يقول : [الذين إن مكناهم

= وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٥) وأبو نعيم في الأربعين كما في جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٦٨) وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى رقم (٢٧٩) والحكيم الترمذي وأبو نصر السجزي في الإبانة وقال : حسنٌ غريب كما في الكنز (١ / ٢١٧) والخطيب البغدادي في التاريخ (٤ / ٣٦٩) وابن الجوزي في ذم الهوى (١٨) قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٦٩) تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جداً من وجوه وذكرها " اهـ .

٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير رقم (٩٨٩١ ، ٩٨٩٢ ، ٩٨٩٣) وابن المنذر كما في الدر المنثور (٢ / ٥٨٠) وإسحاق بن راهويه في تفسيره بإسنادٍ صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري (٥ / ٣٧) .

٣) أخرجه الثعلبي كما في الدر المنثور (٢ / ٥٨٢) والكلبي كما في فتح الباري (٥ / ٣٧) عن ابن عباس قال ابن حجر : وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً لكن تقوى بطريق مجاهد أخرجه الطبري في التفسير رقم (٩٩٠١) بإسنادٍ صحيح " اهـ نقل تخريج هذين الأثرين من تحقيق الدكتور الوليد آل فريان وفقه الله .

في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور] [الحج : ٤١] والله سبحانه وتعالى يقول أيضاً : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون] [النور : ٥٥] .

وإنَّ الواجب على المسلمين أن يكون تحاكمهم إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسولهρ وإلى الفقه الإسلامي ؛ المأخوذ منهما ؛ بواسطة العلماء المبرِّزين ، ولايجوز العدول عنه ؛ بأي صورةٍ من الصور ، فاليتق الله ولاة أمور المسلمين ، وليعودوا إلى الحق ؛ الذي هو شرع الله عز وجل المأخوذ من كتاب الله ، وسنة رسوله ρ وإنَّ العودة إليه ؛ هو الصلاح ، وتركه هو الفساد ، وقد أخبر الله عن المنافقين بأنَّه [وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا] أي يعرضون ، ويتولون نافرين عن الحق ؛ مشتهين للباطل ؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون [فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ] أي نالتهم عقوبة في النفس أو المال أو الأهل والأولاد [بما قدمت أيديهم] أي بما سبق لهم من الإعراض عن كتاب الله ، وسنة رسوله ρ والحقيقة أنَّ النفور عن شرع الله ، وكراهته ، ومحبة غيره من الباطل ؛ جريمة عظيمة ، ومصيبةٌ كبرى ؛ بل كفرٌ مخرجٌ من الملة ، فلقد أباح الله عز وجل دماء الكفار ؛ أباح إزهاق أرواحهم وسفك دمائهم وسبي نسائهم وأولادهم ، وغنيمة أموالهم ؛ كل هذا أبيح بسبب كفرهم ، وعدم إيمانهم ؛ أفما أبيح هذا كله من أجله ؛ أيكون سهلاً ؟! الجواب لا . ليس بالأمر السهل ؛ أي أنَّ تركه ليس بسهل وإن استسهلوه بأهوائهم قال تعالى :[فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثمَّ جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلاَّ إحساناً وتوفيقاً] هكذا يقول المنافقون ؛ يزعمون أنَّهم أرادوا إحساناً ، وتوفيقا ودعاة أنصاف الحلول ؛ حالهم قريب من حال أولئك المنافقين ؛ تنازلوا أنتم يا أهل الإسلام عن بعض الحق الذي معكم ، ويتنازل لكم أعداء الإسلام عن بعض ما يريدون ليتم الوئام ، وتجتمع الكلمة ؛ هذا هو الإحسان الذي أرادوه ، وهذا ليس بإحسان ، وإنَّما هو إفساد في نفس الأمر وكذلك ما يزعم بعض الناس من دعوى التقارب أو التقريب الآن بين الرافضة وأهل السنة الرافضة الذين يتهمون الأمينين جبريل ومحمد عليهما السلام بالخيانة ويسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويسمون بأسماء أبي بكر وعمر كلابهم وحميرهم ؛ بل ويصغرونها ؛ فيقول أحدهم لكلبه بكير ، ولحماره عمير ، والعياذ بالله ؛ ويسبون

سائر الصحابة ما عدا عددٍ قليل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكل الصحابة أخرجوهم من الإسلام إلاَّ ما ندر ، واتهموهم بما يستحي من ذكره السوقة ، ومع ذلك يزعمون أنَّ التقارب معهم صلاحٌ وإصلاح ، وهكذا إذا أنكر أهل السنة على أصحاب الدعوات المبتدعة من إخوانية ، وسرورية وقطبية ، وغيرهم إذا أنكر عليهم أهل السنة البدع التي يدعون إليها وأنكروا عليهم تساهلهم في الشرك ؛ وعدم إنكاره ، وزهدهم في التوحيد ، وعدم العناية به قالوا هذا تفريق وإفساد في الأرض ، ولقد قال إخوانهم المنافقون ؛ الذين كانوا في زمن النبي ρ عبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من المنافقين : [وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون] وهذا قول باطل ، وزعم كاذب فمتى كان هؤلاء دعاة إصلاح وإنما هم دعاة فساد ؛ فمن يزعم بأنَّ الاتفاق مع هؤلاء إصلاحٌ وجمع للكلمة فهو كاذبٌ مبطل يريد الترويج للباطل ، ونبذ الحق يريدون من أهل السنة أن يقبلوا البدع ، وأن يتركوا الدعوة إلى التوحيد وهذا هو عين الفساد والضلال ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ قال تعالى : [ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إنّ رحمة الله قريبٌ من المحسنين] إنَّ بلادنا والحمد لله تنعم باجتماع الكلمة ، ووحدة الصف ؛ فلما دخل إليها هؤلاء المخربون ؛ خربوا علينا أولادنا وفرقوا صفنا وأفسدوا جمعنا وخالفوا بين كلمتنا فالفساد إنَّما جاء منهم ، وبهم دخل إلينا وبسببهم تفرقت كلمتنا يستعملون السرية ويهدفون إلى السياسة ، ويتظاهرون بالصلاح والإصلاح ، وحفظ القرآن والدعوة إلى التعبد والعناية بالفضائل ، وترك العقائد ؛ وهذا هو الفساد بعينه [أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون] فيا أهل السنة الزموا السنة ، واحذروا من هؤلاء أن يخربوا أكثر مما قد خربوا ، ويفسدوا أعظم مما قد أفسدوا ، والله لأن تساهلتم بهذا الأمر ليوشكنَّ أن تنالكم العقوبة .

ثم أورد حديث عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ρ قال : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » وأقول : إنَّ معنى قوله : « لايؤمن أحدكم » أي لايبلغ أحدكم كمال الإيمان حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ρ لقد جاء رسول الله ρ بالحق صافياً ؛ ناصعاً ؛ انظر إلى

---

١) أي المملكة العربية السعودية .

أحكامه هل تجد فيها شيئاً تنكره العقول السليمة ؟!! لا والله ؛ بل كل ما فيه تؤيده العقول السليمة ؛ فإنَّه عين الحق ، ومحض الحكمة ؛ مع أنه حق قائم بنفسه لايحتاج إلى شاهد ؛ لأنَّه شرع الله المنزَّل ، ودينه المكمَّل ، والله تعالى يقول : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا] [المائدة : ٣] فأي حكم تجده فيه فاعلم أنَّه عين الحكمة ، ولب العدل ، وغاية الصلاح والإصلاح ؛ يعلم ذلك من يتأمل أحكام الله ؛ التي حملها إلينا رسول الله ρ من كتابٍ ، وسنة ، ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي إلاَّ هالك »[١] .

ثمَّ ذكر المؤلف رحمه الله الأثر عن الشعبي " كان بين رجلٍ من المنافقين ورجلٌ من اليهود خصومة فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد عرف أنَّه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنَّهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة ، فيتحاكما إليه ، فنزلت : [ألم تر إلى الذين يزعمون] الآية ، والمقصود به المنافق ، وقيل نزلت في رجلين اختصما ؛ فقال أحدهم : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف " إلى آخر القصة ، وهذه القصة ؛ والتي قبلها ؛ يؤخذ منهما :

أنَّ من ردَّ حكماً من أحكام رسول الله ρ كارهاً له ؛ محباً لغيره ؛ فإنَّه يعتبر قد كفر ؛ ولو كان في مسألةٍ واحدة ؛ وهذا ما حمل عمر بن الخطاب τ أن يقتل ذلك المنافق ؛ لأنَّه كره حكم رسول الله ρ ولم يرض به ، وأحب حكم كعب بن الأشرف .

ومن هنا أيضاً نأخذ : أنَّ من استبدل شرع الله بالقوانين ؛ معتقداً أنَّ القوانين أحسن في نظره فإنَّه قد كفر ، وخرج من الإسلام ؛ بسبب ذلك ؛ لكن إن حكم بحكم غيره لسببٍ من الأسباب مع علمه بأنَّ حكم الله هو الحق ؛ فإنَّه حينما يقدم غيره ، والحال هذه يعتبر عاصياً ، وفاسقاً ولأنَّه حينئذٍ يكون قد أتى حراماً ، ولم يخرج من الإسلام ، وهذا هو القول الفصل في المسألة فيما أظن وأعتقد وبالله التوفيق .

---

[١]) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين بترقيم إحياء التراث ١٦٦٩ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٣٧ .

(٣٩) باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : [وهم يكفرون بالرحمن] [الرعد : ٣٠] .
وفي صحيح البخاري قال علي τ : " حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون(١) أن يكذب الله ورسوله " . وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس رحمه الله تعالى عن أبيه عن ابن عباس : أنَّه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ρ في الصفات ؛ استنكاراً لذلك ! فقال ابن عباس : " ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقةً عند(٢) محكمه ، ويهلكون عند متشابهه " انتهى .
ولما سمعت قريش رسول الله ρ يذكر الرحمن ؛ أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم(٣) : [وهم يكفرون بالرحمن] .

الشرح : قوله **باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات** أي ما حكمه ؟ هل يكفر بذلك أو يكون أتى شيئاً حراماً ؛ لايبلغ إلى حد الكفر ؛ هذا محل نظر ، والذي يظهر لي أنَّ من أنكر شيئاً من أسماء الله وصفاته الثابتة بالقرآن والسنة ؛ التي لايشركه فيها أحد ؛ وهي معروفة أنَّها من أسماء الله وصفاته ؛ أنَّ من أنكر شيئاً من ذلك ؛ فإنَّه يعتبر كافراً ؛ أمَّا إن جحد شيئاً من صفات الله عز وجل لقيام شبهةٍ عنده ، وكان يريد بهذا الجحد تنزيه الله في زعمه أو تأول الصفات كما فعلت الأشاعرة ، فهذا لايكفر فيما يظهر ، وبهذا التفصيل يتضح الحق إن شاء الله .

وفي صحيح البخاري قال علي τ : " حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله " يؤخذ من هذا الأثر أنَّه ينبغي لطالب العلم أن يحدث الناس بما يعرفون ؛ فإنَّه لعله إذا حدثهم بما لايعرفون أدى بهم ذلك إلى التكذيب ، فيكون المحدث قد تسبب في تكذيب الله ، ورسوله والذي يظهر والله أعلم أنَّ الأمور التي تخفى على العامة ينبغي طيها عنهم ؛ فإن احتاج إلى التحديث وجب عليه أن يبين ، ويوضح حتى يعرف العامي الطريقة الحقة ، والحقيقة أنَّ الجهل بهذا أي الجهل ببعض الأمور ينبغي تعليم العامة لها حتى لايستنكرونها ، فلعل الإنكار إنما يكون ـــ

١) الأثر أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب من رخَّص بالعلم قوماً دون قوم .
٢) الأثر رواه أيضاً البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ورواه مسلم في صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما في الموضع السابق .
٣) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن مجاهد مرسلا ج١٣ / ١٠١ برقم ٢٠٣٤٨

الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق الممجد

لشيءٍ لم يسمعه من ذي قبل ، ولقد أنكر الله عز وجل على أهل الكتاب بأنهم يظهرون بعضه ويخفون البعض ، وقد نهينا عن مشابهتهم ، وإنما يأتي الإستنكار حينما يكون هذا العامي مقيماً بين أناسٍ يحذِّرون من سماع بعض الأحاديث التي فيها صفة الرحمن لله عز وجل ؛ فيأتيه الخوف والفرق مما سمع من هؤلاء ، فمن أقام بين الجهمية أو المعتزلة ؛ الذين ينكرون صفات الله وأسماءه ويسمع منهم الإنكار لأسماء الله وصفاته ؛ لاشك أنَّه يرتعد إذا سمع هذه الصفات ، ويخاف ويقشعر جلده ؛ لأنَّه لم يتوطن على معرفتها ، وعلى سماعها ، ومثل هذا ينبغي أن يبين له ، فمثلاً يقال نحن إذا أثبتنا لله اليد ؛ فإنما نثبت له يداً تليق بجلاله ، منزهة عن الجارحة ؛ التي هي يد المخلوق ، وهكذا يقال في الأصابع ، ويقال في الوجه ، ويقال في الرجل ، ويقال في القدم ويقال في الساق ، فإذا وضح لهذا العامي ؛ فإنَّه حينئذٍ سيعتقد الفرق بين صفة الخالق ، وصفة المخلوق ويزول عنه الخوف ، وتذهب عنه القشعريرة ، وهذا هو الواجب على أهل السنة إذا رأوا من أحدٍ استنكاراً لصفة من صفات الله أو اسمٍ من أسمائه بينوا له ، فإن أصر بعد البيان فهو مفتون ولهذا قال ابن عباس τ حين رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ρ في الصفات استنكاراً " ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقةً عند محكمه ، ويهلِكون عند متشابهه " الفرق هو الخوف أي ما هو السبب في خوفهم ؛ يجدون رقةً عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه[1] ، فقد عدَّ ابن عباس انتفاض ذلك الرجل من سماعه لصفة الرب الجليل عد ذلك هلكة ، ولكن ينبغي أن يعلم أن الاتفاق في الأسماء بين صفة الله وصفة خلقه لايلزم منه الاتفاق في الحقائق ؛ فإذا قلنا أنَّ الله حي ، واعتقدنا ذلك وصفناه بالحياة ، ووصفنا المخلوق بأنَّه حي فإننا في هذه الحالة يجب أن نعرف الفارق بين حياة الله وحياة خلقه ، فحياة الله قديمة بلا ابتداء ، وباقية بلا انتهاء ؛ وهي كاملة كما وصف نفسه بقوله : [الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولانوم] [البقرة : ٢٥٥] أما حياة المخلوق فهي وجدت بعد العدم ، وسيكون لها نهاية ؛ وهي فيما بين ذلك لاتبقى إلاَّ بإبقاء الله لها وهي باقية على أمور لاتبقى إلاَّ بها كالطعام ، والشراب ، والنوم في حق الإنسان ، فالله وصف نفسه بأنَّه حيٌّ قيوم لاتأخذه سنةٌ ولانوم ، فالفرق بين حياة الله وحياة المخلوق فرقٌ واضح بيِّن وهكذا في جميع الصفات.

---

[1]) قال شيخنا أحمد بن يحيى النجمي حفظه الله : " المحكم هو الذي له تأويلٌ (معنى) واحد ، والمتشابه هو الذي لايعرف تأويله ، وفيه متشابه قد يكون له تأويلاتٌ فمثلاً الحروف المقطعة هذه من المتشابه " اهـ .

والمهم أنَّ اتفاق الأسماء أي أسماء الله وأسماء الناس ؛ إذا اتفقت الأسماء والصفات فإن الحقائق مختلفة ؛ هكذا يقال في السمع ، وفي البصر ، وفي جميع صفات الله عز وجل ، فإذا بُيِّن للإنسان لعله يعلم الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق ، واسم الخالق واسم المخلوق ، وقد يسمى المخلوق بأنه ملك ، ويسمى الخالق ملكٌ ؛ لكن ملك الله شامل ، وملك المخلوق محدود ، وهو في نفس الوقت عارية ، والملك الحقيقي لله عز وجل [والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير] [فاطر : ١٣] وهكذا يظهر الفرق جيداً .

ثمَّ أورد المؤلف استنكار قريش لاسم الرحمن ، وأنَّ الله أنكر عليهم ذلك قال تعالى : [وهم يكفرون بالرحمن] الرحمن اسمٌ من أسماء الله عز وجل ، والكفر به إنكاره ، ولمَّا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اسم الرحمن أنكرت قريشٌ ذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، والرحمن مشتقٌّ من الرحمة وهو أشمل من متناوله ، والرحيم كذلك ؛ وهو أخصُّ من حيث متناوله قال تعالى : [وكان بالمؤمنين رحيما] أمَّا اسم الرحمن فهو شاملٌ ، ويقال رحمن الدنيا والآخرة ، فالرحمة التي جعلها الله في عبادة كما جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جعل الله الرحمة في مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وأنزل في الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » رواه البخاري ، ولمسلم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه : « إن لله مائة رحمة ، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة » اللهم ارحمنا فيمن ترحم ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، وبالله التوفيق .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في باب جعل الله الرحمة في مائة جزء في ج٥ / ٢٢٣٦ برقم الحديث ٥٦٥٤ ومسلم في باب سعة رحمة الله تعالى وأنَّها سبقت غضبه في ج٤ / ٢١٠٨ برقم الحديث ٢٧ ٥٣ .

(٤٠) باب قول الله تعالى : [يعرفون نعمة الله ثمَّ ينكرونها وأكثرهم الكافرون]

قال الله تعالى : [يعرفون نعمة الله ثمَّ ينكرونها] [النحل : ٨٣] قال مجاهد ما معناه هو : " قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي " وقال عون بن عبدالله : يقولون : " لولا فلان لم يكن كذا " وقال ابن قتيبة : " يقولون هذا بشفاعة آلهتنا[1] " .

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : أنَّ الله تعالى قال : ((أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر))[2] الحديث ، وقد تقدم ، وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة ؛ يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ، ويشرك به . قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير .

الشرح : وأقول : إنَّ هذا الباب مقصودٌ لبيان حكم إسناد النعم إلى غير الله عز وجل ؛ وهذا نوعٌ من الشرك إلاَّ أنَّ الغالب أنَّ الذين يفعلون هذا أو يقولونه لايقصدون به تحقيق نسبة النعم إلى غير الله عز وجل ، وإنَّما يجري على ألسنتهم من غير قصد لذلك ؛ فإن قصد أنَّ تلك النعمة أو النعم مضافةً إلى من أضافها إليه ؛ وأنَّ ذلك الغير هو المتفضل بها دون الله عز وجل فهذا شركٌ أكبر ؛ لكن إذا أضافها إليه بلسانه ؛ وهو معتقدٌ بقلبه أنَّ الله هو المنعم على العباد ؛ فهذا شركٌ أصغر لايخرج من الإسلام إلا أنَّه يخدش التوحيد ويقدح فيه ؛ كما في حديث زيد بن خالد : ((أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر ، فأمَّا من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي وكافر بالكوكب ، وأمَّا من قال : مطرنا بنو كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب)) والميزان كما قلت هو ما في القلب ؛ فمن علم أنَّ النعم كلها من الله صغيرها وكبيرها ، فذلك هو المؤمن الموحد ؛ فإن جرى على لسانه ما يخالف ذلك كان ذلك من قبيل الشرك الأصغر إلاَّ أنَّه يخدش كمال التوحيد وهكذا قول من قال لولا الكلب لأتانا اللصوص ؛ لولا فلان لحصل كذا ، والمخرج من ذلك أن يبدأ في إسناد النعم بالله ثمَّ يعطف سبب المخلوق عليها بثم ؛ لولا الله ثم كذا لحصل كذا ، فإذا فعل ذلك ؛ فإنَّه يعتبر قد أضاف النعمة إلى واهبها ؛ وهو الله ، وخرج من الشرك صغيره وكبيره وبالله التوفيق .

[1] انظر ابن جرير الطبري في التفسير (١٤ / ١٥٧) .
[2] انظر الحديث وتخريجه في ص ١٠٧ باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء .

(٤١) باب قول الله تعالى : [فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون]

قال الله تعالى : [فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون] [البقرة : ٢٢]
وقال ابن عباس في الآية : " الأنداد : هو الشرك ؛ أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل ؛ وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي[1] ، وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ،

ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ؛ لاتجعل فيها فلاناً ؛ هذا كله به شرك " رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب τ أنَّ رسول الله ρ قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الحاكم ، وقال ابن مسعود : " لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً " [٤] .

وعن حذيفة τ أنَّ رسول الله ρ قال : « لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح [٥] ، وعن إبراهيم النخعي : " أنَّه يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ؛ قال : ويقول : لولا الله ثمَّ فلان ، ولايقول لولا الله وفلان " [٦] .

الشرح : الند : هو النظير والمساوي ، والمقصود لاتتخذوا أنداداً لله عز وجل ، فتشركوا معه

---

١) وفي نسخة فتح المجيد التي حققها الدكتور الوليد آل فريان : " والله وحياتُكِ يا فلانة وحياتي " .

٢) قال الدكتور الوليد آل فريان : " أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير رقم ٢٣٠ وسنده حسن كما في هامش ابن كثير (١ / ١١٠) " وقال محققا القول المفيد : " وقال الشيخ سليمان في تيسير العزيز ص (٥٨٧) وسنده جيد " اهـ .

٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في ج٣ / ٢٢٣ برقم الحديث ٣٢٥١ والترمذي في ج٤ / ١١٠ برقم ١٥٣٥ وقال حديث حسن والبيهقي في ج١٠ / ٢٩ برقم ١٩٦١٤ والحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج٤ / ٣٣٠ برقم الحديث ٧٨١٤ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وبنحوه في مسند الإمام أحمد في ج٢ / ٦٩ وما بعدها برقم ٥٣٧٥ و٥٥٩٣ و٦٠٧٣ وصحح رواية أحمد الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج٢ / ١٠٦٧ برقم الحديث ٦٢٠٤ .

٤) الأثر أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير في ج٩ / ١٨٣ برقم الحديث ٨٩٠٢ والإمام عبد الرزاق في مصنفه في ج٨ / ٤٦٩ برقم ١٥٩٢٩ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج٣ / ٧٩ برقم ١٢٢٨١ .

٥) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في ج٤ / ٢٩٥ برقم الحديث ٤٩٨٠ والبيهقي في السنن الكبرى في ج٦ / ٢٤٤ برقم ١٠٨٢٠ وأحمد في ج٥ / ٣٨٧٥ برقم ٢٣٣١٣ والطيالسي في ج١ / ٥٧ برقم ٤٣٠ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج٥ / ٣٤٠ برقم ٢٦٦٩٠وفي ج٦ / ٧٤ برقم ٢٩٥٧٢وقد صحح الألباني الحديث في صحيح =

فإنَّ ذلك لايجوز ، وجعل المخلوق نداً للخالق يعم الشرك الأكبر والأصغر ؛ منه ما هو مخرجٌ من الملة ، ومنه ما لايخرج منها ؛ ولهذا قال ابن عباس : " الأنداد : هو الشرك " فسرها بالشرك كبيره وصغيره حتى أنَّ حلف الصحابة بالآباء قبل أن يمنع كان نوعاً من الشرك ؛ مع أنَّه غير مخرج من الملة ، ولهذا قال ابن عباس : " الشرك : أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص " تقدم في شرك الإسناد أنَّ هذا من شرك إسناد النعم ؛ وهو غير مخرج من الملة : " وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله

وفلان ؛ لاتجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك " هذا يكون من الشرك الأصغر ، والخروج منه أن يقول لولا الله ، ثم فلان .

وعن عمر بن الخطاب τ أنَّ رسول الله ρ قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » الحلف بغير الله شرك أصغر ، وسمي كفراً وشركاً ؛ لأنَّه جحدٌ لخصوصية الله بالتعظيم ، فالله أعظم من كل عظيم ، وأولى من كل أحد من المخلوقين أن يحلف به ؛ لأنَّ الحلف تعظيم للمحلوف به لكنَّه لايخرج من الملة إلاَّ إذا عرف من حال صاحبه أنَّه يعظم المخلوقين أكثر من تعظيم الله ، وقد بلغنا أنَّ أناساً ممن يتهمون في سرقة أو غيرها يطلب منهم الحلف بالله للبراءة فيحلفون ، ويطلب منهم الحلف بغير الله للبراءة فلايحلفون ؛ وهذا يدل بأنهم يعظمون المخلوق أعظم من الخالق ويخافون منه أعظم من خوف الخالق ، وهذا يعتبر شركاً ، وكفراً مخرجاً من الملة .

أمَّا مطلق الحلف فلايحكم على صاحبه بالكفر ، ولا بالشرك الأكبر ؛ وقد كان الحلف بغير الله مباحاً في أول الإسلام على عهد رسول الله ρ ثمَّ منع بعد ذلك ؛ وقد جاء في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ρ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال : « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »[1] فهذا يدل على أنَّ مطلق الحلف لايكون من الشرك الأكبر .

= الجامع في ج٢ / ١٢٣٤ برقم الحديث ٧٤٠٦ وأشار إلى تخريجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٣٧ .
٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت رقم (٣٤٧) .
١) الحديث أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها ما جاء في باب لاتحلفوا بآبائكم في ج٦ / ٣٤٤٩ برقم الحديث ٦٢٧٠ ومسلم في باب النهي عن الحلف بغير الله في ج٣ / ١٢٦٧ برقم الحديث ١٦٤٦ .

وقال ابن مسعود τ : " لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً " وهذا فيه تنفير من الحلف بغير الله عز وجل ؛ ذلك لأنَّ أكبر الكبائر أهون من الشرك الأصغر ، وقد جاء في الحديث : « أنَّ أعرابياً جاء إلى النبي[1] ρ فقال يا رسول الله τ ما الكبائر ؟ قال : الإشراك بالله . قال ثمَّ ماذا ؟ قال : عقوق الوالدين . قال ثمَّ ماذا ؟ قال : اليمين الغموس . قلت : وما اليمين الغموس ؟ قال : الذي يقتطع مال امرئٍ مسلم هو فيها كاذب » فدل قول ابن مسعود هذا على أنَّ الحلف بالله كاذباً ؛ الذي يعد من جنس اليمين الغموس أقل من الحلف بغير الله عز وجل ؛ وذلك أنَّ صغير الشرك أكبر من كبير الكبائر ، وفي حديث حذيفة τ أنَّ رسول الله ρ قال : « لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا

ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح . هذا تعليم من الصحابي الجليل للأمة حتى لايقعوا في الشرك الأصغر ؛ فإن من قال ما شاء الله ثمَّ شاء فلان احتاط لنفسه بالبعد عن مواطن الشرك .

وجاء عن إبراهيم النخعي : " أنَّه يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ؛ قال : ويقول : لولا الله ثمَّ فلان ، ولايقول لولا الله وفلان " أوصيك يا عبد الله أن تحذر من الشرك صغيره وكبيره ، وأن تبتعد عنه بالتحرز من الألفاظ الموهمة ، وبالله التوفيق .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في أول كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

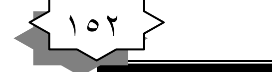
(٤٣) باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ρ قال : « لاتحلفوا بآبائكم ؛ من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجة بسندٍ حسن [(١)] .

الشرح : قوله باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله أي أنَّه لم يعظم الله حق تعظيمه من لم يرض بالحلف بالله ، ومن هنا جاءت مناسبته للتوحيد ، فتوحيد الله عز وجل هو الإقرار له بالعظمة ، والكبرياء ، وأنَّه هو الخالق لهذا الكون ؛ المتصرف فيه ، وأنَّ اسمه سبحانه وتعالى يجب أن يعظَّم إجلالاً له جلَّ وعلا ، ولايجوز أن يبتذل ، ويستخفَّ بحقه ؛ لهذا أمر رسول الله ρ أن يحلف الناس

برهم ، وأنَّ من حلف بالله فإنَّ الواجب عليه أن يصدق في حلفه ، وفي يمينه ، وأنَّ الواجب على من حلف له بالله أن يرضى ؛ وإنَّ غلب على ظنه بأنَّ الحالف كاذبٌ ؛ اعتقد بأنَّ الله عز وجل سيجزيه بما يجزي به الكاذبين ؛ المتجرئين على الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا جاء ؛ ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله ؛ وهذا وعيدٌ يدل على أنَّ من لم يرض باليمين بالله عز وجل ، ويقنع به ، ويعلم بأنَّ في الله خلَفٌ من كل شيء ؛ فهذا دليلٌ على ضعف إيمانه وبالله التوفيق .

[1]) الحديث أخرجه ابن ماجة في الكفارات باب من حلف له بالله فليرض وقال في الزوائد رجال إسناده ثقات ، وحسَّنه الحافظ في الفتح ج١١ / ٥٣٦ وحسنه أيضاً الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وصححه الشيخ سليمان رحمه الله في التيسير ص(٩٥٦) على شرط مسلم " انظر تخرج محققا كتاب القول المفيد وقال الدكتور الوليد آل فريان :: " وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢ / ١٤٣) : هذا إسنادٌ صحيح رجاله ثقات .



(٤٣) باب قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة τ : " أنَّ يهوديا أتى النبي ρ فقال : إنَّكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة . فأمرهم النبي ρ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت " رواه النسائي[1] وصححه .

وله أيضاً عن ابن عباس : أنَّ رجلاً قال للنبي ρ : ما شاء الله وشئت[2] ، فقال : أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده "

ولابن ماجة : عن الطفيل τ - أخي عائشة لأمها - قال : « رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود . قلت : إنَّكم لأنتم القوم[3] لولا أنَّكم تقولون : عزيز ابن الله . قالوا : وإنَّكم لأنتم القوم لولا أنَّكم تقولون : ما

شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفرٍ من النصارى فقلت : إنَّكم لأنتم القوم لولا أنَّكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وإنَّكم لأنتم القوم لولا أنَّكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت . ثم أتيت النبي ρ فأخبرته ، فقال : هل أخبرت بها أحداً ؟ قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمَّا بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم . وإنَّكم قلتم كلمة يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء
الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » .

الشرح : هذا الباب فيه نهيٌ عن التشريك في المشيئة ولذا عطف بقوله : « وشئت » أي بالواو

—

١) الحديث أخرجه الإمام النسائي في سننه (المجتبى) في ج٧ / ٦ برقم الحديث ٣٧٧٣ والحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج٤ / ٣٣١ في كتاب الأيمان والنذور برقم ٧٨١٥ والبيهقي في السنن الكبرى في ج٣ / ١٢٤ برقم ٤٧١٤ وج٦ / ٢٤٥ برقم ١٠٨٢٢ والطبراني في المعجم الكبير في ج٢٥ / ١٤ برقم ٧ .

٢) أخرج هذه الرواية الإمام البيهقي في السنن الكبرى في ج٦ / ٢٤٥ برقم ١٠٨٢٥ وفي ج٣ / ٢١٧ برقم ٥٦٠٣ والإمام أحمد في ج١ / ٢١٤ في مسند عبد الله بن عباس برقم ١٨٣٩ والخطيب في تاريخ بغداد في ج٨ / ١٠٤ برقم الحديث ٤٢١٨ .

٣ - ٤) وفي نسخة دار الصميعي التي قام بتحقيقها الدكتور الوليد آل فريان : " وأنتم لأنتم القوم " .

٥) الحديث أخرجه ابن ماجة في الكفارات باب النهي أن يقال:ما شاء الله وشئت ، وابن حبان في صحيحه في ج٣ / ٢٨ برقم الحديث ٥٧٢٥، وفي المعجم الكبير للطبراني في ج٨ / ٣٢٤ برقم ٨٢١٤ و٥٧٢٥ ، وفي المعجم الكبير للطبراني في ج٨ / ٣٢٤ برقم ٨٢١٤ و٨٢١٥ ، وفي مصنف عبد الرزاق في ج١١ / ٢٨ برقم ١٩٨١٣وابن حبان في صحيحه في ج٣ / ٢٨ برقم ٥٧٢٥ والدارمي في ج٢ / ٣٨٢ برقم الحديث ٢٦٩٩ وأحمد في ج٥ / ٧٢ برقم ٢٠٧١٣ .

وحينئذٍ كان شريكاً لله في المشيئة ؛ وهذا لايجوز .

وقد أورد فيه حديث قتيلة : " أنَّ يهوديا أتى النبي ρ فقال : إنَّكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت ...." الحديث .

يؤخذ من هذا : – أولاً : أنَّ الحلف لايجوز إلاَّ بالله سبحانه وتعالى ؛ فلا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالنبي ، ولابجبريل ، ولا بأحدٍ من المخلوقين كائناً من كان ؛ إذ أنَّ الحلف تعظيم ، وتعظيم غير الله شرك ؛ إذا حلفت بهذا المعظم فإنَّك حينئذٍ تكون قد عظمته تعظيماً كتعظيم الله سبحانه وتعالى ؛ فإن احتج أحدٌ بأنَّ الله أقسم بأشياء كثيرة ؛ فينبغي أن يعلم هذا الذي يحتج هذا الاحتجاج أنَّ الله سبحانه وتعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه ، وإذا أقسم بما شاء من خلقه فإن قسمه به تشريفاً له ؛ أمَّا نحن المخلوقين فلا يجوز أن نقسم بأحد غير الله سبحانه وتعالى ، وقد جاء في الحديث عن ابن عمر « أنَّه ρ أدرك عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله ρ ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلاَّ فليصمت » وهذا ثابتٌ في صحيح[1] البخاري ، فمن كان حالفاً بالنبي أو بالكعبة ؛ فليقل : وربَّ محمد أو وربَّ الكعبة وما أشبه ذلك .

ثانياً : النهي عن التشريك في المشيئة ؛ فلا يجوز للمكلف أن يقول لمكلفٍ مثله ما شاء الله وشئت أو لولا الله وأنت ؛ بل يجب أن يقول : ما شاء الله ثم شئت ، ولولا الله ثم أنت .

كذلك حديث ابن عباس : أنّ رجلاً قال للنبي ρ : ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده " فالمشيئة هي في الحقيقة مشيئة الله ؛ فلا يمكن لأحدٍ أن يشاء غير ما شاء الله ؛ إذ أنَّ القدر قد كتب ، فالنافذة مشيئة الله ، ومشيئة العباد تأتي تبعاً لمشيئة الله عز وجل ، ولهذا جاء

ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلو أردت شيئاً والله لم يشأ أن يقع لم تقدر على إنفاذ تلك المشيئة إلاَّ إذا أراد الله عز وجل ذلك ، والله سبحانه وتعالى يقول : [إن هو إلاَّ ذكر للعالمين & لمن شاء منكم أن يستقيم &وما تشاءون إلاَّ أن يشاء الله رب العالمين] [التكوير : ٢٧ – ٢٩].

ثم أورد رؤيا الطفيل - أخي عائشة لأمها - قال : ((رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود . قلت :

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ، وأخرجه أيضاً في كتاب الأيمان باب لاتحلفوا بآبائكم وأخرجه الإمام مسلم في أول كتاب الأيمان.

إنّكم لأنتم القوم لولا أنّكم تقولون : عزيز ابن الله . قالوا : وإنّكم لأنتم القوم لولا أنّكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد)) أي فتُشرِّكون في المشيئة ، وبهذا يتبين أنَّ التشريك في المشيئة لايجوز ، وأنَّ الخلاص من ذلك أن يقول العبد ما شاء الله وحده ؛ أو يقول ما شاء الله ثم شاء فلان .

ملحوظة :

ينبغي أن يعلم أنَّ التشريك في المشيئة يعد من الشرك الأصغر الذي لايخرج من الملة ، وبالله التوفيق .

(٤٤) باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : [وقالوا ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدهر] [الجاثية : ٢٤] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال : ((قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار)) وفي رواية : ((لاتسبوا الدهر ، فإنَّ الله هو الدهر)) .

الشرح : الله سبحانه وتعالى هو الذي يقلب الدهر ؛ أي يقلب الزمان كيف يشاء ، فلا بد في الزمان من تقلبات يأتي فيه حر وبرد في الصيف والشتاء ، ويأتي في الزمان عسر ويسر ، وشدة ورخاء ، وحياةٌ وموت ، وصحةٌ ومرض ؛ أحياناً يسلط الله الآفات ، ويبتلي بالبلايا ، وأحياناً يمنح الله عباده العافية ، ويعطيهم النعم المتوالية ؛ أحياناً يبتلي بالحروب ، واستحكام الخوف وقلة الأمن ، ونحن نسمع بين حينٍ وآخر ؛ إمَّا زلازل مدمرة ، وإمَّا فيضانات تأخذ الأخضر واليابس ، وتجتاح القرى ، وتذهب بالغلال ، وأحياناً تأتي أعاصير تحرق ما وقعت عليه والناس يرون هذه التقلبات ويعيشونها ، وبالأخص في زمننا هذا ، والكثير منهم لايفكرون ، ولايتأملون والله سبحانه وتعالى إنَّما يسلط هذه الكوارث ليذكر عباده بأنَّه هو المتصرف في الدهر ، فينبغي لهم أن يحرصوا على رضاه ،

وأن يبتعدوا عن كل ما يسخطه ؛ فإنَّهم إذا فعلوا ذلك أرضوا ربهم وضمنوا لأنفسهم الفلاح ، والفوز ، فلا يجوز للإنسان أن يسب الدهر إذا رأى ما يكره أو يسند إلى الزمان الشيء الذي قدره عز وجل ومنحه عباده ؛ لايجوز هذا ، ولا ذاك ، فإنَّ الله هو الذي يقلب الدهر ، ويصرفه لأنَّه هو الذي أوجد الليل والنهار ، والشمس والقمر ؛ وهو الذي أوجد الدهر ، فلا يجوز أن ينسب إلى الدهر شيء من النعم ، ولايجوز أن يسب الدهر تسخطاً لما وقع فيه ، ومن الملاحظ أنَّ كثيراً من الناس يسمُّون الكوارث من زلازل مدمِّرة ، وأعاصير مهلكة لما وقعت عليه ، وفيضانات ، وغير ذلك يسمُّون هذه الأمور كوارث طبيعية ، وهذا يعتبر شركاً وقد يكون من الشرك الأكبر حينما ينسبون هذه الكوارث إلى الطبيعة ، وينسون خالق هذا الكون ، والمتصرف فيه ، والله سبحانه يقول في ردِّه على المشركين : [قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرةٍ في السماوت ولا في الأرض وما لهم فيهما من شركٍ وما له منهم

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب : [وما يهلكنا إلاَّ الدهر] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الألفاظ من الآداب وغيرها باب النهي عن سب الدهر .

ظهير] [سبأ : ٢٢] ويقول : [إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولاينبئك مثل خبير] [فاطر : ١٤] فيجب على المسلم أن يعلم أنَّ الله عزَّ وجل هو المتصرف في هذا الكون بأسره ليس لأحدٍ معه ملكٌ ولاشراكة ، وبالله التوفيق .

(٤٥) باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال : « إنَّ أخنع اسم عند الله رجلٌ تسمَّى ملك الأملاك لا مالك إلاَّ الله » قال سفيان : مثل شاهان شاه .

وفي رواية : « أغيظ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثه » .

قوله : « أخنع » يعني : أوضع .

الشرح : أقول في هذا الباب كراهة التسمي بقاضي القضاة ، وملك الملوك أو ملك الأملاك إذ أنَّ الله هو قاضي القضاة ؛ أي يحكم بينهم ، وكذلك ملك الملوك أو ملك الأملاك ، فالله هو الملك ، وقد أثبت الله عز وجل اسم الملك في القرآن بقوله : [وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا] [الكهف : ٧٩] فالتسمي بالملك جائزٌ ؛ لكن المحذور والممنوع أن يتسمى بملك الملوك أو ملك الأملاك ؛ وهذه الصفة لاتليق إلاَّ بالله عز وجل ، ولا يجوز لأحدٍ أن يتسمى بها ومثل ذلك قاضي القضاة ؛ إذ أنَّ قاضي القضاة هو الله ، ولكن يقال رئيس القضاة أو ما أشبه ذلك .

لربما قيل : ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد الذي يحذر من الشرك ، ويأمر بالتوحيد : فأقول : التشريك في التسمية بأن يتسمَّى شخصٌ بأنَّه ملك الملوك ، فهذا فيه مظاهاة لله عز وجل بهذه التسمية ، فلذلك منعت ، ويقاس عليه التسمي بقاضي القضاة ؛ فلا يجوز لأحدٍ أن يتسَّمى بهذا

الاسم ؛ لابقاضي القضاة ، ولابملك الأملاك أو ملك الملوك لما في هذين الاسمين من المضاهاة لله عز وجل .

أمَّا كلمة شاهان شاه ؛ فهو بمعنى ملك الملوك ؛ بلغة فارس ، وبالله التوفيق .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب أبغض الأسماء إلى الله تعالى ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الآداب باب تحريم التسمي بملك الأملاك.

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الآداب باب تحريم التسمي بملك الأملاك .

(٤٦) باب احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح τ : أنَّه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي ρ : « إنَّ الله هو الحكم ، وإليه الحكم ، فقال : إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني ، فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين فقال : ما أحسن هذا ، فمالك من الولد ؟ قلت : شريح ومسلم وعبد الله ؛ قال فمن أكبرهم ؟ قلت : شريح قال : فأنت أبو شريح » رواه أبو داود ، وغيره .(١)

الشرح : في هذا الحديث فيه تغيير الاسم الذي يكون فيه مشابهة لاسم الله عز وجل ، وهذا أبو شريح الخزاعي جاء إلى النبيρ وهو يكنَّى أبا الحكم ، فقال له النبي ρ : « إنَّ الله هو الحكم وإليه الحكم » ولما سأله عن أسماء أبنائه ، وأخبره بذلك كنَّاه أبا شريح ، وعلى هذا فإنَّ الواجب احترام أسماء الله تعالى ، وعدم الاعتداء عليها بشيءٍ من المشابهة ، وهذا من الاحترام الواجب لأسماء الله تعالى ؛ قلت ومن أسماء الله تعالى الحكم العدل ، والله تعالى يقول : [ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون] [الأعراف : ١٨٠] وتجوز المشابهة لأسماء الله في ما ورد به الإذن في النصوص كالملك ، وما أشبه ذلك وبالله التوفيق .

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في ج٤ / ٢٨٩ باب في تغيير الاسم برقم الحديث ٤٩٥٥ والإمام النسائي في سننه (المجتبى) في ج٨ / ٢٢٦ باب إذا حكموا بينهم رجلاً قضى بينهم برقم ٥٣٨٧ والإمام النسائي في السنن الكبرى في ج٣ / ٤٦٦ باب إذا حكموا رجلاً ورضوا به برقم ٥٩٤٠ والإمام البيهقي في سننه في ١٠ / ١٤٥ باب ما جاء في التحكيم برقم ٢٠٢٩٨ .

(٤٧) باب من هزل بشيءٍ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : [ولئن سألتهم ليقولنَّ إنَّما كنَّا نخوض ونلعب قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن] [التوبة : ٦٧] .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ψ - دخل حديث بعضهم في بعض - أنَّه قال رجلٌ في غزوة تبوك : ((ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ρ وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك τ : كذبت ، ولكنَّك منافق لأخبرنَّ رسول الله فذهب عوف إلى رسول الله ρ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ρ وقد ارتحل ، وركب ناقته ، فقال يا رسول الله : إنَّما كنَّا نخوض ، ونتحدث حديث الركب[١] ؛ نقطع به عنَّا الطريق ؛ قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ρ وإنَّ الحجارة تنكب رجليه ؛ وهو يقول : إنَّما كنَّا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله ρ : [أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم] ما يلتفت إليه ، وما يزيده عليه))[٢] .

الشرح : يؤخذ من هذا كفر من هزل بشيءٍ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ، فمن استهزئ بشيءٍ من ذلك ؛ فإنَّه يعتبر قد كفر كفراً يخرجه من الملة .

يقصد بقول هذا الرجل[٣] ؛ يقصد بقوله هذا رسول الله ، والعياذ بالله ، ويقصد به أصحابه القراء .

إنَّ رسول الله ρ كان غاية في الشجاعة ؛ كانوا يتقون به إذا احمرَّ الحدق ، فلما انهزم بعض من كان معه يوم حنين ؛ جعل النبي ρ يركض ببغلته إلى العدو ؛ ويقول :

((أنا النبي لاكذب   أنا ابن عبد المطلب))[٤]

١) وفي نسخة دار التوحيد التي قامت بطبع شرح كتاب التوحيد لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ورد فيها رواية : " نقطع به عناء الطريق " اهـ .
٢) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره في ج١٠ / ١٧٣ عند تفسير سورة التوبة آية ٦٧ وقال الدكتور آل فريان : " وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٤ / ٢٣٠) وإسناده حسن " اهـ .
٣) أي قول المنافق كما في الحديث : " ما رأينا مثل قرآنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء " .
٤) الحديث متفق عليه من حديث البراء بن عازب τ فقد أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير باب في بغلة النبي ρ البيضاء وفي باب من صفَّ أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر ، وفي باب من قال خذها وأنا ابن فلان ، وفي باب قول الله تعالى : [ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا] وكذا أخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين .

ويوم أحد كان كذلك ثابت الجأش ؛ قوياً حتى ضرب المغفر على رأسه ، وغاص في وجنته فشجَّ بذلك ، وقال : « كيف يفلح قومٌ شجوا وجه نبيهم » أو «[1] خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل » ولقد كان القراء[2] يثبتون غاية في الثبات ؛ ثبتوا يوم قتال مسيلمة حتى إنَّ الواحد منهم ليحفر لرجليه كما يقال حتى لايفر ، وقتل منهم يوم حرب مسيلمة خمسمائة (٥٠٠) قتيل من القراء ؛ حتى خاف الصحابة أنَّ القرآن يضيع بعضه .

والمهم أنَّ كذب هذا الرجل واضح غاية الوضوح ، وإنَّما حمله على ذلك النفاق ، والله سبحانه وتعالى يقول : [لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنَّهم كانوا مجرمين] [التوبة : ٦٦] فيجب على كل مسلم أن يحذر من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء من الاستهزاء بكتاب الله أو بسنة رسول الله ρ فإنَّ في ذلك الهلكة .

ملحوظة :

معنى أرغب بطوناً " أي يصف المنافق الرسول ρ وأصحابه رضي الله عنهم بكثرة الأكل وهذا ذمٌّ لهم ، وبالله التوفيق .

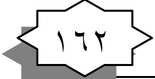
١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب ما أصاب النبي ρ من الجراح يوم أحد ، والإمام مسلمٌ في كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد ، وقد تقدم بيان ما فيه من الفوائد تحت باب قول الله تعالى : [أيشركون ما لايخلق شيئا وهم يخلقون] .
٢) هذه الرواية وردت عند الإمام ابن ماجة في سننه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ، وعند الإمام أحمد رحمهما الله في مسند باقي المكثرين من حديث أنس بن مالك τ برقم ١٢٤٢٠ و١٢٧٢٥ بترقيم إحياء التراث .

(٤٨) باب قول الله تعالى : [ولئن أذقناه رحمةً منّا من بعد ضراء مسته ليقولنَّ هذا لي]

وقول الله تعالى : [ولئن أذقناه رحمةً منّا من بعد ضراء مسته ليقولنَّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إنَّ لي عنده للحسنى فلننبئنَّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنَّهم من عذابٍ غليظ] [فصلت : ٥٠] قال مجاهد[1] : هذا بعملي ، وأنا محقوقٌ به ؛ وقال ابن عباس : يريد من عندي ، وقوله : [إنّما أوتيتِه[2] على علمٍ عندي] [القصص : ٧٨] قال قتادة : على علمٍ منّي بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علمٍ[3] من الله أنّي له أهلٌ . وهذا[4] معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبي هريرة τ أنه سمع النبي ρ يقول : « إن ثلاثة في بنى إسرائيل أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكا ، فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطي لونا حسناً وجلداً حسناً. قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو قال البقر - شك إسحاق إلاّ أنَّ الأبرص أو الأقرع ؛ قال أحدهما : الإبل ، وقال الآخر البقر - فأعطي ناقة عَشْرَاء فقال : بارك الله لك فيها . قال : فأتى الأقرع ؛ فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس . قال : فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطي شعرا حسناً . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، فأعطي بقرة حاملا ، فقال : بارك الله لك فيها ؛ قال : فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلي بصري ، فأبصر به الناس . قال : فمسحه ، فرد الله إليه بصره . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم

١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج٢٥ / ٣ عند سورة فصلت آية ٥٠ وابن زمنين في تفسيره في ج٤ / ١١٥ عند تفسير سورة الزمر وفي ج ٤ / ١١٥ من الآية ٤٩ إلى آية ٥٢ والبخاري في كتاب التفسير باب في تفسير سورة حم السجدة في ج٤ / ١٨١٥ .
٢) أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦ / ٤٤٠) .
٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي كما في المصدر السابق .
٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير في ج٢٤ / ١٢ وقال الدكتور وليد آل فريان في فتح المجيد : " وأخرجه الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٧ / ٢٣٤) .



فأعطي شاة والداً ، فأنتج هذان ، وولّد هذا . قال : فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا
واد من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين ، قد انقطعت بي
الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ؛ أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن والمال ؛ بعيراً أتبلغ عليه في سفري ؟ فقال : الحقوق كثيرة ؛ فقال له : كأني أعرفك ؛ ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . قال : وأتى الأقرع في صورته ، فقال له : مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد على هذا ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ؛ قال : وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين ، وابن سبيل ؛ انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ؛ أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى ، فرد الله إلي بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم ، فقد رضي عنك ، وسخط على صاحبيك » أخرجاه .

الشرح : هذا الباب فيه النهي عن الإدلال على الله بالعمل أو المنزلة ؛ وحيث أنَّ ذلك يصير به الإنسان نفسه شريكاً مع الله ؛ حيث نسب النعمة التي أنعم الله بها عليه إلى علمه ، ومعرفته أو إلى مقامه عند ربه ومنزلته .

فإن كان المعنى أنَّ هذا حصل لي بعملي ، ومعرفتي بوجوه المكاسب ؛ فهذا إدلالٌ بعمله ، وأنَّه بعمله ذلك حصل له ما حصل ، وفي ذلك جحدٌ لنعمة الله عز وجل ، وإن كان المعنى هو الإدلال بالمنزلة ؛ فكذلك أيضاً فيه جحدٌ لنعمة الله وفضله ؛ حيث أنَّ الله سبحانه وتعالى يتفضل على عباده بالنعم من غير حقٍّ لهم عليه ؛ إذ كل النِّعم هي من الله فضلٌ ، ولكون هذا فيه شيءٌ من الجحود لنعم الله ، وجعل الإنسان لنفسه منزلةً استحق بها ذلك ؛ فلذلك كان هذا داخلاً في

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم بهذا اللفظ في أول كتاب الزهد والرقائق ، وأخرجه الإمام البخاري بنحوه في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني إسرائيل .

الشرك ، ومناقضٌ لكمال التوحيد .

وعلى هذا المعنى جاء ابتلاء الثلاثة ، فاثنان منهم سقطوا في هذا الابتلاء ، وحملهم ما عندهم من الجهل إذ نسوا ما كانوا عليه ، وما صيرهم الله إليه ، فمنعوا ، وحملهم الشيطان على البخل وجحود نعمة الله ، فسقطوا في الابتلاء ، والإمتحان ، وأمَّا الثالث ؛ وهو الأعمى الذي كان أعمى ؛ فإنَّه عرف نعمة الله عليه ، وبذل لربه سبحانه وتعالى ؛ شاكراً لنعمته ، ومثنياً عليه بها فكان له الفلاح ، والفوز نعوذ بالله من السقوط في الامتحان والابتلاء ، ونعوذ به من غضبه جلَّ وعلا ؛ ألا يرى الإنسان أنَّه كان مبتلى مصاباً بعاهة ، ومستقذراً من قبل الناس ، فشفاه الله من ذلك الداء ، وأعطاه المال الذي ساد به ، وكان مقبولاً عند الخلق ؛ هذا لو تفكَّر العبد فيما كان عليه ، وما آل أمره إليه لكان في ذلك عظةً له وعبرة تحمله على أن يشكر الله على ما أعطاه من المال ، واللون الحسن ؛ ولكن نعوذ بالله من الخذلان .

ويؤخذ من هذه القصة :

أنَّ العبد لايركن ؛ ولا يأمن ، فقد يكون ما أعطاه الله إياه ابتلاءً ، وامتحاناً ؛ كما قال جلَّ من قائل : [وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلاَّ من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون] [سبأ : ٣٧] وبالله التوفيق .

(٤٩) باب قول الله تعالى : [فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عمَّا يشركون][1]

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّدٍ لغير الله ؛ كعبد عمرو ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب[2] .

وعن ابن عباس τ في الآية ؛ قال : لمَّا تغشاها آدم حملت ، فأتاهما إبليس : فقال : إنِّي صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ؛ لتطيعنَّني أو لأجعلنَّ له قرني أيل ، فيخرج من بطنك ، فيشقه ،ولأفعلنَّ ، ولأفعلنَّ ؛ يخوفهما ؛ سمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثمَّ حملت ، فأتاهما ، فذكر لهما ، فأدركهما حبُّ الولد ، فسمياه عبد الحارث ، فذلك قوله : [جعلا له شركاء فيما آتاهما] رواه ابن أبي حاتم .

وله بسندٍ صحيح عن قتادة ؛ قال : شركاء[3] في طاعته ، ولم يكن في عبادته .

وله بسندٍ صحيح عن مجاهد في قوله : [ولئن آتيتنا صالحاً[4]] قال : أشفقنا أن لايكون إنساناً ، وذكر معناه عن[5] الحسن ، وسعيد ، وغيرهما .

الشرح : قول ابن حزم : " اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّدٍ لغير الله ؛ كعبد عمرو ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب " ابن حزم هو عالم الأندلس في زمنه ؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري توفي سنة ٤٥٦ هـ وله ٧٢ سنة ، وقد حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ما عبِّد لغير الله ؛ لأنَّه شركٌ في الربوبية ، والإلهية ، ولأنَّ الخلق كلهم

---

١) سورة الأعراف آية ١٩٠
٢) ابن حزم في مراتب الإجماع (١٥٤) .
٣) ابن أبي حاتم في التفسير وأخرجه سعيد بن منصور ، وابن المنذر ؛ كما في الدر المنثور (٣ / ٦٢٤) .
٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير رقم (١٥٥٢١) .
٥) ابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر المنثور (٣ / ٦٢٦) نقلاً عن الدكتور الوليد آل فريان ؛ وأخرجه ابن جرير الطبري في ج٩ / ١٤٤ عند تفسير سورة الأعراف آية ١٩٠ وابن زمنين في ج٢ / ١٥٩ وابن كثير في تفسيره ٢ / ٢٧٥ .

ملكٌ لله ، وعبيدٌ له ؛ خلقهم لعبادته ، وأمرهم بتوحيده ، فلايجوز لأحدٍ منهم أن يعبِّد ولده لغير خالقه ، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله ، ومن هنا نعلم أنَّ ما يعمله الرافضة من تعبيد أبناءهم لغير الله عز وجل كعبد الزهراء ، وعبد الكاظم ، وعبد الحسين ، وما إلى ذلك أنَّه شركٌ بالله .

أمَّا استثناء عبد المطلب ، وأنَّ هذه التسمية لايقصد بها العبودية ، فهذا فيما يظهر متفقٌ عليه ولاشك أنَّ التعبيد لله رب العالمين هو الواجب على المسلم ، وقد قال النبي ρ في غزوة حنين :

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب[1]

وعن أنس بن مالك يقول: « بينما نحن جلوس مع النبي ρ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ، والنبي ρ متكئ بين ظهرانيهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ؟ فقال له الرجل : ابن عبد المطلب ، فقال له النبي ρ : قد أجبتك ...... » الحديث[2] ، فيكون مستثنى بهذا الإقرار .

وعن ابن عباس τ في الآية ؛ قال : لمَّا تغشاها آدم حملت ، فأتاهما إبليس : فقال : إنّي صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ؛ لتطيعنّني أو لأجعلنَّ له قرني أيل " الحديث .

أقول : في صحة هذا منسوباً إلى آدم نظر ، ولكن كونه من ذرية آدم من فعل ذلك فهذا لايبعد إذ أنَّ صدور الشرك من آدم وزوجته ؛ مع علمهما بكيد عدوهما الشيطان الرجيم في ثبوته نظر إذ أنَّ قوله : « لتطيعنَّني أو لأجعلنَّ له قرني أيِّل » هذا يعني تصديق للشيطان في أنَّه يقدر أن يحول ما في بطنها من خلقة إنسان إلى خلقة حيوان ، ومن صدَّق بهذا فإنَّه يعتبر قد أشرك شركاً أكبر ولكن طاعته في التسمية لاتكون من الشرك الأكبر ؛ بل تكون من الشرك الأصغر ، وعلى ذلك فقول قتادة جعلا له شركاء في طاعته ؛ ولم يكن في عبادته ، ولعلَّ ذلك حصل لهما برؤيا ظنَّا أنَّها حقٌّ وهي باطل .

وأخيراً : أقول اللهمَّ إنَّا نبرأ من اتهام آدم بذلك ؛ أمَّا كونه من ذريتهما فهذا لايبعد ، وبالله التوفيق .

---

[1]) الحديث سبق تخريجه في ص ١٥٨ الحاشية رقم ٤ .
[2]) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب ما جاء في العلم وقول الله تعالى : [وقل رب زدني علما] .

(٥٠) باب قول الله تعالى : [ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون] [1]

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس τ : يلحدون في أسمائه يشركون وعنه : سمُّوا اللات من الإله ، والعزّى من العزيز ؛ وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

الشرح [2] : وأقول قوله تعالى : [ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسماءه] هذا أمرٌ من الله سبحانه وتعالى لعباده بأن يدعوه بالأسماء الحسنى ، وفي الحديث المتفق عليه : ((إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاهاه دخل الجنة)) [3] وأسماء الله عز وجل أكثر من ذلك بدليل ما جاء في الحديث عن النبي ρ قال : ((ما أصاب أحدٌ قطٌّ همٌّ ، ولاحزنٌ ، فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ناصيتي بيدك ؛ ماضٍ فيَّ حكمك ؛ عدلٌ فيَّ قضاؤك ؛ أسألك بكل اسمٌ هو لك ؛ سميت به نفسك ؛ أو أنزلته في كتابك ؛ أو علَّمته أحداً من خلقك ؛ أو استأثرت به في علم الغيب عندك ؛ أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب غمي إلاَّ أذهب الله حزنه ، وهمَّه ، وأبدل مكانه فرحاً ، فقيل يا رسول الله : أفلا نتعلمه ؟ فقال : بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها)) عزاه ابن كثير إلى مسند أحمد بن حنبل رحمه الله من طريق يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ρ وقال بعد ذلك ؛ فقد أخرجه أبو حاتم ، وابن حبان البستي في صحيحه بمثله [4] .

قوله : ((الحسنى)) وهي كل اسمٍ تضمَّن كمالاً كالعليم ، والحكيم ، والرحيم ، وما أشبه

١) سورة الأعراف آية ١٨٠ .
٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر المنثور (٣ / ٦١٦) .
٣) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في كتاب الدعوات باب لله مائة اسم غير واحد ، وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها من حديث أبي هريرة τ .
٤) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في ج٣ / ٢٥٣ برقم الحديث ٩٧٢ باب ذكر الأمر لمن أصابه حزنٌ والحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج١ / ٦٩٠ برقم ١٨٧٧ في كتاب الدعاء والتكبير والتسبيح والذكر وأحمد في ج١ / ٣٩١ برقم ٣٧١٢ في آخر أحاديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذا رواه في ج١ ٤٥٢ برقم ٤٣١٨ وأخرج الحديث أيضاً في مسند الحارث (زوائد الهيثمي في ج٢ / ٩٥٧ برقم ١٠٥٧ وأبو يعلى في ٩ / ١٩٨ برقم ٥٢٩٧ والطبراني في المعجم الكبير في ج١٠ / ١٦٩ برقم ١٠٣٥٢ وعبد الرزاق في مصنفه في ج١١ / ٣٢٣ برقم ٢٠٦٥٩ وابن أبي شيبة في ج٦ / ٤٠ برقم ٢٩٣١٨ .

ذلك ؛ لكن إذا وصف الله أو سمِّي بما لم يكن فيه مدحٌ كقوله تعالى :[قل أي شيءٍ أكبر شهادة قل الله شهيدٌ بيني وبينكم] [الأنعام : ١٩] [1] فسمَّاه شيئاً ، ولكن لكون الشيء لايكون فيه مدحٌ ولايدل على صفة كمال فلا يدعى به ، فلا يقال يا شيء أعطني أو ارزقني .

وكذلك مما جاء في الحديث : ((لا شخص أغير من الله)) فهذا أيضاً لايتضمن كمالاً ، فلا يدعى به ، وصف الله نفسه بأوصاف على سبيل المقابلة ؛ لاتكون مدحاً إلاَّ إذا جاءت على سبيل المقابلة ، فقال تعالى : [ويمكرون ويمكر الله] [الأنفال : ٣٠] وقال : [إنَّهم يكيدون كيدا & وأكيد كيدا] [الطارق : ١٥ – ١٦] وقال : [وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال] [الرعد : ١٣] وهذه الخصال إذا انفردت تكون ذماً ؛ لكن وردت في سياق المقابلة ؛ لما يعمله الكفار من المكر بدينه ، وأوليائه ، والكيد لهم ، والخداع لهم ؛ كما في قوله : [إنَّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم] [النساء : ١٤٢] فهذه الأسماء لايدعى بها ؛ لأنَّها لم تشتمل على مدحٍ إلاَّ على سبيل المقابلة ، والمجازاة لأعدائه .

والمهم أنَّ الله لايدعى إلاَّ بالأسماء الحسنى ؛ التي اشتملت على نعوت كمال ، وخصال جلال .

أمَّا قوله : [وذروا الذين يلحدون في أسمائه] فالإلحاد هو الميل بالشيء عن سمته ؛ قال ابن كثير : " وأصل الإلحاد في كلام العرب العدل عن القصد ، والميل ، والجور ، والانحراف ، ومنه اللحد في القبر ، وذلك أنَّ العرب ألحدوا في أسماء الله ، فجعلوها لغيره ، واشتقوا أسماء آلهتهم منها فسموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز ؛ كما روى ذلك ابن جريج عن مجاهد ، وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس الإلحاد التكذيب ، ولهذا جاء عن ابن عباس يلحدون يشركون وقال الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها " اهـ بتصرف .

وأقول هذه أوصاف عاب الله فيها المشركين ، وذمهم بها ؛ لذلك فإنَّ الواجب على المسلمين أن يجلوا أسماء الله ، ويعرفوا حقها ، وما اشتملت عليه من الكمال ؛ الذي لايوازيه فيه أحد ونحن إذا تأملنا أسماء الله نجدها كاملةً أعظم الكمال ، وحسنةً في غاية الحسن ، فإذا وصفنا الله عز ـــ

١) وردت هذه اللفظة معلقة عند الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول النبي ρ : " لاشخص أغير من الله ، وقال عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك : " لاشخص أغير من الله " وأخرجه الإمام مسلم في أول كتاب اللعان من حديث المغير بن شعبة τ قال : قال : سعد بن عبادة τ : " لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح عنه ، فبلغ ذلك رسول الله ρ فقال : أتعجبون من غيرة سعد ، فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ؛ من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولاشخص أحب إليه العذر من الله ؛ من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولاشخص أحب إليه المدحة إليه من الله ، من أجل ذلك وعد الله الجنة "

وجل بالحكمة ، ونظرنا في مخلوقاته ؛ نجد أنَّ الله عز وجل قد جعل لكل مخلوقٍ ما يناسبه فالإنسان كرمه الله ، وسواه في أحسن خلق ، فإن أطاع ربه ، وعرف حقه عليه أعطاه من مواهبه وقدرته ، وإفضاله الشيء الكثير ، والجزاء الحسن ، ومن ذلك قوله : [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة] [يونس : ٢٦] وقوله : [ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم & ثم رددناه أسفل سافلين & إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون] [التين : ٤ – ٦]

وقوله : [من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة ولنجزينَّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون] [النحل : ٩٧] فانظر أخي المسلم كيف خلق الله كل شيءٍ وهيئه للمقصود منه ، فالتي خلقت للحمل كالإبل ، والخيل ، والبغال ، والحمير ؛ انظر كيف خلقت مناسبةً للحمل عليها ، والركوب ، وهكذا جعل الله لكل شيءٍ ما يناسبه :

من صور النطفة في الأرحام وأنطق الإنسان بالكلام

أمَّن بشكل الآدميِّ قد عنِيَ سواه في خلقٍ عظيم متقن

إذ جعل الوجه بأعلى والبصر لكي يكون مدركاً لما نظر

وإن تكن قد جعلت في الركبتين ما نظرت غير محل القدمين

ثم اللسان والشفاه قد عرى عن شعرٍ لحكمةٍ لا تزدرى

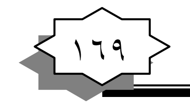
سل شعر الأجفان من قوَّسه بحكمةٍ للعين قد ألبسه

وكل أصبعٍ بظفرٍ شدها لكي يقويها به أمدَّها

قد جعل المدخل في أعلى الجسد ومخرجاً في أسفلٍ للنبذ قد

هيئه ربي بتفصيلٍ عجيب يهدي إلى الإيمان ذا العقل الأريب

وبالله التوفيق .



(٥١) باب لايقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود τ قال : كنَّا إذا كنَّا مع النبي ρ في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلانٍ وفلان فقال النبي ρ : « لاتقولوا السلام على الله فإنَّ الله هو السلام » .

الشرح : وأقول المستنكر هنا قولهم السلام على الله من عباده لأنَّ السلام معناه دعاء بالسلامة من النقائص والآفات ، والله سبحانه وتعالى غنيٌّ عن ذلك لم يكن في حاجة أحد من عباده لأنَّه هو السلام ، ومنه السلام أي هو اسمه السلام ، ومنه السلام فهو يمنح عباده السلامة ، ويوفقهم لما فيه صلاحهم ، وسلامتهم في الدنيا والآخرة ، وقد كان النبي ρ إذا انصرف من الصلاة استغفر ثلاثاً ثمَّ قال : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام[٢] » قال في فتح

المجيد : " ومعنى قوله ρ : « إنَّ هو السلام » أنَّه تعالى سالمٌ من كل نقص ، ومن كل تمثيل ، فهو الموصوف بكل كمال ؛ المنزه عن كل عيبٍ ونقص " قلت العباد كلهم بحاجةٍ إلى ربهم سبحانه وتعالى يذكرونه باسمه السلام ، ويطلبون منه السلامة في مبادئ الأمور ، وعواقبها ، ولهذا وجه النبي ρ أمته إلى أن يسألوا ربهم سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة التي تتم بها سلامتهم ولهذا يكون دعاء الرسل يوم القيامة على الصراط : « اللهم سلم سلم » وقد روى أبو بكر τ أنَّ النبي ρ قال له لما سأله أن يعلمه دعاءً يدعوا به : « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولايغفر الذنوب إلاَّ أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنَّك أنت الغفور الرحيم » نسأل الله عز وجل أن يسلمنا من كل سوء ومكروه ، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ونحن على ذلك ، وبالله التوفيق .

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة .
٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان سببه .
٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان باب فضل السجود ، وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنَّم ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : [وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة] من حديث أبي هريرة τ وأورد الحديث الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من حديث أبي سعيد الخدري τ .
٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام ، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء في الصلاة ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : [وكان الله سميعاً بصيرا] وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر .

(٥٣) باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة τ أنَّ رسول الله ρ قال : « لا يقولنَّ أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ؛ اللهمَّ ارحمني إن شئت ليعزم المسألة ؛ فإنَّ الله لامكره له » (١) .

ولمسلم : « وليعظم الرغبة فإنَّ الله لايتعاظمه شيء أعطاه » .

الشرح : قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : " بخلاف العبد ؛ فإنَّه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه أو لخوفه منه أو رجائه ، فيعطيه مسألته وهو كاره .

فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول ؛ مخافة أن يعطيه وهو كاره ؛ بخلاف رب العالمين تعالى ؛ فإنَّه لايليق به ذلك ؛ لكمال غناه عن جميع خلقه ؛ وكمال جوده وكرمه ، وكلهم فقيرٌ إليه ؛ محتاجٌ لايستغني عن ربه طرفة عين ، وعطاؤه كلام ، وفي الحديث : « يمين الله ملأى ؛ لايغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ؛ أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ؟ لم يَغِضْ ما في يمينه ، وفي يده الأخرى القسط يخفضه ، ويرفعه » يعطي تعالى لحكمة ، ويمنع لحكمة ؛ وهو الحكيم الخبير " اهـ .

وأقول : إنَّ مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد حتى لايشبَّه الله عز وجل بخلقه ؛ فإنَّه إن قال : « اللهم اغفر لي إن شئت » فكأنَّما ظنَّ به البخل أو العُدْم أو تعاظم المسألة ؛ كما أنَّ هذه صفة المخلوقين ، وتمام الحديث عند مسلم : « وليعظم الرغبة ، فإنَّ الله لايتعاظمه شيءٌ أعطاه » .

ملحوظة :

ينبغي أن نعلم أنَّ الله عز وجل كريمٌ بل هو أكرم الكرماء ، وأنَّ الله غنيٌ لايعدم ، وكريم لايبخل فإن لم تحصل للإنسان طلبته التي طلبها من ربه ؛ فإنَّه ينبغي أن يعلم أنَّ ذلك إنَّما كان لمانعٍ من الموانع ؛ وهو إمَّا أن يكون أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يعطه مسألته من أجل أنَّه يريد أن يدخر له ذلك عنده إلى يوم القيامة أو من أجل أنَّ الله يريد أن يصرف عنه من الشر بقدر مسألته تلك أو من أجل أنَّ الله عز وجل يرى المصلحة في عدم إجابته في الدنيا أو من أجل أن دعوته كان ينقصها

---

[١]) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الدعوات باب ليعزم المسألة فإن الله لامكره له ، وأخرجه في كتاب التوحيد باب المشيئة والإرادة ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب العزم بالدعاء ولايقل إن شئت .

[٢]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب العزم بالدعاء ولايقل إن شئت .

الإخلاص والإيمان أو غير ذلك من الموانع ... فلا يجوز للعبد أن يظنَّ بربه ظنَّاً سيئاً ؛ بل يجب عليه أن يعتقد أن عدم الإجابة حاصلٌ من قبل نفسه هو ، وفي الحديث : « ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولاقطيعة رحم إلاَّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إمَّا أن تعجل له دعوته ، وإمَّا أن يدخرها له في الآخرة ، وإمَّا أن يصرف عنه من السوء مثلها ؛ قالوا : إذاً نكثر ؛ قال : الله أكثر » رواه[١] أحمد ، وبالله التوفيق .

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسند باقي المكثرين من الصحابة من حديث أبي سعيد الخدري τ برقم الحديث ١٠٧٤٩ بترقيم إحياء التراث ، وقال عنه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم الحديث ٤٤٨٣ في ج٩ / ٤٦٧ طبعة مكتبة المعارف : " أخرجه أحمد (٣ / ١٨) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) والحاكم (١ / ٤٩٣) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهو كما قالا " اهـ .

(٥٣) باب لايقول عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة τ أنَّ رسول الله ρ قال : « لايقولنَّ أحدكم : أطعم ربك وضيء ربك ، وليقل : سيدي ومولاي ، ولايقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل فتاي وفتاتي ، وغلامي »

الشرح : في هذا الباب النهيُ[1] عن إطلاق الرب على المولى الأعلى ؛ يعني المالك أو المعتِق والنهي عن إطلاق عبدي وأمتي على المولى الأسفل ؛ وهذا نهيٌ عن التشبيه في اللفظ ؛ وإن كان جائزاً إلاَّ أنَّ الأولى والأبلغ في الأدب ألاَّ يقول المولى الأسفل لمولاه الأعلى ألاَّ يقول له : ربي ولايقال : أطعم ربك ، وضئ ربك ، ومن باب الأدب أن يقال : فتاي ، وفتاتي بدل عبدي وأمتي ؛ من أجل أن يكون ذلك تحقيقاً للتوحيد ، فينهى عن التشابه في الألفاظ أدباً مع الله عز وجل ؛ لما في ذلك من كمال التوحيد ، فأبدل بدل رب سيد ومولى ، وبدل عبدي وأمتي فتاي وفتاتي ، وبالله التوفيق .

[1]) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العتق باب كراهة التطاول على الرقيق ، ومسلم في كتاب الأدب باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة .

(٥٤) باب لايرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ρ : « من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل الله بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنّكم قد كافأتموه » رواه أبو[1] داود والنسائي بسندٍ صحيح .

الشرح : ترجمة هذا الباب أنَّه لايرد من سأل بالله ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى وخوَّل ، ويسر للعبد الرزق ، والمال ، ويسر له الأسباب الجالبة للخير ، وقواه على ذلك ذهنياً وجسدياً ، فإذا سُئل أحدٌ بالله فإنَّه ينبغي للمسؤول أن يتذكر نعمة الله عليه ، وإكرامه إياه بأن جعله مسؤولاً لاسائلاً ، ومعطياً متفضلاً على غيره بسبب ما خوَّله إياه ، ومن حق هذا المنعم عليه أن يعطي من أجله أي من أجل الله ، وليس معنى ذلك أن يعطي السائل ما سأل ، ولكن أن يعطيه على قدر استطاعته بحسب ما تيسر له ، ولهذا جاء في الحديث : « من سأل بالله فأعطوه » أي ابذلوا له ، وأطيعوا ربكم في البذل له ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى ندب العباد إلى الإنفاق في غير ما آية قال جل من قائل : [فأمَّا من أعطى واتقى & وصدق بالحسنى & فسنيسره لليسرى] [الليل : ٥ – ٧] وقال : [يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلاَّ أن تغمضوا فيه واعلموا أنَّ الله غنيٌ حميد & الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلا والله واسع عليم] [البقرة : ٢٦٧ – ٢٦٨]

وقال سبحانه : [ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب] [البقرة : ١٧٧] وقال جل من قائل : [والذين في أموالهم حق معلوم & للسائل والمحروم] [المعارج : ٢٤ – ٢٥] .

والمهم أنَّ الله ندب عباده للإنفاق كل بحسب حاله .

١) الحديث أخرجه النسائي في سننه (المجتبى) في ج٥ / ٨٢ برقم الحديث ٢٥٦٧ باب من سأل بالله عز وجل وأبو داود في سننه في ج٢ / ١٢٨ باب عطية من سأل بالله ، وأخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه في ج٨ / ١٩٩ برقم ٣٤٠٨ باب ذكر الأمر بالمكافأة لمن صنع المعروف والشهاب في مسنده في ج١ / ٢٦٠ برقم ٢٩٥ و٤٢١ والبخاري في الأدب المفرد في ج١ / ٨٥ برقم ٢١٦ والطبراني في المعجم الكبير في ج١٢ ٣٩٧ برقم ١٣٤٦٥ والحاكم في المستدرك على الصحيحين في ١ / ٥٧٢ برقم ١٥٠٢ والبيهقي في السنن الكبرى في ج٤ / ١٩٩ برقم ٧٦٧٩ والطيالسي في مسنده في ج١ / ٢٥٧ برقم ١٨٩٥ وأخرجه أحمد في مسنده في ج٢ / ٦٨ في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب برقم الحديث ٥٣٦٥ وفي ج٢ / ٩٩ برقم ٥٧٤٣ وفي ج ٢ / ١٢٧ برقم ٦١٠٦ وفي مسند عبد بن حميد في ج١ / ٢٥٦ برقم ٨٠٦ .

وفي هذا الحديث أمرٌ بإعطاء من سأل بالله على حسب المتيسر للمسؤول .

وقال أيضاً في الحديث : « ومن استعاذ بالله فأعيذوه » أي إذا استعاذكم أحدٌ بالله ؛ فينبغي لكم أن تعيذوه ؛ إذا قدرتم على ذلك ؛ إلاَّ من استعاذ من حدٍّ أو حقٍّ واجبٍ عليه ؛ فإنَّه لايعاذ من الحد ، ولا من القصاص .

قوله : « ومن دعاكم فأجيبوه » كذلك أيضاً من حق المسلم على المسلم إجابة دعوته إذا استطاع ، وفي حديث أبي هريرة τ أنَّ النبي ρ قال : « حق المسلم على المسلم ست قيل وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له وإذا دعاك فأجبه ، وإذا عطس فحمد الله فسمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه »[١]

قوله : « ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه » أي كافئوه على الصنيعة ، والمعروف إن قدرتم على ذلك ؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له ، فجعل الدعاء مكافئةً .

قوله : « حتى تروا » أي تظنوا أنَّكم قد كافئتموه .

ويؤخذ من هذا الحديث : أنَّ النبي ρ دل أمته على كمال الخير ، وخصال الفضل ، فمن عمل بطاعة ربه سبحانه وتعالى ، واتبع ما أرشد إليه النبي ρ فإنَّه يعيش على خير ، ويموت على خير نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذلك .

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أنَّ من تعظيم الله عز وجل الإعطاء من أجله ، وبالله التوفيق .

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ، وأخرجه الإمام أحمد في مسند باقي المكثرين برقم ٨٦٢٨ و٩٠٨٠ إلاَّ أنَّه جاء بلفظ : " وإذا عطس فشمته " بدل فسمته " وإذا مات فاصحبه " بدل " وإذا مات فاتبعه " .

(٥٥) باب لايسأل بوجه الله إلاَّ الجنة

عن جابرτ قال قال رسول الله ρ : « لايسأل بوجه اللهِ إلاَّ الجنة » رواه أبو داود .

الشرح : وحيث أنَّ الحديث أخرجه أبو داود برقم ١٦٧١ وفي سنده سليمان بن قرم بن معاذ قال يحي بن سعيد : " ليس بشيء " وقال عبد الحق ، وابن القطان : " ضعيف " وضعفه الألباني في المشكاة رقم ١٩٤٤ وقد عارضه ما يدل على جواز ذلك أحاديث منها الدعاء الذي دعا به النبي ρ عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهلها ، فدعا بهذا الدعاء : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ؛ أنت رب المستضعفين وأنت ربي ؛ إلى من تكلني؟! إلى بعيدٍ يتجهمني ؛ أو إلى عدوٍ ملَّكته أمري ؟! إن لم يكن بك غضبٌ فلا أبالي ؛ غير أنَّ عافيتك هي أوسع لي » وفي آخره : « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة : أن يحلَّ عليَّ غضبك ؛ أو ينزل بي سخطك ؛ لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولاقوة إلاَّ بالله »[٢] وورد في دعاءٍ آخر : « اللهمَّ أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد – وفي آخره – أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض »[٣] وفي دعاءٍ آخر : « أعوذ بوجه الله الكريم ، وبسم الله العظيم ، وبكلماته التامة ؛ من شر السامة واللامة ، ومن شر ما خلقت أي ربِ ؛ ومن شر هذا اليوم ، ومن شر ما بعده ، ومن شر الدنيا والآخرة »[٤] والجمع

١) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الزكاة باب كراهية المسألة بوجه الله في ج٢ / ١٢٧ برقم الحديث ١٦٧١ والبهقي في السنن الكبرى في ج٤ / ١٩٩ برقم ٧٦٧٨ وقال الشيخ سليمان أبا الخيل والشيخ خالد المشيقح محققا القول المفيد على كتاب التوحيد

للشيخ محمد بن صالح العثيمين في ج٣ / ١١٦ : " وأخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ص (٩٨) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٣٠٦) والخطيب في الموضح ١ / ٣٥٢ و٣٥٣ عن جابر رضي الله عنه ، وقال المنذري في مختصر السنن ٢ / ٢٥٣ : " وسليمان بن قرم تكلم فيه غير واحدٍ " والحديث ضفعه عبد الحق وابن القطان كما في الفيض ٦ / ٤٥١ والمناوي في التيسير ٢ / ٥٠٥ لكن يشهد لعموم النهي حديث أبي موسى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " ملعونٌ من سأل بوجه الله ، ملعونٌ من سئل بوجه ثم منع سائله مالم يسأل هجرا " أخرجه الطبراني كما في المجمع ٣ / ١٠٣ وحسنه العراقي كما في الفيض ٦ / ٤ والمناوي في التيسير ٢ / ٤٧٨ " وقال الشيخ الوليد آل فريان في تحقيقه لكتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ج٢ / ٧٦١ : " وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣ / ١١٠٧) وقال : هذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر إلاَّ من رواية سليمان بن قرم .... والديلمي في الفردوس رقم (٧٩٨٦) والبيهقي في السنن (٤ / ١٩٩) والأسماء والصفات (٣٨٨) وفيه سليمان بن قرم سيء الحفظ يتشيع كما في التقريب (٢٥٣) " اهـ .

٢) قال الدكتور الوليد آل فريان في تخريج هذه الأحاديث : " أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء رقم (١٠٣٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣٥) رواه الطبراني ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ، وبقية رجاله ثقات ، والطبراني في التاريخ (٢ / ٣٤٥) من حديث عبد الله بن جعفر ، وأصله في صحيح البخاري رقم (٣٢٣١) ومسلم في الصحيح رقم (١٧٩٥) من حديث عائشة .

٣) الحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه في ج٥ / ١٥٦ برقم ٩٢٣٤ وابن أبي شيبة في ج٦ / ٦٦ برقم ٢٩٥٢١ وأخرج نحوه الطبراني في الكبير في ج٨ / ٣٦٤ برقم ٨٠٢٧ من حديث أبي أمامة ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١١٧) وفيه فضالة بن جبير ؛ وهو ضعيفٌ مجمع على ضعفه ، وأخرج بنحوه أيضاً ابن أبي شيبة في ج٦ / ٦٩ برقم ٢٩٥٣٩ وفي الأحاديث الطوال لسليمان الطبراني في ج١ / ٢٦٦ في حديث الصور . =

بين هذه الأحاديث وحديث الباب هو أنَّ هذه الأدعية التي ورد فيها السؤال بوجه الله ؛ سأل النبي ρ فيها ربه سبحانه بما يكون سبباً في دخول الجنة ، والنجاة من النار ، فلا يتعارض مع حديث الباب ؛ بل يقويه ، ويدل على جواز مثل ذلك ؛ يعني أنَّه يجوز ما يكون سبباً في دخول الجنة ، والنجاة من النار .

ويؤخذ من هذا الحديث : أنَّ وجه الله عظيم ؛ فلا يسأل به إلاَّ عظيم ، وينزه عن التوافه والدنيا تعتبر حقيرةً بالنسبة لوجه الله .

ويؤخذ من الحديث : إثبات صفة الوجه لله تعالى ، ونسأل الله الكريم ؛ رب العرش العظيم ؛ أن يرزقنا الجنة ، ويعيذنا من النار ، وبالله التوفيق .

= ٤) أخرج بنحوه أبو يعلى في مسنده في ج٤ / ٣٠٦ برقم ٢٤١٧ والطبراني في المعجم الأوسط في ج٦ / ١٦٦ باب من اسمه محمد ، وفي المرضى والكفارات لعبد الله محمد أبو بكر القرشي في ج١ / ١٤٨ باب في ذكر مصافحة أهل المودة برقم ١٨٧ وقال الدكتور الوليد آل فريان " وأخرج بنحوه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٩) من حديث ابن مسعود ، وعلي بن أبي طالب

وقال : وهو إسنادٌ صحيح ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٩٣) عن سعيد بن المسيب موقوفاً وأخرج الشاهد منه : أبو داود في السنن رقم (٥٠٥٢) والدينوري في عمل اليوم والليلة رقم (٧١٣) من حديث علي ، وأخرجه الطبراني في كتاب الدعاء رقم (١٣٩٩) من حديث عائشة " اهـ .

(٥٦) باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : [يقولون لو كان لنا من الأمر شيءٌ ما قتلنا ههنا] [آل عمران : ١٥٤] وقوله : [الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا] [آل عمران : ١٦٨] .

في الصحيح عن أبي هريرة τ أنّ رسول الله ρ قال : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولاتعجزن ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدّرَ الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[(١)]

الشرح : المراد باللو هي التي تقال عند المصائب ؛ ونزول الأمور المكروهة ؛ لو فعلنا كذا ما كان كذا ، ولو كان كذا ما كان كذا ، ولكون لو تدل على الإشعار بعدم الصبر ، وكثرة الأسى والحَزن على ما فات ؛ حيث يزعم قائلها أنَّه لو حصل ما ظنَّه مما يكون فيه خلاصٌ من القدر لما وقع ذلك المكروه ، وحيث أنَّه ينبئ بالاعتراض ، وزعم القائل أنَّ ما قدِّر سيكون منه خلاصٌ لو كان كذا ، فلذلك كان قول لو كان كذا ما حصل كذا أمراً مذموماً ، وينبغي الإذعان لقدر الله فإن قدر الله لاخلاص منه ، ولامناص ؛ إذ ما قد قدِّر فلا بد أن يكون ، ولهذا جاء في الحديث حديث أبي هريرة المذكور في الباب الحث على الحرص على ما ينفع قبل وقوع النوازل والاستعانة بالله عز وجل على التخلص من المكروه قبل نزوله ؛ مع التوكل على الله ، فإن أراد الله لك الخلاص فعل بك ذلك ، وإن لم يرد الله ؛ فإنَّه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

أمَّا إذا أصابك ما يوجب الأسى ، والحزن ؛ فإنَّ المفترض عليك أن ترضى بقدر الله ، وأن تبتعد عن لو ، وما نتج عنها ، فإنَّها من عمل الشيطان .

وما أعظم دلالات النصوص النبوية ؛ التي هي وحيٌ من الله ، وإنَّ اتباعها فيه الخير ، وفيه النجاة ؛ حتى وإن نزل بك المكروه ؛ ينبغي لك أن ترضى بقدر الله عز وجل ، وإن كان هناك شيءٌ حصل لك ما يسوءك بسببه ؛ فهو من تقصيرك في الأسباب ، وضعف توكلك ؛ لهذا قال صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولاتعجزن

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر باب الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله .

وإن أصـــابـــك شـيءٌ فـــلا تقـــــل : لـو أنـي فعـــــلت كـــذا لكـــــــان كذا وكـذا

ولكن قل : قدَّرَ اللَّه وما شاء فعل » فيا أخي المسلم اعمل الأسباب ما دامت مواتية ، وتوقَّى الشر

بقدر ما تستطيع قبل نزوله ، ومتى نزل فاعلم أنَّ الله قد قدَّر هذا ، فاصبر ، واحتسب ، واعلم أنَّه ما يكون شيءٌ إلاَّ بقدرٍ سابق كما قال تعالى : [ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ في كتابٍ من قبل أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير & لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم ، والله لايحب كل مختالٍ فخور] [الحديد : ٢٢- ٢٣] فهذه الآية تدل على أنَّه ما يكون شيءٌ في الكون إلاَّ وقد كتب ؛ من قبل وجود الكون ؛ كما قال سبحانه وتعالى : [إلاَّ في كتابٍ من قبل أن نبرأها] من قبل أن يخلق الخليقة ، فاصبر ، واحتسب ، فلعل في ذلك خيرٌ لك ؛ رفعة درجات ؛ أو تكفير سيئات ، وحكمة الله عز وجل في خلقه سرٌّ من أسراره لايطلع عليها أحدٌ غيره سبحانه وتعالى ، فما أعظم التوجيهات الإلهية ، والإرشادات النبوية نسأل الله أن يعطينا من الخير العاجل والآجل ، وأن يصرف عنَّا الشر العاجل والآجل ، وإن ابتلانا بشيءٍ ؛ فنسأله أن يبصرنا بالحق فيه ، ويرضينا بحكمه ، وقد ورد في الحديث عن النبي ρ أنَّه قال : « لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة » فهذا النص دليلٌ على استعمال اللَّوْ[1] في تمني الأمر الفاضل إذا فات بأمرٍ مفضول ، وأنَّ ذلك لايدخل في اللو المنهي عنها ، فقد تمنى رسول الله ρ أن لو وفق لعدم سوق الهدي ، وجعل نسكه عمرةً متمتعاً بها إلى الحج ليقتدي به أصحابه ، وسائر الأمة ، ولكن تعارض هنا أمران في كل منهما مصلحة مشروعة : -

الأمر الأول : سوق الهدي ، وجمع الحج والعمرة ؛ والبقاء على الإحرام إلى يوم النحر ؛ حتى يبلغ الهدي محله زماناً ومكاناً .

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الزهد باب المؤمن أمره كله خير ، وعند البخاري بفظ : " لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أنَّ معي الهدي " وذلك في كتاب الحج باب تقضي الحائض المناسك كلها إلاَّ الطواف من حديث جابر بن عبد الله τ برقم ١٦٥١ و٧٨٥ و٢٥٠٦ و٧٢٣٠ وبنحوه ٧٢٢٩ و٧٣٦٧ وعند مسلم برقم ١٢١٦ .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج باب تقضي الحائض المناسك كلها إلاَّ الطواف بالبيت من جابر بن عبد الله ، وفي باب عمرة التنعيم ، وفي كتاب الشركة باب الإشتراك في الهدي من حديث ابن عباس ، وفي كتاب التمني باب قول النبي ρ : " لو استقبلت من أمري ما استدبرت " من حديث جابر أيضاً ، وفي كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب النهي عن التحريم إلاَّ ما تعرف إباحته من حديث جابر أيضاً ، وأخرجه الإمام مسلم بهذا اللفظ في كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام ، وأنَّه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ، وجواز إدخال الحج على العمرة ، ومتى يحل القارن من نسكه من حديث أم المؤمنين

عائشة رضي الله عنها .

والأمر الثاني : شَرْعية العمرة لمن لم يسق الهدي ليكون متمتعاً بها إلى الحج ، فتعارض هنا أمران محبوبان إلى الله عز وجل ، فكان تمني رسول الله ρ لترك سوق الهدي وجعل نسكه عمره متمتعاً بها إلى الحج فيه ترجيح للتمتع في حق من لم يكن له قدرة على سوق الهدي ولكونه أيسر على أكثر الناس ، فكان تمنيه لعدم سوق الهدي ، وجعلها عمرة ؛ ترجيح لأمر مشروع على أمر مشروع ، فدل على جواز اللو في مثل ذلك ، وأنَّ النهي خاص باللو التي يكون فيها اعتراض على القدر أو تمني معصية في المستقبل ، وبالله التوفيق .

(٥٧) باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب τ أنَّ رسول الله ρ قال : ((لاتسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهمَّ إنَّا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها ، وشرت ما أمرت به)) صححه[1] الترمذي .

الشرح : يؤخذ من هذا الحديث النهي عن سب الريح ؛ لأنَّ الريح مأمورةٌ فمن سبها فقد سبَّ الآمر لها ، والمصرف لها ، وهذا مثل النهي عن سب الدهر ؛ لأنَّ التسخط من الفعل تسخطٌ من الفاعل ؛ لذلك فإنَّه من تمام التوحيد أن نؤمن بأنَّ الريح ، والدهر كلاهما مأمورٌ ؛ مصرَّفٌ ومدبر .

فمن تمام توحيدنا لربنا أن نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل في هبوبها خيراً لنا ؛ ولذلك أرشدنا النبي ρ أن نسأل خالقها ، ومصرفها ، ومدبرها سبحانه وتعالى أن نسأله جل شأنه أن يجعل في تصريفها ، وتدبيرها خيراً لنا في ديننا ، ودنيانا ، وأن نعوذ به من شر ما أمرت به ، وأن لايجعلها عذاباً علينا ؛ كما جعلها عذاباً على قوم عاد .

وينبغي للناس أن يفعلوا ما أمر به النبي ρ إذا رأوا شيئاً من ذلك ؛ فقد أرشد النبي ρ الناس إذا رأوا هبوب الرياح أن يستقبلوها ، ويجثو الشخص على ركبتيه ؛ ويقول : ((اللهمَّ إنَّا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها وشرت ما أمرت به)) فإنَّ هذا فيه دفعٌ لمضرتها ، واستجلابٌ لخيرها ، وكم سمعنا في هذا الزمن من كوارث بسبب الأعاصير أو الفيضانات أو الزلازل أو غير ذلك من الأشياء المدمرة ، ولكن لجهل الناس ، وعدم علمهم لايأتون بالأسباب التي أمر الله بها في كتابه ، وعلى لسان رسوله ρ ليستدفعوا بذلك شراً نزل أو متوقعاً نزوله ، ويستجلب بذلك خيراً ينزل أو يتوقع نزوله .

---

[1]) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الأدب باب النهي عن سب الريح والإمام أحمد في ج٥ / ١٢٣ برقم الحديث ٢١١٧٦ والبيهقي في السنن الكبرى في ج٦ / ٢٣١ برقم ١٠٧٦٩ والبخاري في الأدب المفرد في ج١ / ٢٥١ برقم ٧١٩ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج٦ / ٢٧ برقم الحديث ٢٩٢١٩ وأصل الحديث بغير هذا اللفظ في صحيح مسلم في كتاب الإستسقاء باب التعوذ عند رؤية الريح وفي كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل .

ملحوظة :

وردت الريح موحدة في ريح العذاب ، ووردت الرياح مجموعة في الرياح المبشرة بالخير ؛ كما قال تعالى : [وأمَّا عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية & سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنَّهم أعجاز نخلٍ خاوية] [الحاقة : ٦ – ٧] وقال تعالى : [وأرسلنا الرياح لواقح] [الحجر : ٢٢] وقال سبحانه : [ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته] [الروم : ٤٦] ومن هنا نعلم أنَّ الريح إذا أفردت قصد بها الريح التي تأتي بالعذاب ، وإذا جمعت قصد بها الريح التي تأتي بالرحمة ، وبالله التوفيق .

(٥٨) باب قول الله تعالى : [يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية]

قال الله تعالى : [يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إنَّ الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لايبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليمٌ بذات الصدور] [آل عمران : ١٥٤] .

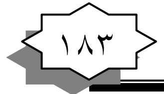
وقوله : [الظانين بالله ظنَّ السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنَّم وســاءت مصــيرا] [الفتح : ٦] .

قال ابن القيم في الآية الأولى : فسِّر هذا الظن بأنَّه سبحانه لاينصر رسوله ، وأنَّ أمره سيضمحل ، وفسِّر بأنَّ ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر وإنكار أن يتمَّ أمر رسوله ، وأن يظهره الله على الدين كله .

وهذا هو ظنُّ السوء الذي ظنَّ المنافقون والمشركون في سورة الفتح وإنَّما كان هذا ظنُّ السوء لأنَّه غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته ، وحمده ، ووعده الصادق فمن ظنَّ أنَّه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ؛ أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره لحكمةٍ بالغة يستحق عليها الحمد ؛ بل زعم أنَّ ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظنُّ الذين كفروا ، فويلٌ للذين كفروا من النار .

وأكثر الناس يظنُّون بالله ظنَّ السوء فيما يختص بهم ، وفيما يفعله بغيرهم ، ولايسلم من ذلك إلاَّ من عرف الله بأسماءه وصفاته ، وموجب حكمته وحمده .

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ، وليستغفره من ظنِّه بربه ظنَّ السوء .



ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر ، وملامةً له ، وأنَّه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقلٌ ومستكثرٌ ، وفتش نفسك : هل أنت سالمٌ ؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمةٍ وإلاَّ فإني لا إخـــالك ناجيـــا (١)

الشرح : يخبر الله عز وجل في هذه الآيات عمَّا كان يدور في أنفس المنافقين من أنَّ الله لاينصر رسوله ، وأنَّ الله لايتم له أمره ؛ إذ كانوا يظنُّون هكذا ، وبالأخص إذا وقعت على الرسول ρ وأصحابه أزمة أو ناكبة ، وقد جاء في الآية الأخرى في سورة الفتح : [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظنَّ السوء وكنتم قوماً بورا] وقد ذكر عن الجَدِّ بن قيس أنَّه قال حين خرج النبي ρ وأصحابه إلى تبوك : " لكأنِّي بمحمدٍ وأصحابه مقرنين بالحبال " وفي هذه الآيات نزلت في سورة آل عمران في موقعة أحد يخبر الله عن المنافقين بأنَّ حالتهم كانت بخلاف حال المؤمنين ، فالمؤمنون عندما اشتدت الأزمة أوقع الله عليهم النعاس أمنةً منه ، فكان الواحد منهم يسقط سيفه من يده ؛ أمَّا المنافقون فقد كانوا بخلاف ذلك يتملكهم الانزعاج ، والخوف ، والجزع ، والقلق ، فلم يغشهم النعاس كما غشي المؤمنين ؛ لأنَّ المؤمنين كانت نفوسهم مطمئنة إلى أنَّ الله سينصر رسوله ρ وأصحابه ، وستكون العاقبة لهم .

أمَّا المنافقون فإذا حصلت على الرسول ρ أزمة أو وقع قتل في أصحابه ؛ فإنَّهم يظنُّون أنَّ الإسلام قد انتهى ، والرسول ρ قد هلك هو وأصحابه ، فكانت نفوسهم متوقعة استعلاء المشركين ، وإبادة الإسلام وأهله ، فعابهم الله بهذا الظن ، وذمهم به في مواقع كثيرة من كتابه منها قوله تعالى : [من كان يظنُّ أن لن ينصره الله فليمدد بسببٍ إلى السماء ثمَّ ليقطع فلينظر هل يذهبنَّ كيده ما يغيظ] [الحج : ١٥] وردَّ عليهم في زعمهم أنَّهم لو كانوا في بيوتهم ما قتلوا قال الله عز وجل : [قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليمٌ بذات الصدور] فأخبر سبحانه وتعالى أنَّ ما يقع على رسله ، وأتباع رسله يقع لحكمٍ منها : أنَّ الله سبحانه وتعالى يكتب الشهادة لمن شاء من عباده المؤمنين ، ويبتلي المنافقين ؛ ليخرج من صدورهم بعض ما كانوا يكتمونه ويمحص

---

١) انظر تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي في ج٦ / ٤٩١ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وفي شرح مشكل الآثار في ج٦ / ٤٩١ والطبقات الكبرى لابن سعد في ج٧ / ١٥٣

المؤمنين الذين يبقون على قيد الحياة بالابتلاءات ؛ التي يضاعف لهم فيها الحسنات ، ويكتب لهم فيها الأجر والمثوبة ، ثم تكون العاقبة بعد ذلك للرسل ، والرسول ρ قد كانت العاقبة له نصره الله على أعداءه ، وأظهر دينه ، وأعلى كلمته ، وخيَّب آمال المعتدين الظالمين من المشركين والمنافقين ، فالحمد على ذلك .

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أنَّ أهل الظَّن السيء ليسوا من أهل التوحيد القائمين به وليسوا من أهل الإيمان الذين تيقنت قلوبهم ظهور هذا الدين بعد شيءٍ من الابتلاءات ، وهكذا ينبغي أن يكون أهل الإيمان في كل زمنٍ ؛ ينبغي أن يعتقدوا بأنَّ الله سيظهر دينه ، ويعلي كلمته وأنَّ الابتلاءات ، والأزمات قد تكون هي الطريق إلى النصر ، والعاقبة الحميدة ، وبالله التوفيق .

(٥٩) باب ما جاء في منكري القدر

و قال ابن عمر τ : " والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً ثمَّ أنفقه في سبيل الله ما قبِلَه الله منه حتى يؤمن بالقدر " .

ثم استدل بقول النبي ρ : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت τ أنَّه قال لابنه : يا بني إنَّك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ؛ سمعت رسول الله ρ يقول : « إنَّ أول ما

خلق الله القلم فقال له : اكتب فقال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ›› يا بني سمعت رسول الله ρ يقول : ‹‹ من مات على غير هذا فليس مني ›› .

وفي رواية لأحمد : ‹‹ إنَّ أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب فجرى في[3] تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ›› .

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ρ : ‹‹ فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار ›› .[4]

وفي المسند ، والسنن عن ابن الديلمي ؛ قال : أتيت أبي بن كعب τ فقلت : في نفسي شيءٌ من القدر فحدثني بشيءٍ لعلَّ الله يذهبه من قلبي ، فقال : " لو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام .

٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه في كتاب السنة باب في القدر كلها من حديث عبادة τ وقد أشار إلى صحته الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح ج١ / ٣٤ برقم الحديث ٩٤ وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين في ج١ / ٥٧ برقم ٥٨ وفي ج٣ / ١٣٨ برقم ١٩٤٩ والبيهقي في السنن الكبرى في ج١٠ / ٢٠٤ برقم الحديث ٢٠٦٦٤ .

٣)هذه الرواية أخرجها الإمام أحمد رحمه الله في باقي مسند الأنصار بهذا اللفظ برقم ٢٢١٩٧من حديث عبادة بن الصامت τ وقد صححها الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب السنة للحافظ أبي بكرعمرو بن أبي عاصم الشيباني برقم الحديث ١٠٤ ج١ / ٤٨ وأخرجها الإمام الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء بلفظ { إن أول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب، فقال ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد } وكذا أخرجها في كتاب تفسير القرآن باب سورة ن * والقلم .

٤) أخرج هذه الرواية ابن وهب في القدر رقم (٢٦) وابن أبي عاصم في كتاب السنة رقم (١١١) والآجري في الشريعة (١٨٦) كما قال الدكتور آل فريان .

وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطئك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار" قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ψ فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي[1] ρ حديث صحيح ؛ رواه الحاكم في صحيحه .

الشرح : **باب ما جاء في منكري القدر** أي من الوعيد الشديد ونحو ذلك .[2]

اعلم أنَّ القدر قد هلكت فيه فئتان : –

الفئة الأولى : فئة أنكرته بالكلية أو أنكرت بعضه ، والمشهور أنَّ هذه الفئة أنكرت الشر أن يكون من قدر الله ، فأنكروا أن يكون الكفر قدراً من الله أو المعاصي قدراً من الله أو الشرك الأكبر قدراً من الله ؛ زاعمين أنَّ الله لايقدِّر ذلك ، ويعذب عليه ، زاعمين بأنَّه لو عذب العباد عليه كان تعذيبه لهم ظلماً منه لهم ، وبهذا القول قالت المعتزلة ؛ وهو ما قرره أئمتهم ؛ وهم واصل بن عطاء ،

وعمرو بن عبيد ، والجبائي ، وأبو هاشم ، والنَّظَّام ، وأمثالهم ، وقد ظهرت هذه البدعة في آخر زمن الصحابة وجاء رجلان من الذين أنكروا على النفاة ؛ فذكروا لعبد الله ابن عمر قائلين أنَّه قد ظهر قِبَلَنا قومٌ يقرأون القرآن ، ويتقفرون العلم ، ويقولون لاقدر ، فقال لهم عبد الله بن عمر أي قال للسائل : " إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم ، وأنَّهم برآء مني والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً ، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ".

الفئة الثانية : تقابل أهل هذا المذهب قومٌ أثبتوا القدر ، وبالغوا فيه حتى جعلوا الإنسان بمنزلة الحجر الذي يُدَهْدَه أو الغصن الذي يحرك حتى قال قائلهم :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وكلا الفريقين مبطلٌ ، وظالم ، وجاهل .

---

١) الحديث أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج٣ / ٦٢٤ برقم الحديث ٦٣٠٤ وأخرجه الإمام أبو داود في ج٤ / ٢٢٥ برقم الحديث ٤٦٩٩ وابن ماجة في ج١ / ٢٩ برقم ٧٧ والإمام أحمد في المسند في ج٥ / ١٨٢ برقم ٢١٢٩ و٢١٦٩٦ وابن حبان في صحيحه في ج٢ / ٥٠٥ برقم ٧٢٧ والبيهقي في السنن الكبرى في ج١٠ / ٢٠٤ برقم ٢٠٦٦٣ .

٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن ابي حازم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ρ قال : ((القدرية مجوس هذه الأمة ؛ إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلاتشهدوهم)) وعن عمر مولى غُفْرة عن رجلٍ من الأنصار عن حذيفة وهو ابن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ρ : ((لكل أمة مجوس ، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون :لاقدر من مات منهم فلاتشهدوا جنازته ، ومن مرض منهم فلاتعودوه ؛ وهم شيعة الدجال ، وحقٌّ على الله أن يلحقهم بالدجال " اهـ رواه أبو داود في السنن (٤٦٩٢) وأحمد في المسند (٥ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) وغيرهما .

والحق أنَّ الله عز وجل قدر مقادير العباد قبل أن يخلق السموت والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ، وأنَّ أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، وأنَّ العباد لايتجاوزوا ما قدر لهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ويجب أن نعلم أنَّ لله في عباده الحكمة البالغة ، وأنَّ الله سبحانه لايظلم أحداً من خلقه ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى جعل للعباد عقولاً ، وأفهاماً ، وأسماعاً ، وأبصاراً ، وألسنة ، وجوارح ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل إليهم الكتب ، ووعد بالجنة للمطيعين ، والنار للعاصين ، وأجرى ذلك على ألسنة رسله ، وأنزله في كتبه ، فمن كفر ، فلله الحجة عليه ، والله سبحانه وتعالى يقول : [إن تكفروا فإنَّ الله غني عنكم ولايرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم] [الزمر : ٧] والنبي ρ سأله عمر فقال : ((أرأيت ما نعمل فيه ؛ أمرٌ مبتدع أو مبتدأ أو أمرٌ قد فرغ منه ؟ قال : أمرٌ قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب ؛ فإنَّ كلاً ميسر ؛ أمَّا من كان من أهل السعادة فإنَّه يعمل للسعادة ، وأمَّا من كان من أهل الشقاوة فإنَّه يعمل للشقاء)) رواه أحمد [١] .

فالقدر سرٌّ من أسرار الله عز وجل يجب علينا أن نؤمن به ؛ قال سبحانه وتعالى : [إنَّا كل شيءٍ خلقناه بقدر] [القمر : ٤٩] وقال سبحانه وتعالى : [ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ في كتابٍ من قبل أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير] [الحديد : ٢٢] فيجب على كل مسلم أن يؤمن بقدر الله عز وجل ، وفي المسند ، وسنن أبي داود عن ابن الديلمي ، واسمه عبد الله بن فيروز ، ولفظ أبي داود كما قال ذلك صاحب فتح المجيد : « لو أنَّ الله عذَّب أهل سماواته ؛ وأهل أرضه ؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطئك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا ؛ لكنت من أهل النار ؛ قال : فأتيت عبد الله بن مسعود τ فقال مثل ذلك ؛ قال : ثمَّ أتيت حذيفة بن اليمان ، فقال مثل ذلك قال : ثمَّ أتيت زيد بن ثابت ؛ قال : فحدثني عن النبي ρ مثل ذلك » وأخرجه ابن ماجة " اهـ .

ثمَّ اعلم أنَّ القدر قدَّره الله : " قال الإمام أحمد لما سئل عن القدر ؛ قال : القدر قدره الرحمن

١)الحديث بهذااللفظ أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم إحياء التراث٥٤٥٧عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،وبنحوه ورد عنه في رقم ١٩٧و٥١١٨وورد بمثله عن ذي اللحية الكلابي برقم ١٦١٩٤ و١٦١٩٥ في مسند المدنيين ، وعن أبي بكر في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم ٢٠ وعن جابر بن عبد الله في مسند المكثرين من الصحابة برقم ١٣٧٠٢ بغير هذا اللفظ في ١٤١٩٠ وعن سراقة بن مالك في مسند المكثرين من الصحابة برقم ١٣٨٤٦ بنحو هذااللفظ وكلها بترقيم إحياء التراث ،وأورد نحوه أيضاًالإمام الترمذي في القدرباب ما جاء في الشقاء والسعادة وفي تفسيرالقرآن باب ومن سورة هود عن عمر وابن ماجة في المقدمة باب في القدر بغير هذا اللفظ عن سراقةτوقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم ٢١٣٥وابن ماجة برقم (٧٨) .

واستحسن هذا ابن عقيل من أحمد رحمه الله تعالى ، والمعنى : أنَّه لايمتنع عن قدرة الله شيء ، ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى ؛ فضلوا عن سواء السبيل ، وقد قال بعض السلف : ناظروهم بالعلم ؛ فإن أقروا به خصموا ، وإن جحدوه كفروا " اهـ .

والمهم أنَّ كلا الفريقين من أهل القدر : النافين ؛ وهم الذين يقال لهم القدرية النفاة ، والقدرية المجبرة ؛ وهم الذين زعموا أنَّ العبد مجبورٌ على الكفر أو على المعاصي ؛ كلهم مخطئون خطئاً فاحشاً ، والحق ما ذهب إليه سلف الأمة من الصحابة ، والتابعين ؛ وهو ما ورواه عمر بن الخطاب ، وغيره في حديث أركان الإيمان : « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » وما قرره عبد الله ابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ψ : « لو أنَّ الله عذَّب أهل سماواته ؛ وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم » قلت : معنى ذلك لعذبهم بحجة ، والله قد نفى عن نفسه الظلم فقال : [إنَّ الله لايظلم الناس شيئا ولكنَّ الناس أنفسهم يظلمون] [يونس : ٤٤] وقال سبحانه : [من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد] [فصلت : ٤٦] وقال تعالى :[ووجدوا ما عملوا

حاضراً ولايظلم ربك أحداً] [الكهف : ٤٩] فسِرْ أيها المسلم على هذا المبدأ ، واسأل الله أن يوفقك إلى الحق ، وأن يثبتك عليه حتى تلقاه ، وبالله التوفيق .



(٦٠) باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ρ قال الله تعالى : ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلوقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة)) أخرجاه .

ولهما عن عائشة رضي الله عنها : أنَّ رسول الله ρ قال : ((أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يظاهئون بخلق الله)) .

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنها : سمعت رسول الله ρ يقول : ((كل مصورٍ في النار يجعل له بكل صورةٍ صورها نفسٌ يعذب بها في جهنَّم)) ولهما عنه مرفوعاً : ((من صور صورةً في الدنيا كلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)) .

ولمسلم : عن أبي الهياج قال : قال لي علي τ : ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ρ؟ ألاَّ تدع صورةً إلاَّ طمستها ، ولاقبراً مشرفاً إلاَّ سويته)) .

الشرح : **باب ما جاء في المصورين** أي من النهي ، والزجر ، والإخبار بما يلقونه من العذاب في البرزخ ، ويوم القيامة .

عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ρ قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلوقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » أخرجاه .

في هذا الحديث يخبر النبي ρ بما بلغه عن ربه بقوله قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » أولاً : أنَّ هذا الحديث حديث قدسي ؛ فإنَّ هذا وأمثاله مما يبلغنا به النبيρ عن ربه بأنَّه كذا ؛ فإنَّ هذا الحديث وأمثاله يقال له حديثٌ قدسيٌّ .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب اللباس باب نقض الصور ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب اللباس باب ما وطئ من التصاوير ، والإمام مسلم في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع التصاوير ، ومسلم في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
٤) أخرجه البخاري في كتاب اللباس باب من لعن المصور ، ومسلم في الموضع السابق .
٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر .

ثانياً : يؤخذ من قوله : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » الاستفهام هنا استفهام إنكاري أي لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ؛ أي كخلق الله سبحانه وتعالى .

ثالثاً : يؤخذ من هذا تحريم التصوير وبشاعته ؛ حيث أنَّه مضاهاةٌ لخلق الله تعالى ، وذلك فيه من التشبه برب العزة ما يجعل هذا الذنب من أشد الذنوب .

رابعاً : يؤخذ من قوله : « فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » المراد بالخلق هنا إيجاد ذرة فيها روح أو حبة أو شعيرة تؤكل ، ويجد فيها الآكل ما يجد في الحبة الحقيقية والشعيرة الحقيقية ؛ من الغذاء أو أنَّ التصوير هو جعل صورة مشابهةٍ لصورة ما خلق الله عز وجل ، ولكن لايقدرون أن يوجدوا فيها ماهية يكون لها نفعٌ كماهية الذرة الحقيقية ؛ أو الحبة الحقيقية ؛ وإذا نظرنا في عناقيد العنب المصورة أو عناقيد الموز ؛ نجد أنَّ هؤلاء الذين صوروا تلك الأشياء لايستطيعون ، ولايستطيع أمثالهم بالملايين ، والمليارات ؛ ولو اجتمعت حكماء الجن والإنس ، ومفكروهم ؛ لما استطاعوا أن يوجدوا في عنقود العنب المصور ماهية العنب الحقيقي مهما كانت قدراتهم ؛ فإنَّهم لايستطيعون ذلك ؛ بل لايستطيعون أن يوجدوا في حبة واحدة الشيء الذي يوجده الله في ماهية العنب الحقيقي أو الموز الحقيقي ، فما هي إلاَّ الصورة يضاهئون بها ، ولذلك فإنَّ الله عز وجل يعاقب من فعل ذلك بتكليفه ؛ أي بتكليف المصور أن يوجد في ذات الروح روحاً ، وذات الماهية

النافعة ؛ ماهية نافعة ، والله سبحانه وتعالى يقول : [يا أيها الذين آمنوا ضرب مثلٌ فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له] [الحج : ٧٣] فهو الخلاق العظيم ، والقادر على كل ما يريده سبحانه وتعالى .

أما حديث عائشة الذي ذكره المؤلف بقوله : ولهما عن عائشة رضي الله عنها : أنَّ رسول الله ρ قال : ((أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يظاهئون بخلق الله)) .

المضاهاة هي المشاكلة ، والمشابهة ، فالله سبحانه وتعالى يخلق خلقاً حقيقياً ؛ وهؤلاء يضاهئون بخلق الله ، ويجعلون شيئاً يشابهون به خلق الله سبحانه وتعالى ؛ فلكونهم يفعلون ذلك ؛ تشبهاً بالله الذي يخلق ؛ فإنَّ نوع هذه المشابهة موجبةٌ لغضب الله عليهم ؛ فلذلك كانوا أشد الناس عذاباً يوم القيامة ؛ لكونهم يضاهئون بخلق الله ؛ أي يجعلون للشيء شكلاً كشكل الخلق ؛ كما قلنا في شرح الحديث السابق ؛ لكنهم لايوجِدُون فيه الحقيقة ؛ التي خلق الله الشيء لها ؛ سواءً كان مأكولاً أو غير مأكول ، فالمأكول يوجد فيه لذةٌ ، ونفعٌ يعود على العبد في صحته ، وعقله ، وسمعه

وبصره ، وقوته ، فلما حصلت منهم المشاكلة لخلق الله عز وجل عوقبوا أشد العقوبة ، وعذبوا أشد العذاب على كونهم يضاهئون بخلق الله ، ويجعلون له شكلاً إدعاءً للمشاركة في الخالقية التي اختص الله بها .

وكذلك ما ورد في حديث ابن عباس سمعت رسول الله ρ يقول : ((كل مصورٍ في النار يجعل له بكل صورةٍ صورها نفسٌ يعذب بها في جهنَّم)) .

فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله ؛ من إنسانٍ أو بهيمةً أو شيءٍ من الأطعمة فإنَّه يعتبر قد ضاها الله عز وجل ؛ لهذا يجعل له بكل صورةٍ صورها نفساً يعذب بها .

ومثل ذلك في الحديث الرابع : ولهما عنه مرفوعاً : ((من صور صورةً في الدنيا كلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)) .

كل هذه الأحاديث دالة على عقوبة من ضاها خلق الله ؛ وهو يعتبر نوعاً من الشرك ؛ قال في فتح المجيد : " فإذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى ؛ من الحيوان ، فكيف بحال من سوَّى المخلوق برب العالمين ، وشبهه بخلقه ، وصرف له شيئاً من العبادة ؛ التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لايستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه ؟ " اهـ .

قلت ويشهد لهذا قول الله تعالى : [الحمد لله الذي خلق السماوت والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون] [أول سورة الأنعام] أي يعدلون به غيره ، ويسوون الخلق به فيجعلون لهم نصيباً من العبادة يشركونهم فيها مع الله .

ولذلك كان المشرك أشد عقوبةً ؛ لأنَّه جعل شريكاً مع الله ، وهذا هو نهاية ما يكون في الذنوب ، فلذلك أوجب الله إحباط العمل ، والخلود في النار ، وحرمان الجنة ؛ فالمشرك لاتغفر له سيئة ، ولاتقبل منه حسنة : [ومن يشرك بالله فكأنَّما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكانٍ سحيق] [الحج : ٣١] نعوذ بالله من ذلك .

ثمَّ الحديث الأخير :عن أبي الهياج قال : قال لي علي τ : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ρ؟ ألاّ تدع صورةً إلاّ طمستها ، ولاقبراً مشرفاً إلاّ سويته » .

قوله : « ولاصورة إلاَّ طمستها » ومعنى طمستها أزلتها ، ومن هذا يؤخذ : وجوب طمس الصور ؛ لأنَّ فيها مضاهاةً لخلق الله ؛ لذلك أمر النبي ρ بطمسها ؛ وهو إزالة معالمها .

كذلك قوله : « ولاقبراً مشرفاً إلاَّ سويته » في هذه الفقرة النهي عن رفع القبور ؛ لأنَّ في رفعها ذريعةً إلى عبادتها ، فلذلك نهي عن رفعها ، ونهي عن البناء عليها ، ونهي عن تشييدها ونهي عن إسراجها ؛ كل ذلك محافظةً على التوحيد ، وإمعاناً في إزالة أسباب الشرك ؛ اللهمَّ نسألك بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العليا ؛ أن تجعلنا من المؤمنين بك الموحدين لك ؛ المخلصين لجلالك ؛ القائمين بحق العبودية لربوبيتك ، وأن تصرف عنَّا كل سبب من أسباب الشرك وذريعة من ذرائعه ، وعملٍ من أعماله ؛ إنَّك القادر على ذلك ، وبالله التوفيق .

ملحوظة :

ويؤخذ مما تقدم تحريم التصوير بجميع أنواعه ؛ سواءً كان نقشاً باليد أو تصويراً بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير ، فكله حرام ، ولايستثنى من ذلك حبس الظل كما قاله بعض الفضلاء لأنَّ الأحاديث في ذلك عامة ؛ فهي تعمُّ كلَّ أنواع التصوير ، وأشدُّ التصوير ما كان فيه حركة وكلام ، ودونه ما كان فيه الصورة بدون حركة ، ولاكلام ، فكلها متوعدٌ فاعلها بالعذاب الذي ورد في النصوص .

وهل يجوز تصوير الشجر ، والجبال ، وما لاروح فيه ؟ هذا محل نظر ، فمن أهل العلم من أجازه بناءاً على قول ابن عباس رضي الله عنهما لذلك المصور سمعت رسول الله ρ يقول : « كل مصور

في النار يجعل له بكل صورٍ صورها نفساً فتعذبه في جهنَّم ، فإن كنت لابدَّ فاعلاً ، فاصنع الشجر ، وما لانفس له » ومن أهل العلم من منع ذلك ، واستدل بالحديث الذي سبق ذكره وهو حديثٌ متفقٌ عليه : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » الحديث فقالوا : أنَّ الحبة ، والشعيرة لاروح فيها ، وقد نهى النبي ρ عن تصويرها ، وجعله مضاهاةً لخلق الله تعالى .

وأمَّا فعل التصوير فلايجوز ، وأمَّا حمل الصورة ، وطلبها ، وأخذها إذا اضطر إليها ؛ فإنَّ ذلك يجوز للضرورة ؛ التي يلجؤ إليها النظام كصورة البطاقة ، والرخصة ، والجواز ، وما إلى ذلك فيعفى عمَّا كان كذلك للضرورة الملحة في أخذه في حقِّ الآخذين ، وبالله التوفيق .

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب ، وبنحوه عند البخاري في كتاب اللباس وقول الله تعالى : [قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده] وقال النبي ﷺ : " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة وقال بن عباس كل ما شئت والبس واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة " باب عذاب المصورين يوم القيامة .

(٦١) باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى : [واحفظوا أيمانكم] [المائدة : ٨٩] .

وعن أبي هريرة τ سمعت رسول الله ρ يقول : « الحلف منفقةٌ للسلعة ؛ ممحقةٌ للكسب » أخرجاه .

وعن سلمان الفارسيτ أنَّ رسول الله ρ قال : « ثلاثةٌ لايكلمهم الله ؛ ولايزكيهم ولهم عذابٌ أليم : أشيمطٌ زانٍ ، وعائلٌ مستكبر ، ورجلٌ جعل الله بضاعته ؛ لايشتري إلاَّ بيمينه ولايبيع إلاَّ بيمينه » رواه الطبراني بسندٍ صحيح .

وفي الصحيح عن عمران بن حصين τ قال : قال رسول الله ρ : « خير أمتي قرني ، ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم – قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً – ثمَّ إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولايستشهدون ، ويخونون ولايؤتمنون وينذرون ولايوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

وفيه عن ابن مسعود τ أنَّ النبي ρ قال[٣] : « خير الناس قرني ، ثمَّ الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » قال إبراهيم : " كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ، ونحن صغار " .[٤]

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب البيوع باب يمحق الله الربا ،وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب النهي عن الحلف في البيع .

٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في ج٦ / ٢٤٦ برقم ٦١١١ وفي المعجم الصغير في ج٢ / ٨٢ برقم الحديث ٨٢١ وفي المعجم الأوسط في ج٥ / ٣٦٧ برقم الحديث ٥٥٧٧ إلاَّ أنَّه جاء بلفظ : " أشمطٌ زانٍ " .

٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب لايشهد على شهادة جور ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم .

٤) أخرجه أيضاً الإمام البخاري في كتاب الشهادات باب لايشهد على شهادة جور ، و في كتاب فضائل الصحابة برقم الحديث ٣٦٥١ وفي كتاب الرقاق برقم ٦٤٢٩ وفي كتاب الأيمان برقم ٦٦٥٨ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم .

الشرح : الكلام على الباب ، وعلاقته بكتاب التوحيد ؛ أقول علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد أنَّه لاينبغي للمسلم كثرة الحلف ؛ حتى ولو كان صادقاً ؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى امتهان اسم الله تعالى ، فربما أنَّه إذا أكثر الحلف يحنث في بعض أيمانه أو كثيراً منها ، فلايكفِّر ، ويكون ذلك من امتهان اسم الله تعالى ، وعدم التعظيم لجلاله .

أمَّا قوله تعالى : [واحفظوا أيمانكم] فإنَّ معناه لاتكثروا من اليمين ، فيؤدي ذلك منكم إلى الحِنْث في الأيمان ، وعدم تكفيرها ، ويكون ذلك مؤدياً إلى الإستخفاف بالأيمان ، وذلك ينافي كمال التوحيد .

أمَّا حديث أبي هريرة τ ففيه أنَّ الحلف على الكذب مذموم ؛ العلة يكون فيه منفقة للسلعة لكنَّه يكون ممَحَقة للكسب ؛ لأنَّ الحالف أنفق سلعته بيمين كاذبة ، وكان كسبه ممحوق من أجل ذلك ، وفيه كراهة كثرة الأيمان ، وبالأخص في البيع والشراء .

أمَّا حديث سلمان τ ففيه الذم لثلاثة ، وأنَّهم : « لـا يكلمهم الله » أي يوم القيامة « ولـا يزكيهم » أي لايطهرهم من الذنوب « ولهم عذابٌ أليم » أليم بمعنى مؤلم « أشيمط زانٍ » المراد به الرجل الطاعن في السن ؛ وهو مع ذلك يقارف جريمة الزنا « وعائلٌ مستكبر » المراد بالعائل الفقير وهو مع ذلك مستكبر ؛ أي مع فقره فهو مستكبر ومتعالٍ على الناس ، وكان من حقِّه أن يتواضع « ورجلٌ جعل الله بضاعته لايشتري إلاَّ بيمينه ولايبيع إلاَّ بيمينه » فيه دليلٌ على فضاعة جرم هؤلاء الثلاثة ، فالأشيمط الذي قد وضح الشيب في رأسه أكثر ؛ وهو مع ذلك يستخف بجريمة الزنا ، ويواقعها ؛ هذا دليلٌ على خسة النفس ، ودناءتها ، واستخفافها بالمعاصي والثالث : « من جعل الله بضاعته » فكأنَّه جعل اليمين سلعة لايبيع ، ولايشتري إلاَّ بيمينه ، وهذا استخفافٌ بعظمة الله ، وقلة احترامه له ، ومن لايكلمه

الله ولاينظر إليه ، ولايزكيه ؛ فإنَّه سيناله العذاب الأليم ؛ الذي أعدَّه الله لمن يستخف بمعاصيه ويقارفها غير مبالٍ بما يترتب على ذلك من غضب الله ، وأليم عقابه .

أمَّا حديث عمران بن حصين ، وحديث ابن مسعود رضي الله عنهما في خير القرون ، وكلاهما في الصحيحين ؛ فقد ذكر في حديث عمران بن حصين : ثلاثة قرون ، وشك في الرابع ، وفي

حديث ابن مسعود ذكر أربعة قرون حيث قال النبي ρ : ((خير الناس قرني ، ثمَّ الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم)) والقرن يطلق تارةً ويراد به مائة سنة ، ويطلق تارةً أخرى ويراد به الجماعة ؛ الذين يشتركون في زمن ، وحمله على الجماعة الذين يشتركون في زمن لعلَّه هو الأولى ، وإذا قلنا بهذا ؛ فإنَّ الثلاثة القرون قد انقضت بمائتين وعشرة ؛ لأنَّ النبي ρ قال : ((أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك))[1] فإذا كان كل قرنٍ له سبعون سنة ؛ فإنَّ القرن الثالث ينتهي عند المائتين وعشر سنين ، وبعد المائتين وعشر حدث في الأمة ما حدث ، فقد كان الولاة يقتلون الزنادقة ؛ والذين يخرجون على الأمة الإسلامية بالبدع ؛ فقد ضحى خالد القسري بالجعد بن درهم ، وهكذا من بعده من الولاة ؛ قتلوا كثيراً من المبتدعة ولما تولى المأمون ، وخدع بقبول آراء المعتزلة ، وحمل الناس على القول بخلق القرآن ؛ تغيرت الحال وصارت الأمة من ضعف إلى ضعف ، وجاء تحقيق قول النبي ρ : ((فإنَّه لايأتي عليكم زمانٌ إلاَّ الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم))[2] فالنقص في التزام عموم أمَّة محمد ρ بالدين حصل كثيراً بعد القرون الثلاثة ، ولهذا جاء في حديث عمران بن حصين ((ثمَّ إنَّ بعدكم قومٌ يشهدون ولايستشهدون ، ويخونون ولايؤتمنون ، وينذرون ولايوفون ، ويظهر فيهم السمن)) .

وفي حديث ابن مسعود τ : ((ثمَّ يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته)) وكلاهما دل على تغير الأنفس ، وقلة اصطباغها بالدين ؛ بحيث أنَّ ذلك يضعف في نفوسهم ، وهذا ما

---

[1]) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه باب ذكر الأخبار عن وصف العدد في ج٧ / ٢٤٦ رقم ٢٩٨٠ وفي المستدرك على الصحيحين برقم الحديث ٣٥٩٨ في ج٢ / ٤٦٣ وأخرجه الترمذي في باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين برقم الحديث ٢٣ في ج٤ / ٥٦٦ وفي ج٥ / ٥٥٣ باب في دعاء النبي ﷺ ، وأخرجه ابن ماجة في باب الأمل والأجل في ج٢ / ١٤١٥ برقم الحديث ٤٢٣٦ ، وأخرج في سنن البيهقي باب من بلغ سنُّه ستين سنة فقد أعذر الله إليه برقم الحديث ٦٣١٤ في ج٣ / ٣٧٠ ، وفي مسند أبي يعلى في ج١٠ / ٣٩٠ برقم الحديث ٥٩٩٠ ، وفي المعجم الأوسط في ج٦ / ٨٥ باب من اسمه محمد ، وفي مسند الشهاب في ج١ / ١٧٢ برقم الحديث ٢٥٠ وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١ / ٢٤٣ برقم الحديث ١٠٧٣ وأما رواية : " معترك المنايا بين الستين إلى السبعين " فقد أخرجها أبو يعلى في مسنده في ج١١ / ٤٢٢ برقم الحديث ٦٥٤٣ والحديث بروايتيه رواها الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه τ .

[2]) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الفتن باب لايأتي زمانٌ إلاَّ الذي بعده شرٌّ منه بلفظ : " عن الزبير بن عدي قال : اتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال : (اصبروا ؛ فإنَّه لايأتي زمانٌ إلاَّ الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم ρ " اهـ .

يشاهد في الكثرة الكاثرة ؛ من انتشار الخيانات ، وضعف الأمانات ، وقلة الالتزام بالأوامر الشرعية ؛ وما ذلك إلاَّ لضعف الإيمان في النفوس ، والله تعالى يقول :[إنَّ الله لايغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم] [الرعد : ١١] فينبغي لك يا عبد الله أن تحرص على المتابعة ، والامتثال لأوامر الله .

قوله : ((قومٌ يشهدون ولايستشهدون)) لاستخفافهم بأمر الشارع ، وعدم تحليهم بالصدق بل قد جعلت الشهادة مرتبطة بالدفع عن القرابة ، والأصدقاء ؛ فإن كانت عليهم فإنَّهم يمنعون أداءها ، وكم رأينا من هذا القبيل ؛ نسأل الله السلامة ، والتوفيق .

(٦٣) باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله

وقول الله تعالى : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إنَّ الله يعلم ما تفعلون] [النحل : ٩١] .

وعن بريدة τ قال : « كان رسول الله ρ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه[1] في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا ؛ فقال : اغزوا بسم الله ؛ في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ؛ اغزوا ، ولاتغلُّوا ، ولاتغذروا ، ولاتمثلوا ، ولاتقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوَّك من المشركين ؛ فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – فأيتهنَّ ما أجابوك ، فاقبل منهم ، وكفَّ عنهم ، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام ؛ فإن أجابوك فاقبل منهم ، ثمَّ ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم : أنَّهم إن فعلوا ذلك ؛ فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم : أنَّهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولايكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلاَّ أن يجاهدوا مع المسلمين ؛ فإن هم أبوا ، فاسألهم الجزية ؛ فإن هم أجابوك ، فاقبل منهم ، وكفَّ عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله ، وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصنٍ ، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ؛ فإنَّكم أن تخفروا ذممكم ، وذمة أصحابكم ؛ أهون من أن تخفروا ذمة الله ، وذمة نبيه ؛ وإذا حاصرت أهل حصنٍ ؛ فأرادوك[2] أن تنزلهم على حكم الله فلاتنزلهم ، ولكن أنزلهم على حكمك فإنَّك لاتدري : أتصيب فيهم حكم الله أم لا » رواه مسلم .



[1]) وفي رواية أبي داود في سننه في ج٣ / ٣٧ برقم ٢٦١٢ والبيهقي في السنن الكبرى في ج٩ / ٩٧ برقم ١٧٩٦٥ و١٨٤١١ : " أوصاه بتقوى[3] الله ، وبمن معه من المسلمين " .

[2]) وفي رواية مسلم في كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها : " فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله =

الشرح : فقوله : باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله أي من النهي عن إخفار ذمة الله وذمة نبيه ، وأن نحتاط لذلك .

وقول الله تعالى : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إنَّ الله يعلم ما تفعلون] قال العماد ابن كثير رحمه الله : " وهذا مما يأمر الله تعالى به ؛ وهو الوفاء بالعهود ، والمواثيق ، والمحافظة على الأيمان المؤكدة ، ولهذا قال : [ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها] ولاتعارض بين هذا ، وقوله تعالى : [ولاتجعلوا الله عرضةً لأيمانكم] وبين قوله : [ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم] أي لاتتركوها بلا تكفير " اهـ وأقول : إنَّ هذه الآيات لايعارض بعضها بعضاً ، فقد أمر الله عز وجل بالوفاء بالعقود ، والعهود ، فقال سبحانه وتعالى : [يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود] وقال جل من قائل : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها] أي أوفوا بما عاقدتم عليه الناس كالعقود التي أمر الله بالوفاء بها ، وأوفوا بما عاهدتم عليه ؛ سواء كان العهد لله أو مع المخلوقين ، وأوفوا بأيمانكم المؤكدة ؛ التي عقدتم قلوبكم عليها ، وأقلوا من الحلف بالله عز وجل حتى لايكون ذلك امتهاناً منكم لاسمه ، فإن حلفتم على شيءٍ بيمين لم تعقدوها ؛ بل جرت على ألسنتكم ؛ فإنَّه يجب عليكم أن تكفروه ؛ كما قال تعالى : [لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين] إلى أن قال : [ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم] .

وقد تبين من هذا أولاً : أنَّ لغو اليمين لايؤاخذ الله به ، ولم يشرع فيه الكفارة ؛ وهو ما جرى على اللسان من غير عقد للقلب عليه .

ثانياً : اليمين المعقود عليها في المستقبل ؛ وذلك في قوله تعالى : [ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان] فهذه يلزم الوفاء بها ؛ إذا كان المحلوف عليه طاعة ؛ أو مباحاً وكان في المستقبل ؛ أي في الأمور الآتية :

= وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل ذمتك وذمة أصحابك " .

٣) وفي رواية مسلم السابقة : " فلاتنزلهم على حكم الله " .

٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ، وأخرجه أيضاً الترمذي برقم ١٦١٧ وابن ماجة برقم ٢٨٥٨ والبيهقي في السنن الكبرى برقم ٨٧٦٥ و٨٧٨٢ .

١- إذا عقدت اليمين على فعل شيء معصيةً لله ؛ فإنَّه لايجب الوفاء بهذا اليمين ، ولا كفارةً فيها على القول الأصح .

٢- إذا كانت اليمين معقودةً على فعل شيء في المستقبل ؛ ولم يتمكن العاقد من فعله ؛ وهو من الطاعة أو المباح ، فهذه التي تلزم فيها الكفارة .

ثالثاً : من لزمته كفارة في يمين ، ولم يكفرها فهو آثم ، وفعله معصية من المعاصي .

رابعاً : إذا حلف على شيءٍ مما مضى وهو كاذبٌ في يمينه ، فهذه اليمين لاتشرع فيها الكفارة والحالف مستحقٌّ للعقوبة فيها ؛ وهي التي تسمَّى اليمين الغموس .

خامساً : اختلف أهل العلم في العهد إذا كان عازماً فيه على الوفاء ولم يتمكن ؛ فهل تلزمه كفارة في ذلك أم لا ؟

سادساً : يؤخذ من هذا أنَّ الغدر بالعهود من الأمور المحرمة أشد التحريم .

وعن بريدة τ قال : « كان رسول الله ρ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا ؛ فقال : اغزوا بسم الله ...» الحديث .

يؤخذ من هذا الحديث مسائل :

الأولى : أنَّه مما يجب على الإمام أن يوصي به أمير الجيش أو أمير السرية ، ومن معه بتقوى الله .

ثانياً : يوصيه أيضاً بحسن التصرف ، والرفق بمن تحت يده ؛ لقوله : « أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا » .

ثالثاً : يوصيه ، ومن معه بوصية النبي ρ : « اغزوا بسم الله في سبيل الله » .

رابعاً : في قوله ρ : « اغزوا بسم الله في سبيل الله » أمرٌ بإخلاص النية ، وأن تكون النية أي نية القتال ؛ أن يكون ذلك في سبيل الله ؛ لا لغرضٍ من أغراض الدنيا ؛ كامتلاك الأراضي ؛ أو غلب القوم الذين يغزونهم ؛ أو الحصول على الغنائم ؛ كل ذلك لايجوز أن يكون من مقاصد المجاهدين .

خامساً : في قوله ρ : « قاتلوا من كفر بالله » أمرٌ بقتال الكفار ؛ سواءً كانوا مشركين أو ملحدين أو أهل كتاب ، وكلٌّ منهم قد ورد فيه ما يدل على قتالهم حتى يذعنوا للحق قال تعالى : [وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة] [التوبة : ٣٦] وقوله تعالى : [قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين

أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون] [التوبة : ٢٩] .

سادساً : يؤخذ من قوله ρ : « اغزوا ، ولاتغلُّوا » أمر بالغزو ، ونهيٌ عن الغلول ؛ وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها .

سابعاً : قوله ρ : « ولاتغدروا » نهي عن الغدر ، والغدر هو الخيانة ؛ وهو الانطواء على شيءٍ من الخيانة التي لاتجوز .

ثامناً : أنَّ من الغدر ما يفعله أصحاب العمليات الإنتحارية ؛ وهو أن يأتي الشخص بسيارةٍ مفخخة ، ويفجرها في نفسه ، وفي قومٍ غافلين ليس عندهم علم عن القتال ، وأنَّ هذه العمليات من أعظم الغدر ؛ ومن وسائل الإرهاب ، وأنَّها لاتجوز ، ومن أجازها ممن يفتون هؤلاء فإنَّه قد ارتكب خطئاً عظيماً ، وإثماً كبيراً .

تاسعاً : يؤخذ من قوله : « ولاتمثلوا » التمثيل هو قطع الأطراف والتشويه لمن قتل وهذا لايجوز وقد اختلف أهل العلم فيمن مثَّل هو في قتله هل يمثل به في القصاص أم أنَّ النهي عن التمثيل كان بعد قتل المحاربين ، وسمل أعينهم ؟ فإن كان كذلك فإنَّ التمثيل في القصاص يكون منسوخاً .

عاشراً : يؤخذ من قوله ρ : « ولاتقتلوا وليداً » وفي رواية : « ولا امرأةً » وقد نهى عن قتل الشيوخ الكبار الذين لايقاتلون ، والرهبان المنقطعين للعبادة ، وأنَّ العمليات الانتحارية تستهدف النساء ، والأطفال ؛ ولاتبقي أحداً ؛ فهي منكرٌ من المناكر ؛ التي يجب إنكارها .

الحادية عشر : قوله ρ : « وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهنَّ ما أجابوك ، فاقبل منهم ، وكفَّ عنهم » وقد فصل هذه الثلاث فيما يأتي :

وهي أولاً : الدعوة إلى الإسلام فإن أجابوا إلى ذلك وجب على قائد الجيش القبول منهم والكف عن قتالهم .

ثانياً : دعوتهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وهذه قد انتهت في زمن الفتح حينما استولى صلوات الله وسلامه عليه على مكة ، وقال : « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونية »[1] .

ثالثاً : فإن هم أبوا فيسألهم الجزية أي إذا أبوا أن يقبلوا الإسلام فاطلب منهم الجزية فإنَّ هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنه » أي إذا أعطوا الجزية : « فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

الثانية عشر : قوله ρ : « إذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد والسير وفي باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية ، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير .

فلاتجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك ، وذمة أصحابك ، فإنَّكم أن تخفروا ذممكم ، وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله ، وذمة نبيه » .

الثالثة عشر : قوله ρ : « وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك على أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك فإنَّك لاتدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا ؟ »
.

الرابعة عشر : ويؤخذ من المسألة الأخيرة أيضاً كما قال المصنف ؛ الفرق بين حكم الله ، وحكم العلماء ومعنى ذلك أنَّ حكم العلماء اجتهادٌ قد يصيب حكم الله أو لايصيب ، وبالله التوفيق .



(٦٣) باب ما جاء في حكم الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله τ قال : قال رسول الله ρ : ((قال رجلٌ : والله لايغفر الله لفلان فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألّى عليَّ أن لا أغفر لفلان ؟ إني غفرت له وأحبطت عملك)) رواه مسلم .

وفي حديث[1] أبي هريرة τ : أنَّ القائل رجلٌ عابد ؛ قال أبو هريرة τ : تكلَّم بكلمة[2] أوبقت دنياه وآخرته .

الشرح : الاقسام على الله ربما يكون تجرؤٌ على حقه سبحانه وتعالى ، وحينئذٍ يكون فيه تجرؤٌ على مقام الربوبية ؛ إذ أنَّ الله سبحانه وتعالى لايستطيع أحدٌ أن يفرض عليه شيئاً ؛ لأنَّه هو رب كل شيء ، ومالكه .

فمن حلف أنَّ الله لايغفر لفلان ؛ فإنَّه قد تجرأ على مقام الألوهية ، وظنَّ أنَّ الأمر في ذلك سهلٌ ، وكأنَّه أراد أن يفرض على مقام الربوبية ما يشاء ، فلذلك غضب الله عليه ، فأحبط عمله وغفر لذلك الفاسق ، فالله سبحانه وتعالى لايتعاظمه ذنب ، ولاينبغي للعبد أن يتجرأ على مقام الألوهية بمثل هذا التألي .

فمن هنا جاءت مناسبة لكتاب التوحيد ؛ وقد يأتي الاقسام مبني على الرجاء ، ومن ذلك حديث محمد بن عبد الله الأنصاري ؛ قال : حدثني حميداً أنَّ أنساً حدثهم أنَّ الرُّبَيِّع ؛ وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية ، فطلبوا الأرش ، وطلبوا العفو ، فأبوا ، فأتوا النبي ρ فأمرهم بالقصاص ، فقال : أنس بن النضر : أتكسر ثنية الربيِّع يا رسول الله ؟!! لا ؛ والذي بعثك بالحق لاتكسر ثنيتها ، فقال يا أنس : كتاب الله القصاص ، فرضي القوم ، وعفوا ، فقال النبي ρ : إنَّ من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه ؛ زاد الفزاري عن حميد عن أنس : فرضي القوم ، وقبلوا الأرش ›› . (٣)

١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب البر والصلة باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله .

٢) الأثر أورده الإمام ابن حبان في صحيحه في ج١٣ / ٢٠ برقم الحديث ٥٧١٢ وأخرجه الإمام أحمد في المسند في ج٢ / ٣٢٣ برقم ٨٢٧٥ والإمام أبو داود في سننه في ج٤ / ٢٧٥ برقم ٤٩٠١ وورد في كتاب حسن الظن بالله لعبد الله بن محمد أبو بكر القرشي في ج١ / ٥٤ حديث رقم ٤٥ .

٣) الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الصلح باب الصلح في الدية ، أخرجه بنجوه في كتاب الجهاد والسير باب قول الله تعالى :[من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ..] وفي كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى] وفي باب قول الله تعالى :[والجروح قصاص] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها .

وقد كان من السلف من يطلب منه أن يقسم على الله أن يمنح المجاهدين رقاب العدو ، فيحقق الله لهم ما أرادوا ؛ إمَّا أن يكون ذلك بدعاء : " اللهم امنحنا رقابهم " وإمَّا أن يكون بطريق الإقسام ، والفارق بين الأمرين :

الأمر الأول : أنَّ الاقسام على الله ألاَّ يفعل كذا على سبيل التحقيق لايجوز ؛ لكونه فيه استخفاف بمقام الألوهية .

والأمر الثاني المباح : إذا كان المقسم راجياً من الله أن يحقق له ما يريد ، وكان من أهل القربة إلى الله سبحانه وتعالى .

فهذا الحديث حديث جندب بن عبد الله τ صحَّ من حديث أبي هريرة τ بأطول من هذا كما نقله صاحب فتح المجيد من شرح السنة للبغوي ؛ قال : " وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار قال

: دخلت مسجد المدينة ، فناداني شيخ ، فقال : يا يماميُّ تعال ، وما أعرفه ؛ قال : لاتقولنَّ لرجلٍ : والله لايغفر الله لك أبداً ، ولايدخلك الجنة ؛ قلت : ومن أنت يرحمك الله ؟ قال أبو هريرة τ قال : فقلت : إنَّ هذه كلمة يقولها أحدنا لأهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه ؛ قال : فإني سمعت رسول الله ρ يقول : إنَّ رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين ؛ أحدهما مجتهدٌ في العبادة ، والآخر كأنَّه يقول مذنب ، فجعل يقول : أقْصِرْ عما أنت فيه ؟ قال : فيقول : خلني وربي ؛ حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه ، فقال : أقصر ، فقال : خلني وربي ؛ أبعثت عليَّ رقيباً ؟ فقال : والله لايغفر الله لك ، ولايدخلك الجنة أبداً ؛ قال : فبعث الله إليهما ملكاً ، فقبض أرواحهما ، فاجتمعا عنده ، فقال للمذنب : ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر : أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي ؟ قال : لا يارب ؛ قال : اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة τ : والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته » " وعزاه إلى أبي دواد في سننه مختصراً .

ويؤخذ من هذا : –

١– أنَّه لايجوز الإقسام على الله بأنَّه لايغفر لفلان ؛ إذ أنَّ الله قد أخبر أنَّ رحمته سبقت غضبه كما جاء في الحديث القدسي : « إنَّ الله لَّما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إنَّ رحمتي سبقت غضبي »[١] .

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري بهذا اللفظ في كتاب التوحيد باب : " وكان عرشه على الماء " من حديث أبي هريرة τ وفي باب قول الله تعالى : [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين] وفي باب قول الله تعالى : [بل هو قرآنٌ مجيد * في لوحٍ محفوظ] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله وأنَّها سبقت غضبه من حديث أبي هريرة τ وجاء الحديث أيضاً بلفظ : " إنَّ رحمتي تغلب غضبي " ووردت عند البخاري في كتاب بدء الخلق برقم [illegible] وفي كتاب التوحيد برقم [illegible] ومسلم في كتاب التوبة برقم ٢٧٥٠ و٢٧٥١ .

٢– يؤخذ منه أنَّه لايجوز لنا أن نحكم على أحدٍ بجنة ، ولا نار من خلال الأعمال ، ولكن نقول من مات على الكفر دخل النار ، ومن مات على الشرك الأكبر أو النفاق الأكبر دخل النار ومن مات على فسقٍ ، وعنده أصل الإسلام والتوحيد ؛ فهو بين الرجاء والخوف ؛ وهو تحت مشيئة الله ؛ إن شاء غفر له ، وأدخله الجنة بلا عذاب ، وإن شاء عذبه بقدر جنايته ، ثم أدخله الجنة .

٣– يؤخذ منه أنَّه لايجوز الاعتراض على الله في ملكه .

٤– أنَّ الجنة والنار كلاً منهما أدنى إلى أحدنا من شراك نعله ؛ أسأل الله أن يختم لنا بخير .

٥– يؤخذ منه أنَّه لاينبغي للعاقل أن يستخف بالكلام ؛ فربما أنَّ كلمة أوبقته ، ودخل بسببها النار وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ρ أنَّه قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب »[١] نسأل الله أن يختم لنا بخير ، وبالله التوفيق .

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد باب يتكلم بالكلمة يهوي بها في النار ، وفي نسخة باب حفظ اللسان من حديث أبي هريرة τ .

(٦٤) باب لايستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم τ قال : « جاء أعرابي إلى النبيρ فقال : يا رسول الله : نُهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فإنَّا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله فقال النبي ρ : سبحان الله ؛ سبحان الله ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثمَّ قال : ويحك أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك إنَّه لايستشفع بالله على أحد .....» وذكر الحديث ، رواه أبو داود .

الشرح : تمام الحديث : « ويحك إنه لايستشفع بالله على أحدٍ من خلقه ؛ شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدري ما الله ؟ إنَّ عرشه على سماواته لهكذا ، وقال بأصابعه مثل القبة عليه ، وإنَّه ليئط به أطيط الرحل بالراكب » قال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " قال الحافظ الذهبي : رواه أبو داود بإسنادٍ حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار قوله : « ويحك إنَّه لايستشفع بالله على أحد من خلقه » فإنَّه تعالى رب كل شيء ، ومليكه ، والخير كله

بيده ؛ لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، ولا راد لما قضى ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ، ولا في الأرض ؛ إنَّه كان عليماً قديرا ؛ إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، والخلق وما في أيديهم ملكه ؛ يتصرف فيه كيف يشاء ، وهو الذي يشفع الشافع إليه ، ولهذا أنكر على الأعرابي قوله هذا ، وسبَّح الله كثيراً ، وعظَّمه ؛ لأنَّ هذا القول لايليق بالخالق سبحانه وبحمده ؛ إن شأن الله أعظم من ذلك " اهـ .

وفي هذا الحديث أولاً : إثبات علو الله على خلقه .

ثانياً : أنَّه مستوٍ على عرشه .

ثالثاً : أنَّ عرشه فوق سماواته .

رابعاً : أنَّ الله في العلو إذاً السماء ما علا ، وقوله تعالى : [أأمنتم من في السماء] [الملك : ١٦] دليل على ذلك .

خامساً : يعلم من هذا ضلال من يقولون : أنَّ الله لافوق العرش ، ولاتحته ، ولاداخل العالم ولاخارجه ، ولامتصل به ، ولامنفصلٌ عنه ، وضلال من يقول : أنَّ الله في كل مكان .

١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة باب في الجهمية ، وأخرجه أيضاً الإمام الطبراني في المعجم الكبير في ج٢ / ١٢٨ برقم الحديث ١٥٤٧ .

سادساً : أنَّ النبي ρ وصف العرش فوق السماوت بأنَّه عليها كالقبة حتى وصف ذلك بكفه .

سابعاً : أنَّ هذا القول وهو الاستشفاع بالله على خلقه قولٌ باطل ؛ لايجوز لأحدٍ أن يقوله ، فالله مالك الخلق ، وما ملكوا ، وإنَّما يستشفع العبد الضعيف إلى من يملك الأشياء ؛ أمَّا مالك الأشياء فإنَّه لايجوز أن يقال في حقه إنَّا نستشفع بالله على فلان ، فهل يصح في عقل عاقل أن يستشفع بمن يملك إلى من هو مملوكٌ له هو وكل ما ملكه .

ثامناً : وهذا هو الذي أثار غضب رسول الله ρ أي يقال في حق من تعنوا له رقاب الجبابرة وتذل له ، ولعزته عظماء الخلق ، فهل يعقل في حقه أن يقال بأنَّه يستشفع على خلقه ؟! الجواب : لا ، فشأن الله عظيم كما قال رسول الله ρ شأن الله أعظم من ذلك ، وبالله التوفيق .

(٦٥) باب ما جاء في حماية المصطفى ρ حمى التوحيد ، وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير τ قال : ((انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ρ فقلنا : أنت سيدنا ؛ فقال : السيد الله تبارك وتعالى ؛ قلنا وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طَولاً ، فقال : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولايستجرينَّكم الشيطان)) رواه[1] أبو داود بسندٍ جيد .

وعن أنس τ أنَّا ناساً قالوا : يا رسول الله : يا خيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا ، وابن سيدنا فقال : يا أيها الناس ؛ قولوا بقولكم ، ولايستهوينَّكم الشيطان ؛ أنا محمد بن عبد الله ورسوله ؛ ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل[2])) رواه النسائي بسندٍ جيد .

الشرح : وأقول : إنَّ الأولى أن يقال وسده الطرق الموصلة إلى الشرك .

عن عبد الله بن الشخير τ قال : ((انطلقت في وفود بني عامر إلى رسول الله ρ فقلنا : أنت سيدنا ؛ فقال : السيد الله تبارك وتعالى)) الحديث .

قوله : « أنت سيدنا » السيد عند العرب هو المطاع في القبيلة المتبع فيها .

فقال ρ : « السيد الله تبارك وتعالى » هذا من النبي ρ تواضعاً ؛ وهو من الهضم لنفسه ، وإلاَّ فهو سيد ولد آدم يوم القيامة ولافخر .

قوله : « وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً » الطول هو السيادة ، والكرم ؛ وهذه كلها لائقةٌ بالنبي ρ لكنه صلوات الله وسلامه عليه أحب أن يُقْتدى به في رد مدح المادح ؛ لأنَّ المدح مما يجعل النفوس تتعاظم ، وتخرج عن طورها ، وذلك يتنافى مع مقام العبودية للإنسان ، فردع المادح بأن يرد عليه مدحه ، والنبي ρ أراد أن تقتدي أمته في تجاوز ذلك ، وعدم قبوله ، وأن يقابل

[1]) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب باب في كراهية التمادح ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في ج٤ / ٢٤ برقم الحديث ١٦٣٥٠ و١٦٣٥٩ وأخرجه الإمام الطبراني في السنن الكبرى في ج٦ / ٧٠ برقم الحديث ١٠٠٧٦ وبنحوه أيضاً في السنن الكبرى برقم ١٠٠٧٤ وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد في ج١ / ٨٣ برقم الحديث ٢١١ .

[2]) أخرجه الإمام الطبراني في السنن الكبرى في ج٦ / ٧١ برقم الحديث ١٠٠٧٨ والإمام أحمد في ج٣ / ١٥٣ برقم ١٢٥٧٣ وعبد بن حميد في مسنده في ج١ / ٣٩٠ برقم ١٣٠٩ و١٣٣٧ وابن الجعد أيضاً في مسنده في ج١ / ٤٧٣ برقم الحديث ٣٢٩٠ وقال الدكتور الوليد آل فريان على فتح المجيد ج٢ / ٨٣٥ الحديث : " أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٤٨ ، ٢٤٩) " اهـ .

المادح بما يرده ، ويمنعه عن المدح .

وكذلك الحديث الثاني عن أنس τ أنَّ ناساً قالوا : يا رسول الله : يا خيرنا ، وابن خيرنا وسيدنا ، وابن سيدنا» الحديث .

قولهم : « يا خيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا ، وابن سيدنا » لاشك أنَّ أهل بيت النبي ρ كانوا أصحاب شرف ، ونبل في زمن الجاهلية ، ولكن الخيرية ؛ التي ترتَّبت على النبوة لم تنلهم ، ففي ذلك مجاوزة للحق ، والله أعلم ؛ علماً أنَّ النبي ρ كان يكره المدح ، وينهى عنه ، وقال للمادح : « ويلك قطعت عنق صاحبك – ثلاثاً » وقال[1] : « إذا لقيتم المداحين ؛ فاحثوا في وجوههم التراب » أخرجه[2] مسلم ، والترمذي ، وابن ماجة عن المقداد بن الأسود .

فيؤخذ أولاً من هذا : النهي عن المدح .

ثانياً : قطع أسباب الغلو .

ثالثاً : تواضع النبي ρ .

رابعاً : كونه ρ حمى جانب التوحيد ، وقال : « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنَّما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله » .[3]

خامساً : أراد أن يبين لهم أنَّ السيادة المطلقة هي للرب تبارك وتعالى ، وفي الحديث القدسي : « الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار » .[4]

إذن فهذا من حماية جناب التوحيد ، وقطع أسباب الغلو ، وقد قال النبي ρ حين جاء سعد بن معاذ τ ليحكم في بني قريظة ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : ((قوموا إلى سيدكم)) [٥] .

١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات باب إذا زكَّى رجلٌ رجلاً كفاه ، وفي كتاب الأدب باب قول الرجل ويلك ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقاق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراطٌ وخيف منه فتنةٌ على الممدوح من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنهما .

٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقاق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراطٌ وخيف منه فتنةٌ على الممدوح من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنهما .

٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى :[واذكر في الكتاب مريم] وفي كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

٤) الحديث أصله عند مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الكبر بلفظ : " العز إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن نازعني عذبته " وبنحو هذا اللفظ ورد بألفاظ أخرى كما ورد في الشرح ، وبلفظ : " ألقيته في جهنم " وفي لفظ : " قذفته في النار " وفي لفظ : " أدخلته جهنَّم " كما عند ابن ماجة برقم ٤١٧٤ و٤١٧٥ وأبو داود برقم ٤٠٩٠ وأحمد في مسند باقي المكثرين من الصحابة برقم ٧٣٣٥ و٩٢٢٤ و٩٤١٠ ٩٠٩٠ و٨٦٧٧ ومصنف ابن أبي شيبة رقم ١٩٥٤٧ ومسند الشهاب برقم ١٤٦٤ وفي الأدب المفرد برقم ٤٠٩٠ و٥٥٢وفي مسند إسحاق بن راهوية برقم٢٨٨٥وفي صحيح ابن حبان برقم٣٢٨وفي المستدرك على الصحيحين برقم٢٠٣وفي المعجم الأوسط برقم ٩٢٥٣ وفي المسند للحميدي برقم ١١٤٩ وفي معرفة الآثار والسنن برقم ٦١٥٤ وفي التواضع والخمول لعبد الله بن محمد القرشي برقم الحديث ١٩٥ .

٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب مرجع النبي ρ من الأحزاب عن أبي سعيد τ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد .

سادساً : يؤخذ من قوله : ((لايستجرينكم الشيطان)) أنَّ الشيطان يستجري بني آدم بمعنى أنَّه ينزلهم درجةً درجة ؛ ليوقعهم في الشرك ؛ كما فعل مع قوم نوح ، وكما يفعل مع الناس في إيقاعهم في المعاصي ، والله سبحانه وتعالى يقول : [يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنَّه لكم عدوٌّ مبين & إنَّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون] [البقرة : ١٦٨ – ١٦٩] .

تنبيه :

بعد أن أمليت ما حضرني في شرح هذا الباب ، وكنت متذكراً أنَّه قد سبق باب شبيهه ؛ لهذا نبهني أحد الإخوة جزاه الله خيرا بأنَّه في بعض الأسئلة التي قدمت للطلاب في بعض المدارس : ما هو الفرق بين الباب باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ، وبين هذا الباب الذي هو باب ما جاء في حماية المصطفى ρ حمى التوحيد وسده طرق الشرك ؟ وأنَّه قد اطلع هو وبعض زملائه على شرح الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : " وأنَّه فرق بين البابين : أنَّ الأول في الأفعال ، وهذا في الأقوال " وبعد التأمل فيما أورده المؤلف رحمه الله وجدنا أنَّ قول السعدي رحمه الله هو الحقيقة ، والكل مقصودٌ به حماية التوحيد مما يخدشه ، فنسأل الله أن يفقهنا في دينه ، وأن يهدينا صراطه المستقيم ، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم ويرزقنا العمل به ، وبالله التوفيق .

(٦٦) باب ما جاء في قول الله تعالى : [وما قدروا الله حقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمَّا يشركون] .[1]

وعن ابن مسعود τ قال : جاء حبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ρ فقال : يا محمد إنَّا نجد أنَّ الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع[2] ، فيقول : أنا الملك فضحك النبي ρ حتى بدت نواجذه تصديقاً ؛ لقول الحبر ، ثمَّ قرأ : [وما قدروا الله حقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة] متفقٌ عليه .

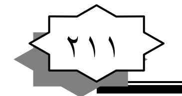
وفي[3] رواية لمسلم : ((والجبال ، والشجر على إصبع ، ثمَّ يهزهنَّ[4] ، فيقول : أنا الملك ؛ أنا الله)) .

وفي رواية للبخاري : ((يجعل السموات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر[5] الخلق على إصبع)) أخرجاه .

ولمسلم : عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : ((يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثمَّ يأخذهنَّ بيده اليمنى ، ثمَّ يقول : أنا الملك ؛ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثمَّ يطوي الأرضين السبع ، ثمَّ يأخذهنَّ بشماله ، ثمَّ يقول : أنا الملك ؛ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟)) .[6]

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما السموات السبع ، والأرضون السبع

١) سورة الزمر ٦٧ .
٢) وفي لفظٍ " والماء والثرى على إصبع " كما رواها البخاري في كتاب التفسير باب " وما قدروا الله حق قدره " وفي كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .
٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب في تفسير سورة الزمر باب قول الله تعالى :[وما قدروا الله حقَّ قدره] وفي كتاب باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، والإمام مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار .
٤) أخرج هذه الرواية مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار .
٥) أخرجها البخاري في كتاب التفسير باب :[وما قدروا الله حقَّ قدره] .
٦) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار .



في كف الرحمن إلاّ كخردلة في يد أحدكم[1] » .

وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني أبي قال : قال رسول الله ρ : « ما السماوات السبع في الكرسي[2] إلاّ كدراهم سبعة ألقيت في ترس » .

قال : وقال : أبو ذر τ سمعت رسول الله ρ يقول : « ما الكرسي في العرش إلاّ كحلقة من حديد ألقيت[3] بين ظهري فلاة من الأرض » .

وعن ابن مسعود τ قال : « بين السماء الدنيا ، والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ؛ لايخفى عليه شيء من أعمالكم » أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زرّعن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي رحمه

١) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره في ج٢٤ / ٢٥ في سورة الزمر عند قوله تعالى :[وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة] قالا محققا القول المفيد : " وفي إسناده : عمرو بن مالك النكري قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٨ / ٩٦ : (ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : مات سنة تسع وعشرين ومائة ، وقال : يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه يخطيء ويغرب) وقال الشيخ سليمان بن عبد الله كما في إبطال التّنديد ص (١٧٠) : (وهذا الإسناد في نقدي صحيح) " اهـ قلت : وأخرج بنحوه مختصراً الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه في ج٧ / ١٨٦ برقم الحديث ٣٥١٨٤ .
٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله في ج٣ / ١٠ في سورة البقرة عند قول الله تعالى : [وسع كرسيه السماوات والأرض] وقال الشيخ سليمان بن عبد الله كما في إبطال التنديد ص (١٧٠) : (رواه إصبع بن الفرج بهذا الطريق واللفظ له ؛ وهو مرسلٌ ، وعبد الرحمن بن زيد ضعيف) " اهـ .
٣) انظر أيضاً تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله في ج٣ / ١٠ في سورة البقرة عند قول الله تعالى : [وسع كرسيه السماوات والأرض] قال الدكتور آل فريان وأخرجه : " وأخرجه أبو الشيخ في العظمة رقم (٢٢٠ ، ٢٥٢) قال ابن كثير في التاريخ (١ / ١١) : (أوَّل الحديث مرسل ، وعن أبي ذر منقطع ، وقد روي عنه من طريق أخرى موصولاً) وأخرجه من هذا الطريق : أبو الشيخ في العظمة (٢٠٦ ، ٢٥٩) وابن مردويه في التفسير كما في الدر المنثور (٢ / ١٧) وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٦٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٠) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٤١١) : (صححه ابن حبان ، وله شاهدٌ عن مجاهدٌ ؛ أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسندٍ صحيح) وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢١٨ ٢٤٨ ، ٢٤٩) وعبد الله بن أحمد في السنة رقم (٥٩١) " اهـ قال محققا القول المفيد : " أخرجه محمد بن أبي شيبة في العرش (٥٨) وفي إسناده إسماعيل بن مسلم المكي كما في السلسلة (١٠٩) وهو متروك ، وفيه أيضاً : المختار بن غسان مجهول لايعرف بجرحٍ ولاتعديل . انظر التهذيب ١٠ / ٦٨ وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٠٤ ــ ٤٠٥) وفيه يحيى بن سعيد ٣ / ١٢٩ : (يروي

المقلوبات والملزقات لايجوز الإحتجاج إذا انفرد) وفيه أيضاً ابن جريج وهو مدلس ، وقد عنعنه ، وقد أخرجه أيضاً من طريق آخر ، وفيه
: إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني كذَّبه أبو حاتم ، وأبو زرعة كما في الميزان ١ / ٧٢ – ٧٣ وأخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٩ ، ٣١٠
وفيه مجهولان ، وضعيفان " اهـ .

الله تعالى : وله[1] طرق .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ρ : « هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثِف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » أخرجه أبو داود وغيره [2] .

الشرح : في هذه الآية [وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة] ردٌّ على المشركين في زعمهم أنَّ عبادة غير الله جائزة ؛ حين طلبوا التصالح مع النبي ρ بأن يعبدوا إلهه سنة ؛ وهو يعبد إلههم سنة ، فأنزل الله عز وجل إنكاراً عليهم : [قل يا أيها الكافرون & لا أعبد ما تعبدون & ولا أنتم عابدون ما أعبد & ولا أنا عابدٌ ما عبدتم & ولا أنتم عابدون ما أعبد & لكم دينكم ولي دين] [سورة الكافرون] .

وفي هذه الآيات يقول الله عز وجل : قل لهم يا محمد [أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون

---

١)الأثر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في ج ٩ / ٢٠٢ برقم الحديث ٨٩٨٧ وابن حجر في فتح الباري في ج١٣ / ٤١٣ في كتاب التفسير باب قوله : " وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم " وقال الشيخ آل فريان : " أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٦) وابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (٥٩٤) وأبو الشيخ في العظمة رقم (٢٠٣ ، ٢٧٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٠٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٥٩) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٨٦) ورجاله رجال الصحيح " اهـ وقال محققا القول المفيد : " وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٦) وفي النقض على المريسي ص (٧٣ ، ٩٠ ، ١٠٥) والخطيب في الموضح ٢ / ٤٧ وقد صححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص (١٠٠) والذهبي في العلو ص (٦٤) " اهـ مختصراً .

٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عند تفسير سورة آل عمران برقم ٣١٣٧ وطه برقم ٣٤٢٨ والحاقة برقم ٣٨٤٩ والسجدة برقم ٣٥٤٧ وأخرجه أبو يعلى في مسنده في ج١٢ / ٧٥ برقم ٦٧١٣ وأحمد في ج١ / ٢٠٦ برقم ١٧٧٠ و ٨٨١٤ وأخرجه عبدالله بن عدي الجرجاني في كامل ضعفاء الرجال في ج٧ / ٢٠٠ باب من اسمه يحيى ، وبنحوه عند أبي داود في سننه في ج٤ / ٢١٣ برقم ٤٧٢٣ والترمذي في سننه أيضاً في ج٥ / ٤٠٣ برقم ٣٢٩٨ و ٣٣٢٠ وقالا محققا القول المفيد في هذا الحديث : " وأخرجه عثمان الدارمي في الرد على الجهمية ص (٢٤) وفي النقض على المريسي ص (٩٠) وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٧) وابن خزيمة في التوحيد (١٠١ ، ١٠٢) والآجري في الشريعة (٢٩٢ ، ٢٩٣) ومحمد بن أبي شيبة في العرش (٩ ، ١٠) واللالكائي (٦٥١) وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٢ / ٢ والبيهقي في الأسماء ص (٣٩٨) وابن عبد البر في التمهيد ٧ / ١٤٠ وابن حزم في الفصل ٢ / ١٠٠ وابن قدامة في العلو ص (٧) والمزي في تهذيب الكمال ٢ / ٧١٩ والذهبي في العلو (٤٩ – ٥٠) من طريق عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس ، وقال الذهبي في الميزان ٢ / ٤٦٩ : (و فيه - أي عبد الله – فيه جهالة ؛ قال البخاري لايعرف له سماع من الأحنف بن قيس) وهذا الحديث يعرف بحديث الأوعال ، وقد قال ابن العربي في عارضته : (إنَّ خير الأوعال متلقفٌ من الإسرائيليات) وانظر تهذيب السنن لابن القيم ٧ / ٩٢ ، ٩٣ " اهـ وقال الدكتور الوليد : " وأخرجه أبو الشيخ في العظمة رقم (٢٠٤) وابن منده في التوحيد (٢١) وابن أبي حاتم ، والبزار كما في تفسير ابن كثير (٨ / ٣٣) " اهـ مختصراً .

& ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين & بل الله فاعبد وكن من الشاكرين] ثم قال بعد ذلك : [وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون] [الزمر: ٦٤ –٦٧] ففي هذا ردٌّ عليهم في زعمهم جواز عبادة غير الله ، وبيان عظمة الله في هذه الآيات حيث بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ جميع الأرض تكون [قبضته يوم القيامة] أي مقبوضة في كفه ، وأنَّ السماوات مطويات كلها بيمينه ، وذلك دليل على عظمة الله الرب جل شأنه ، وتعالت أسماءه وصفاته ، فلمن تأمروني أن أصرف العبادة ؛ مع أنَّ إلهي من وصف نفسه بهذا الوصف ؛ أأصرف العبادة للمخلوقين الضعاف ؛ الذين لايقومون بحاجة أنفسهم : [قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون] فسبحان الله العظيم ؛ الذي لم يقدِّر الخلق قدره ؛ لجهلهم به ، وبعظمته ، ولذلك يقول : [وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة] .

ومن هنا تبين أنَّ الشرك محبطٌ للأعمال ؛ لأنَّ المشرك ساوى المخلوق الضعيف بالرب الجليل فإذا كان الرسل ؛ بل أفضلهم محمدٌ ρ توعد بإحباط العمل إن هو أشرك بربه ، وحاشاه أن يكون منه ذلك ، فإذا كان الرسل توعدوا بذلك ، فغيرهم من باب أولى ، وقد أعقب الله ذلك بقوله : [بل الله فاعبد وكن من الشاكرين] لأنَّه أهلٌ للعبادة ؛ أمَّا من سواه ، فمن حقه أن يكون عابداً لربه لامعبوداً ، والله تعالى الذي عظمته لاتوازى ، وقدْرُه كما وصف سبحانه نفسه بأنَّه يوم القيامة يطوي السماوات السبع بيمينه ، والأرضين السبع بيده الأخرى ، فمن أحق بالعبادة ؛ صاحب هذه القدرة التي لايتعاصى عليها شيء ؟ !! الجواب : لا أحد ، فهو الحقيق بالعبادة ، والجدير بها .

ولمسلم : عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : ((يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثمّ يأخذهنّ بيده اليمنى ، ثمّ يقول : أنا الملك ..)) في هذا الحديث ، والذي قبله إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى ، وفي الحديث الأول إثبات الأصابع لله سبحانه وتعالى .

وفي قوله : [والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة] إثبات الكف لله سبحانه وتعالى ، وإثبات القبضة لله سبحانه وتعالى ، ونؤمن بأنَّ الله يفعل ما يشاء ، وأنَّ بيده ملك الأشياء جميعاً والتصرف فيها كما يشاء .

ويؤخذ منه أنَّ الله يطوي السماوات السبع كلهنَّ ، ويطوي الأرضين السبع كلهنَّ .

ويؤخذ من الحديث الأول : أنَّ النبي ρ ضحك تصديقاً لقول الحبر ، وقد يكون تعجبه من كون الحبر يعلم هذا ، ولايؤمن بالقرآن الذي نزل فيه تصديق ما وصف في هذا الحديث ، والله تعالى يقول : [يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلقٍ نعيده] سبحان الله العظيم ؛ السماوات بسعتها ، وكثافتها ، وارتفاعها يطويها الله عز وجل كطي السجل للكتب ما أعظم قدرة الله !! .

لذلك فإنَّ الواجب على جميع المخلوقين أن يوحدوه بالعبادة ، وأن يفردوه بها ، وأن لايجعلوا معه شريكاً ؛ فهو الإله الحق الذي تنبغي له العبادة ؛ خضوعا لجلاله ، وإيماناً بعظمته ، وقدرته .

ثم أورد بصفة التضعيف وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((ما السموات السبع ، والأرضون السبع في كف الرحمن إلاَّ كخردلة في يد أحدكم))

وقال ابن زيد : حدثني أبي قال : قال رسول الله ρ : ((ما السماوت السبع في الكرسي إلاَّ كدراهم سبعة ألقيت في ترس)) .

قال : وقال : أبو ذر τ سمعت رسول الله ρ يقول : ((ما الكرسي في العرش إلاَّ كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)) .

وعن ابن مسعود τ قال : ((بين السماء الدنيا ، والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ..)) .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ρ : ((هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ..)) .

أقول : في هذه الأحاديث إثبات سعة العرش ، وأنَّ كل شيءٍ دونه ، فالكرسي والسماوات والبحر الذي فوق السماء السابعة ؛ كل هذه تدل على سعة خلق الله عز وجل وقدرته ، فينبغي أن نتأمل كيف هذا البحر الذي جعله الله في الهواء فوق السماء السابعة ، وما بين أسفله وأعلاه كما بين سماء وسماء ؛ ما أجلَّ عظمة الله ؟ ! .

إذا فكرنا في مخلوقات الله هذه كيف عظمتها ! كيف عظمة حملة العرش ! كيف عظمة ذلك

الملك ؛ الذي بين عاتقه وشحمة أذنه مخفق الطير سبعين عاما ، وإذا كان الملائكة الحفظة يعرجون إلى السماء السابعة ، ويطلعون على ما كتب في اللوح المحفوظ عن كل شخصٍ ، ويقابلون ما بينه وبين الأعمال المنسوخة من أفعالهم ، فيجدونها متساوية ، وإذا كان من الأرض إلى ما فوق السماء السابعة مسيرة سبعة آلاف عام ، وهم يقطعونها في بضع ساعات ؛ كيف أنَّ الله سبحانه وتعالى مكنهم من قطع هذه المسافة العظيمة ، فيجب أن نتأمل في هذه الأمور ، وما ثبت في هذه الأحاديث من الصفات الدالة على قدرة الله عز وجل ، فمن عرف الله بهذه الصفات حق المعرفة ووحده حق التوحيد ؛ عبده حقَّ العبادة ؛ لما له من كمال القدرة ، والعظمة ، والجلال .

قال في فتح المجيد : " وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة τ وفيه : « بعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام » ولا منافاة بينهما ؛ لأنَّ تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً ونيف وسبعون سنة على سير البريد ؛ لأنَّه يصح أن يقال : بيننا وبين مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة ، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد ، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه هذا آخر كلامه " .

وأقول : في هذه الأحاديث إثبات علو الله عز وجل على عرشه سبحانه وتعالى ، وإثبات هذه المسافات بالنسبة لسيرنا نحن بني آدم ، وقد أنكرت الجهمية علو الله على عرشه يقول الحافظ الذهبي في فتح المجيد : " وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أنَّ الله تعالى فوق العرش : هو الجعد ابن درهم ، وكذلك أنكر جميع الصفات ، فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة وأخذ عنه هذه المقالة : الجهم بن صفون إمام الجهمية ، فأظهرها ، واحتج لها بالشبهات ، وكان ذلك في آخر عصر التابعين ، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر ؛ مثل الأوزاعي ، وأبي حنفية ومالك ، والليث بن سعد ، والثوري ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، ومن بعدهم من أئمة الهدى " إلى أن قال : " وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : لله أسماءٌ ، وصفات لايسع أحداً ردُّها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأمَّا قبل قيام الحجة ؛ فإنَّه يعذر بالجهل ، ونثبت هذه الصفات ، وننفي عنه التشبيه ؛ كما نفى عن نفسه فقال : [ليس كمثله شيء] " انتهى .

والواجب أن نؤمن بما جاء في هذه الأحاديث من الصفات ؛ التي ثبتت لله عز وجل ، فنؤمن

١) قال الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان على تحقيقه لفتح المجيد على كتاب التوحيد انظر فتح الباري ج١٣ / ٤٠٧ .

بذلك حق الإيمان ، ونستيقنه حق اليقين ، وما ذكر من الأبعاد – ما بين السموات والأرض – في هذه الأحاديث نؤمن بها ، ونعلم أنَّ عظم مخلوقات الله دالة على كماله ، فنسأل الله أن يرزقنا الإيمان ، واليقين ، والثبات عل الحق حتى نلقاه على ذلك ، وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .

انتهى من إملاءه على الطلاب
في ١١/٦/١٤٢٥هـ

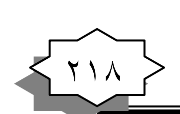
المؤلف
أحمد بن يحيى بن محمد شبير النَّجمي

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد الموحدين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين : إنيَّ لأشكر الله دائماً وأبداً على أفضاله ونعمه المتوالية ، ثمَّ أتقدم بالشكر لوالدنا وشيخنا الفقيه المحدث / أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي على تكرمه بشرح كتاب التوحيد للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهيبي التميمي ، والمولود في العيينة بوسط الجزيرة العربية سنة ١١١٥ هـ والمتوفى في أواخر سنة ١٢٠٦ هـ عن إحدى وتسعين قضاها في ميدان العلم ، والجهاد ، والدعوة ، وقد ترك للمسلمين بعده مؤلفاتٍ عظيمة وفنوناً كثيرة في التفسير ، والحديث ، والعقيدة ، والفقه ، والوعظ مع ما كان فيه من انشغال بأعباء الدعوة والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والمشاركة في الجهاد كما هو دأب علماء الدعوة . ومن ضمن المؤلفات التي خلفها لمن بعده كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد وقد عني أهل العلم المتقدمين والمعاصرين بشرح هذا الكتاب ، وممن شارك في شرحه شيخنا العلامة / أحمد بن يحيى النَّجمي حفظه الله ، وقد انتهى من شرحه على طلابه في : ١٤٢٥/٦/١١هـ . ثم أشكر الطلاب الذين حرصوا كل الحرص على الاستفادة من شيخنا أحمد النجمي في شرحه لهذا الكتاب ، وعلى رأسهم الشيخ : جائز بن منصور العنزي الذي أتحفنا بملاحظاته وتوجيهاته زاده الله تقى وعلما . وختاماً أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب وإظهاره بالمظهر الحسن ؛ وقد استعنت بعد الله تعالى في تخريج أحاديث الكتاب على تعليقات الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل والدكتور خالد بن علي المشيقح من كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ العلامة محمد ابن صالح العثيمين واعتمدت أيضاً على تعليقات الدكتور الوليد بن عبدالرحمن آل فريان من كتاب فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ واستعنت كذلك بالموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه بإصداريها الأول والثاني ، فعلت ذلك توفيراً للجهد ، ولقلة المراجع التي أعتمد عليها في البحث والتخريج ، ولكثرت وجود بحوث أخرى لشيخنا أحمد النجمي حفظه الله تحتاج مني ومن غيري من طلاب العلم إلى ترتيب ، وتحقيق وأسأل الله أن يجبر كسرنا ، ويعفو عن تقصيرنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أخوكم في الله

حسن بن محمد بن منصور بن يحيى مخزم دغريري



الفهرس

الرقم والباب	الصفحة
المقدمة	١
كتاب التوحيد	٣

الرقم والباب — الصفحة

الرقم والباب | الصفحة

الرقم والباب الصفحة

الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق الممجد الذي ألَّفه شيخ الإسلام محمد

رحمه الله

تأليف الشيخ العلامة / أحمد بن يحيى بن محمد

النجمي حفظه الله

اعتنى به / حسن بن محمد بن منصور الدغريري